CLOSED AREA

C.A.

المجلة البطريركية السنة الثانية عشرة الجزء الثاني

الموارنة في لبنان

أقدميتهم وأسرهم

بقلم

الخوراسقف بولس قرألي

ملاحظات على كتاب « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان »

للفيكنت فيليب دي طرازي

مقالات ظهرت تباعاً في جريدة البيرق البيروتية
بين ٢٦ تموز سنة ١٩٤٨ و ١٥ شباط سنة ١٩٤٩

ثم نشرت منقحة في مجلة المنارة للآباء المرسلين اللبنانيين في جونيه

ويليها نبذتان خطيتان للبطريرك اسطفان الدويهي

١ – مقدمو جبة بشري

٢ – اليعاقبة في لبنان

مطبعة المرسلين اللبنانيين – جونيه

١٩٤٩

الموارنة في لبنان

اقدميتهم وأسرهم

القسم الاول

اقدمية الموارنة في لبنان

ارسلنا الى مجلة « المنارة » الغراء كلمة ابدينا فيها بعض الملاحظات على ما ورد في الجزء الثاني من الكتاب الذي اصدره حديثاً حضرة الفيكنت فيليب دي طرازي السرياني الكاثوليكي بعنوان « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان . وصفحة من اخبار السريان » . ولا يخفى على اللبيب ان حضرته يقصد بهذا العنوان انه اصدق من جميع مؤرخي لبنان ، الذين سبقوه . خاصة مؤرخي الطائفة المارونية ، التي حاول ان يهدم بكتابه صرح تاريخها وامجادها . فهؤلاء ان صدقوا ، فهو اصدق منهم . هذا ان لم يكونوا كاذبين .

وقد بيّنا ان غرضه من نشر الجزء الثاني من كتابه هو البرهان على ان جميع الاسر المارونية المعروفة متحدرة من اجداده اليعاقبة . فرددنا عليه من عين كلامه واسانيده .

واطلعنا بعدئذٍ على الجزء الاول من هذا الكتاب فالفيناه يكدّس المراجع والمظان والاوهام ليثبت ان كل ما للطائفة المارونية من ابرشيات وكنائس واديار واوقاف ومخطوطات قديمة ثمينة ، وما في حوزة ابنائها من عقار وزرع وضرع كان ملكاً لاجداده اليعاقبة ، سكان لبنان الاصليين ، واصحاب الحق الاول فيه . اغتصبها منهم الموارنة ، او ورثوها عنهم . وان اجداده هم الذين بشروا اللبنانيين الوثنيين بالنصرانية في القرن الخامس . وعُنوا في القرن الخامس عشر بتثقيف ابناء الطائفة المارونية في العلوم ، وتنظيم رتبهم البيعية ، فضلاً عن نشر الامن والعدل والرخاء في جبالهم .

وخلاصة اقواله ان اليعاقبة ، كانوا وما برحوا سكان لبنان الاصليين ،

وان الموارنة دخلاء عليهم ، ومدينون لهم بكل ما في ايديهم من ارزاق ، وما في عقولهم من ثقافة دينية وادبية . وهم يعيشون الان من خيرهم ونعمتهم .

بيد اننا لاحظنا هذه المرة ايضاً ان التاريخ ، الذي اقحمه لغرضه ، لا يجاريه في هذه المحاولات ، وان ما ادلى به في هذا الجزء الاول من كتابه لا يصح اعتباره « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان » .

فتوجب علينا تحذير مواطنينا من الركون الى مغالاته ومغالطاته بكلمة اخرى نقولها في هذا الموضوع .

١ – الابرشيات

استهل حضرة الفيكنت الفصل الاول من هذا الجزء الاول بقوله[1] « توخينا ان نقصر الكلام في هذا القسم على ابرشيات فونيقي اللبنانية كي نستنتج منها نتيجتنا المقصودة : وهي ان السريان ليسوا غرباء او دخلاء او لاجئين او ضيوفاً في لبنان كما توهم البعض لكنهم وطنيون اصليون اقاموا وما برحوا يقيمون فيه منذ اوائل النصرانية حتى اليوم » .

وقبل ان نخوض معه معمعة الرد ننبه القراء انه يعني بالسريان ملته من اليعاقبة والمرتدين منهم حديثاً الى الكثلكة ، كما سيشرحه في ما بعد . مع انه يقر ان الموارنة فرع من السريان . وهذا الاقرار يعني ان اليعاقبة ليسوا سوى فرع آخر منهم .

وقد صدّر كتابه بتعداد ووصف الابرشيات اللبنانية التي تولاها الساقفة يعاقبة فاذا هي تشمل لبنان كله ، جباله وسهوله ، مدنه وقراه . ولكي نقدم للقراء بعض امثلة من مغالطاته بهذا الصدد نروي لهم ما قاله في ابرشيات حدث الجبه وعرقا والكنيسي وجونيه :

١ – ابرشية الحدث – خصص حضرته الفصل الثالث عشر للكلام

(١) صفحة ١٦

عن اساقفة السريان في الحدث وافتتحه بقوله[٢] « الحدث او حدث الجبة بلدة لبنانية عريقة في القدم . حفلت وضواحيها بالسريان حتى ان بطاركتهم جعلوها كرسياً اسقفياً تسلسل فيه الاساقفة بلا انقطاع منذ السنة ٧٩٣ حتى السنة ١٥٢٧ . واليك اسماء من عرفناهم من اولئك الاساقفة » . وهنا نشر خضرته لائحة باربعة عشر اسقفاً يعقوبياً تولوا ، على زعمه ، ابرشية حدث الجبة مدة ثمانية قرون ، وافرز لكل منهم كلمة خاصة . وختم بقوله[٣] « الى هنا انتهى ما وقفنا عليه من اساقفة كرسي الحدث طبقاً لوائح البطريرك ميخائيل الكبير . . وذلك برهان جلي على ان السريان كانوا ولا يزالون مقيمين في حدث الجبة حتى القرن السادس عشر» .

فدهشنا ، وأيم الحق ، لهذه الاقوال الجريئة ، ولاسيما لهذه اللائحة المدعمة بالاسماء والارقام التاريخية والاسانيد . وعمدنا الى تاريخ البطريرك اليعقوبي ميخائيل الكبير (١١٦٦ – ١١٩٩)[٤] الذي اخذ عنه هذه المعلومات وهذه اللائحة المفصلة وفتشنا في فهرس الاعلام الابجدي عن مراجع اسم الحدث ، فوجدنا ما تعريبه بالحرف « الحدث مدينة اسقفية للمنوفيزيين في قيليقيه غير بعيدة عن مرعش . راجع بشأنها الصفحات ٢ و٨ و٢٠ و٩٥ من المجلد الثالث . راجع لائحة اساقفتها في المجلد عينه صفحة ٤٩٩» . ويلي ذلك ذكر مدينة اخرى يعقوبية تحمل الاسم عينه « الحدث مدينة اسقفية في مقاطعة بابل . راجع عنها الصفحتين ٩٤ و٢٩١ من المجلد الثالث» . اما قرية حدث الجبة فلا ذكر لها مطلقاً .

فانتقلنا الى الصفحة ٤٩٩ الحاملة لائحة اساقفة هاتين الابرشيتين اليعقوبيتين النائيتين ، فاذا هي اللائحة عينها ، التي الصقها حضرة الفيكنت بقرية حدث الجبة اللبنانية ، مدعياً ان اساقفة يعاقبة تولوا عليها ثمانية قرون

(٢) ص ٥٦ – ٥٨

(٣) ص ٥٧

(٤) اضاف هذا البطريرك الى تاريخ سلفه البطريرك ديونيسيوس التلمحري (٨١٨ – ٨٤٨) ما اتصل به من الحوادث التاريخية ، واكمله حتى ايامه . وقد نشر كلا النصين الاب شابو Chabot الفرنسي في باريس في ثلاثة مجلدات وتسعة اجزاء بين السنتين ١٨٩٨ و١٩٢٤ .

متوالية ! فحضرته قد استعار لائحة اساقفة يعاقبة لمدينتين تبعدان آلاف الاميال عن قرية الحدث في لبنان الشمالي ، ليدعي ان موارنة هذه القرية وضواحيها متحدرون من اصل يعقوبي ، وان جميع ما يملكونه من اديار ومعابد واوقاف وارزاق قد ورثوه عن اجداده .

ولا يسع حضرته ان يعتذر بالسهو ، لان التفاصيل التي اتى بها تدل دلالة واضحة على ان الابرشيتين الواقعتين في الجزيرة وفي قيليقية هما المقصودتان من التلمحري وميخائيل الكبير .

٢ – ابرشية عرقا – وقد لجأ حضرته الى الحيلة عينها ليوهمنا ان عرقا الفونيقية كانت مركزاً لاساقفة يعاقبة . فيستنتج ان جميع القرى المارونية المجاورة لها في منطقة عكار كانت آهلة باليعاقبة ، وانهم انضموا بعدئذ الى الطائفة المارونية واورثوها مؤسساتهم وثرواتهم . فاستعار لائحة عرقا الواقعة غرب ملطيه على مسافة خمسة عشر يوماً ركوباً من لبنان . واليك ما كتبه فيها[٥] :

« عرقا مدينة عريقة في القدم .. شمال طرابلس تجاه جون عكار .. تعد كرسي اسقفيتها من اقدم كراسي الاسقفيات السريانية واوسعها .. كانت ولاية راعيها تشتمل على قرى عامرة مأهولة بالسريان . نذكر منها شدرا وعينتقد والرحبة و . . . غيرها » . وهنا يذكر ست عشرة قرية اغلبها مارونية ، فضلاً عما اغفل ذكره من قرى بلاد عكار . ثم يورد[٦] بكل راحة ضمير لائحة اساقفة يعاقبة تولوا على ابرشية عرقا المجاورة لملطيه منذ السنة ١٠٠٤ حتى السنة ١٢٠٠ نقلاً عن تاريخ ميخائيل الكبير . فلما رجعنا الى فهرس هذا التاريخ وجدنا فيه ما يلي بحرفه « عرقا مدينة واقعة غرب ملطيه . تجد لائحة اساقفتها في الصفحة ٤٩٦ من المجلد الثالث » . وهي اللائحة التي طبقها حضرته على عرقا العكارية . مع ان الفهرس يميزها عنها باسم ارقا الفينيقية بالالف بدلاً من العين : ܐܪܩܐ وفيه يذكرها بمناسبة حضور مطرانها المجمع الخلقيدوني المنعقد سنة ٤٥١ ضد اليعاقبة . ويحيل

(٥) ص ٣٥ (٦) ص ٤٦

القارئ. الى المجلد الثاني في الصفحة ٧٩ من الترجمة الفرنسوية وصفحة ٢١٠ من النص السرياني. بيد ان حضرته لم يحفل بهذا التمييز الذي يضيّع عليه غرضه من نسبة سكان جميع القرى المارونية في عكار الى جدوده اليعاقبة. وسيذكرهم بين الاسر اليعقوبية في الجزء الثاني من كتابه. وبينهم المطران اسحق الشدراوي اسقف طرابلس الشهير[٧]

٣ – الكنيسي – وعمد الى اللعبة ذاتها فجعل قرية الكنيسي العكارية ابرشية يعقوبية[٨]. وزعم ان اسمها محرف عن كينيسا. وهي مدينة يعقوبية تبعد عن هذه القرية مسافة شاسعة. وقد انعم عليها بلائحة اساقفتها اليعاقبة. وربنا ستر ولطف انه نسي قرية الكنيسي في المتن. ولولا هذا الالهام الالهي لاصبحت هي ايضاً «ابرشية يعقوبية زاهرة». ويعلم العالم والجاهل ان لفظ كنيسي تصغير كنيسة لا تحريف كينيسا.

ومهما كان الامر فاكتشاف هذه المغالطات يخوّلنا الحق بان نشك في صحة جميع النصوص التي اوردها حضرته في كتابه دعماً لمزاعمه. وقد اشار علينا البعض ان نمسك القلم عن بقية الرد. غير اننا خشينا من ان يأخذ العامة بهذه المغالط لانه يقنعها بقناع من الحقيقة. فيأتيك من الشرق والغرب بمراجع واسانيد ومظان توهم انك امام حقيقة تاريخية راهنة لا محل للشك فيها. وغالباً ما يستعمل ادوات التأكيد وكلماته «لا ريب. ولا جدال. ونعتقد. ونقول بكل أمان واطمئنان» ليقنعك باستقامة رأيه وصحة استنتاجه. فكشف النقاب عنها اصبح ضرورياً ومفيداً.

٤ – جونيه – تجد في الفصل الحادي عشر عنوانين: «اسقفية جونيه في القرن التاسع. استقرار السريان فيها دون سائر الطوائف». ويليهما هذا الكلام[٩] «جونيه اسمها سرياني بحت معناه «زوايا». ومما لا ريب فيه ان السريان ظلوا اجيالاً عديدة مستوطنين جونيه وواصلوا اقامتهم فيها الى ما بعد القرن الثالث عشر. يؤيد ذلك ابو عبدالله المعروف بالشريف الادريسي

---

(٧) ص ١١٠ من الجزء الثاني (٨) ص ٤٦ (٩) ص ٥١

بقوله: « جونيه حصن على البحر واهله يعاقبة » . (ص ١٧ من طبعة غلدمستر).
وهكذا سبق السريان المنوفيزيون او اليعاقبة فاستقروا في ثغر جونيه قبل ان يسكنها غيرهم من النصارى » .

ولا يخفى على احد ان اسم جونيه مشتق من جون اي الخليج . وهو اسم عربي كما يدل عليه حرف الجيم المرخمة التي لا وجود لها في الابجدية السريانية[١٠].

ثم لاحظ كم من النتائج الواسعة توصل حضرته الى استخراجها من كلمة صغيرة كتبها الادريسي ، الذي ولد حوالي السنة ١١٦٤ مسيحية . وقد جاء غليلموس مطران صور اللاتيني ، الذي ولد قبله في السنة ١١٣٠ ، وكان اعرف منه بالطوائف المسيحية القاطنة في جونيه ، واقرب منه اليها ، فكتب في تاريخ الصليبيين[١١] «جونيه مدينة اقام فيها مراراً البطاركة الموارنة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر »

وهذا يدل على ان كثيراً من سكانها كانوا موارنة وان اليعاقبة لم يكونوا سكانها الوحيدين والسابقين . وقد حاول راي[١٢] مؤرخ الصليبيين في كتابه « المستعمرات الفرنجية في سوريا » ان يوفق بين الرأيين فقال ، استناداً الى الادريسي ، ان عدداً كبيراً من اليعاقبة كان يقطن فيها ، واستناداً الى غليلموس الصوري ، ان البطاركة الموارنة اقاموا فيها مراراً في القرنين الثاني عشر والثالث عشر » . والمدينة تسع العنصرين .

وتساءل حضرة الفيكنت عن مصير هؤلاء اليعاقبة فقال[١٣] « لسنا ندري عن مصير اولئك السريان الذين مكثوا حقبة مديدة في جونيه وضواحيها . لكننا نرجح بل نعتقد انهم اندمجوا بتمادي الايام في الملة المارونية كما اندمج غيرهم في اماكن شتى » . وبهذا « الاعتقاد » الذي ليس له سند ، بلغ مأربه

(١٠) راجع « تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار » للاب هنري لامنس اليسوعي ١ : ٥ — ٨
(١١) مجلد ١٠ فصل ٦
(١٢) E. Rey : Les colonies Franques en Syrie. Paris. 1883 p.524
(١٣) ص ٥٣

من نسبة موارنة جونيه « وضواحيها » الى اصل يعقوبي .

اما نحن فعندنا الخبر اليقين عن مصير بني امته من الفقرة التي نقلناها عن تاريخ المطران تادرس العاقوري ونشرناها في مجلتنا[١٤] وفي كتابنا «حروب المقدمين »[١٥] . ولا نشك في ان حضرته قد اطلع عليها لاننا الحقناها بزجلية ابن القلاعي التي استند اليها مراراً . فالمطران تادرس بعد ان وصف النكبة التي حلت بكسروان سنة ١٣٠٧ وجعلته قاعاً صفصفاً ، ختم روايته بقوله عن اهل هـذه المقاطعة « لم خلص منهم ذو حي بل راحوا طعام السيف والحريق . وما خلص من البلاد حي الا اهل جونيه ، راحوا بالمراكب . وبعد خراب البلاد صار ارضها من تركمان وعربان واسلام يسكنوا في السواحل»

وقد بينا في كتابنا المذكور[١٦] ان المطران تادرس كان معاصراً لهذه الحوادث . والمؤرخون يجمعون معه على ان المسلمين بعد خراب كسروان احتلوا سواحله ليمنعوا اتصال النصارى بحراً بمراكب الافرنج . وما عادوا يسمحون لنصراني بالاقامة فيها . راجع مقدمتنا على كتابنا « عود النصارى الى جرود كسروان »[١٧] . وقد نزح الموارنة الى جزيرة قبرس منذ القرن التاسع . واشتدت هجرتهم اليها في القرن الثاني عشر . كما شرح ذلك المطران بطرس ديب في كتابه تاريخ« الكنيسة المارونية» L'Eglise Maronite في الفصل الاخير منه .

واكبر الظن ان اليعاقبة الذين اقاموا في جونيه وفي طرابلس ، نزحوا اليها في عهد الصليبيين وخرجوا منها بخروجهم . فلائحة اساقفة طرابلس اليعاقبة ، التي نشرها حضرة الفيكنت[١٨] تقتصر على السنين ١١٢٥ ــ ١٣٦١ . وقد اشار حضرته[١٩] الى الحروب الدامية التي وقعت بين المسلمين والفرنج سنة ١٢٨٩ في طرابلس ، فقال : « ولما تغلب المسلمون قوضوا دور المدينة وقتلوا اهلها وتركوها خاوية خالية » . فيعاقبة طرابلس هجروها بعد فتحها سنة ١٢٨٩ ، ويعاقبة جونيه هربوا منها بحراً بعد خراب كسروان سنة

---

(١٤) ٧ : ٧٢٨
(١٥) ص ٨٨
(١٦) ص ٩٤ و٩٥
(١٧) ص ٢ و٣
(١٨) ص ٥٨ — ٦٣
(١٩) ص ٦٣

١٣٠٧ . فلم يندمجوا اذاً بالموارنة كما « اعتقد » حضرته .

وقول الادريسي « جونيه حصن » يرجح الظن انها كانت قائمة على الصخر المشرف على خليجها ، اي في المكان المعروف اليوم بصربا ، حيث الاثار المكتشفة تنبيء عن اهميتها الدفاعية . اما جونيه الحالية فصحراء يصعب تحصينها[٢٠] . واهل اليعاقبة كانوا مقيمين في حي الحصن بينما الموارنة وبقية الملل كانوا يقيمون في الاحياء الاخرى من المدينة . والله اعلم .

٢ – سكان لبنان الاصليون

قال حضرة الفيكنت في مقدمة الجزء الثاني من كتابه « لا جدال في ان اقدم الشعوب التي تألف منها سكان لبنان في القرون الحالية هو الشعب الارامي السرياني . وان الفينيقيين كانوا امة سريانية[٢١] . وعلى كرور الزمان اصبح اسم السريان علماً خاصاً بملة مسيحية تتألف من طائفتين متميزتين . احداهما كاثوليكية يرعاها بطريرك يقيم شتاء في بيروت وصيفاً في دير الشرفه ، والاخرى ارثوذكسية يرعاها بطريرك يقيم في حمص . فعلى هاتين الطائفتين السريانيتين اللتين استقرتا في لبنان قديماً وحديثاً يدور حديثنا[٢٢] » .

ويستطرد حضرته كلامه بقوله : « ان النصرانية انتشرت في لبنان على يد مار شمعون العامودي وتلامذته السريان في القرن الخامس ، وان الكنائس والاديار الاولى في لبنان تأسست على يد رهبان من بلاد ما بين النهرين[٢٣] . وان السريان قد سيطروا على لبنان حتى القرن الثامن ، حين نزح اليه الموارنة فاستأنسوا بالسريان ابناء البلاد الاصليين الذين رحبوا بهم ترحيبهم باخوان لهم في اللغة والجنس . فألفوهم وصاهروهم وامتزجوا بهم امتزاج الماء بالراح » . ويختم كلامه قائلاً « تلك حقيقة تاريخية راهنة . فالسريان استعمروا لبنان قبل سائر الامم النصرانية[٢٤] » .

فانت ترى انه يخصص لقب السريان ببني ملته من اليعاقبة والكاثوليك .

---

(٢٠) لامنس ١ : ٨   (٢١) ص ٢   (٢٢) ص ١٣

(٢٣) ص ٣٢ و٣٣   (٢٤) ص ٤٠ – ٤٢

مع انه يقر بان الموارنة « اخوان لهم في اللغة والجنس » لكنهم دخلاء في لبنان لم يطأوا ارضه الا في القرن الثامن حين نزحوا اليه وامتزجوا فيه باليعاقبة سكانه الاصليين . ثم تقووا عليهم وسلبوهم ديارهم وكنائسهم وارزاقهم ، وعاشوا متمتعين بخيراتهم ، كما سيوضحه في مكان آخر .

بيد ان حضرته لم يفسر لنا كيف تغلبت هذه الاقلية الدخيلة على الاغلبية اليعقوبية الاصيلة ، وكيف اصبح الفرع اصلاً والاصل فرعاً . وكيف ابتلع الموارنة اولئك اليعاقبة وكيف هضموهم فاختفى ذكرهم من لبنان . ولم يعد يجدد التاريخ اللبناني هذا الذكر الا في اواخر القرن الخامس عشر . حين اقبل بعضهم من صدد ونابلس والقدس ليتمتعوا بالراحة والرخاء المخيمين على لبنان في عهد مقدميه الموارنة . على انهم لسوء حظهم لم يستقر بهم المقام بل طُردوا . ولم يعد منهم الى لبنان الا بعض المرتدين الى الكثلكة ، وذلك في اواخر القرن الثامن عشر . قدموا ليحتموا بالموارنة اخوانهم في العقيدة الكاثوليكية[٢٥] .

١ — النصرانية في لبنان — اما ادعاؤه بان « النصرانية انتشرت في لبنان في القرن الخامس ، على يد مار سمعان العامودي وتلامذته ، فيدحضه التاريخ الذي اثبت ان النصرانية دخلت لبنان على ايديَ رسل السيد المسيح ، وان بطرس رئيس الرسل اقام على جبيل اسقفاً من تلاميذه اسمه حنا مرقس ، وعلى طرابلس اسقفاً اخر يدعى مارون[٢٦] ، مما يدل على ان هاتين المقاطعتين اصبحتا منذ فجر النصرانية ، ابرشيتين منظمتين ، غاصتين بالنصارى . ويروي التاريخ ايضاً ان الملك قسطنطين الكبير في اوائل القرن الرابع وخلفه تاودوسيوس ، قد حوّلا جميع الهياكل الوثنية في لبنان الى معابد مسيحية[٢٧] . ويدعي حضرة الفيكنت نفسه ، بان الملكة هيلانه ، والدة قسطنطين الكبير ، قد شيدت في لبنان عدة كنائس لمواطنيها السريان ، لانها كانت رهاوية[٢٨] . وقد صرح الاب لامنس اليسوعي ، الذي درس دخول

(٢٥) ص ١٦١ و٣٢٨ و٣٣٠

(٢٦) تسريح الابصار للاب هنري لامنس اليسوعي ١ : ١٠١ و١٠٣ حيث تجد المراجع الاصلية (٢٧) لامنس ١ : ١١٢ و١١٣ (٢٨) ٢٠٣ — ٢٠٦

النصرانية الى لبنان، بقوله[٢٩] « مما لا شبهة فيه ان الدين النصراني فاز بالسهم المعلى في الساحل الفينيقي في اواسط القرن الرابع مع ما تخلف فيه من بقايا الوثنية » . وذكر التلحري في كلامه عن المجمع الخلقيدوني، المنعقد سنة ٤٥١ لشجب اليعاقبة، اسماء اثني عشر اسقفاً لبنانياً حضروا هذا المجمع، مما يدل على انتشار النصرانية في لبنان قبل هذا العهد بكثير، حتى اصبح لها هذا العدد من الابرشيات المنظمة .

جميع هذه الوثائق وغيرها، مما لا يسعنا ايراده، تدل دلالة واضحة على ان النصرانية قد انتشرت في لبنان قبل عهد مار سمعان العمودي، المتوفى سنة ٤٦٠ . ومهما كان الامر فهذا القديس لم يكن يعقوبياً . والوثيقة التي ذكرها حضرة الفيكنت، تشير، على الارجح، الى وثني جبال النصيرية، التي كانت عهدئذٍ تابعة لمقاطعة فونيقي[٣٠] .

٢ — السريان اربع طوائف — ونحن نسلم مع حضرته بان الموارنة حين نزوحهم الى لبنان في اواخر القرن السابع وجدوه مأهولاً بالسريان . غير ان هؤلاء السريان، الذين نزلوا بينهم، لم يكونوا يعاقبة .

فسكان سوريا والجزيرة ولبنان كانوا، كما يعلم حضرته حق العلم، امة واحدة خاضعة لبطريركية انطاكية ثم تفشت البدع في سوريا فانقسموا الى اربع طوائف : نساطرة ويعاقبة وموارنة وملكيين . ففي اوائل القرن الخامس ظهرت بدعة النساطرة القائلين ان المسيح اقنومان الهي وانساني وانه ذو طبيعتين وان العذراء مريم والدة الاقنوم الانساني، فلا يجوز تسميتها والدة الله . فحرمهم مجمع افسس في السنة ٤٣١ . وعلى الاثر نشأت بدعة المنوفيزيين، الذين تسموا بعدئذٍ يعاقبة، القائلين بطبيعة واحدة في المسيح، فحرمهم مجمع خلقيدونيه سنة ٤٥١ . وقد انفصلوا نهائياً عن بقية الطوائف السريانية في عهد بطريركهم ساويرا (٥١٢ — ٥٣٨) كما يصرح حضرته[٣١] . وحوالي السنة ٦٣٣ او ٦٣٤ نشب في بلاد الروم الخلاف حول القول

(٢٩) لامنس ١ : ١٠٨ (٣٠) لامنس ١ : ١١٦
(٣١) ص ٢٥٧ و١٢ و١٣

بمشيئة واحدة في المسيح . ويقول التلمحري انه في السنة ٧٢٧ انقسم اتباع المجمع الخلقيدوني في سوريا نهائياً الى فئتين مارونية وملكية . وكان الموارنة على اثر انقطاع المواصلات بين سوريا والقسطنطينية ، حيث اقام بطاركة انطاكية بعد الفتح الاسلامي ، قد استقلوا عن بقية هذه الطوائف واخذوا يقيمون لهم بطاركة ومطارنة ، كما يروي التلمحري نفسه في تاريخه الشهير[٣٢] . واكبر الظن ان الموارنة اقاموا لهم بطريركاً بعد فراغ الكرسي الانطاكي بوفاة البطريرك جورج الثاني في القسطنطينية سنة ٧٠٢ . فالنساطرة استقلوا في الثلث الاول من القرن الخامس ، واليعاقبة في اوائل السادس ، والموارنة والملكيون في فجر القرن الثامن . وجميع هؤلاء سريان . فلماذا يخصص حضرته هذا الاسم بملته ويدعي انها سبقت جميع الطوائف الى سكنى لبنان حين كانوا كلهم قبل الانشقاق أمة واحدة متحدة خاضعة لبطريركية انطاكية ؟

٣ — سكان لبنان قبل الهجرة المارونية — فالموارنة الذين هاجروا الى لبنان في اواخر القرن السابع وفي غضون الثامن ، حلوا بلا ريب بين بني مذهبهم من سكانه الاصليين ، لا بين اليعاقبة او الملكيين اعدائهم .

ونحن نقيم الدليل على قولنا : اولاً من وجود سريان اصليين في لبنان كانوا على المذهب الماروني قبل هذه الهجرة . ثانياً من العداء الذي كان مستحكماً بين الموارنة واليعاقبة من جهة ، وبينهم وبين الملكيين من جهة اخرى ، مما يجعل نزول هؤلاء المهاجرين بين اعدائهم مستحيلاً .

نستدل على وجود سريان اصليين في لبنان كانوا على المذهب الماروني قبل الهجرة :

اولاً : من حضور جميع اساقفة لبنان المجمع الخلقيدوني ، المنعقد سنة ٤٥١ ضد اليعاقبة . فقد ذكر التلمحري في لائحة الحاضرين اسماء اساقفة عكا وصور وصيدا وبيروت وطبرجه وجبيل وانفه والبترون وطرابلس وعرقا وبعلبك ، مما يدل على ان اللبنانيين كانوا اغلبهم معادين لليعاقبة ولم

(٣٢) راجع كتاب «لباب البراهين» للمطران يوسف دريان ص ١٩٠ حيث تجد المراجع الاصلية

يكن بينهم مشايعاً لاوطيخي سوى اسطاتيوس اسقف بيروت . بيد انه تاب عن ذنبه واستغفر نادماً بحضرة اباء المجمع الخلقيدوني ورذل شيعة الاوطاخيين[٣٣] . ولو ناصر غيره البدعة اليعقوبية لكان من مصلحة التلمحري اليعقوبي ان يذكره، ولكان المجمع حرمه مع من حرم من القائلين بهذه البدعة .

ثانياً : مما ذكر عن الملك انسطاس المناصر لليعقوبية ، انه طرد سنة ٥١١ م من القسطنطينية عدداً غفيراً من الراهبات لرفضهن اعتناق هذه البدعة . فقصدن الى لبنان واستوطن فيه وهذا يدل على ان سكانه كانوا خلقيدونيين اخصام اليعاقبة[٣٤] .

ثالثاً . ان تاودوسيوس اسقف جبيل واسطفان مطران البترون وقعا اعمال المجمع المسكوني الخامس المنعقد سنة ٥٥٣ م ضد اليعاقبة . فهاتان الابرشيتان كانتا في ذلك العهد خلقيدونيتين[٣٥] .

رابعاً : من كلام التلمحري عن الاضطهاد الذي اعلنه على اليعاقبة الملك هرقل سنة ٦٢٨ . فهو يقول « ان الرهبان الموارنة واهل منبج وحمص، والبلدان الجنوبية منها[٣٦] قد اظهروا قساوتهم نحونا، وهدموا كثيراً من معابدنا واديارنا ، واستولوا على اهمها » . وهي اشارة الى ان سكان لبنان الشمالي ، وكانت حمص عاصمته الكبرى ، قد اصبحوا منذ ذلك العهد اخصاماً لليعاقبة، اي انهم كانوا خلقيدونيين .

خامساً : من كلام يشوعياب الثالث بطريرك النساطرة المتوفى سنة ٦٦٠ مسيحية . وقد اورد العلامة يوسف السمعاني في « المكتبة الشرقية »[٣٧] فقرة من كلامه عدد فيها البلاد التي « تعترف بثنية الاقانيم والخواص والافعال في السيد المسيح » اي الطبيعتين ، ظناً منه ان الذي يقر بطبيعتين في السيد المسيح يقر ضمناً باقنومين ، لان كل اقنوم لا بد له من طبيعة خاصة به . فبعد ان يذكر يشوعياب روميه العظمى وكامل البلاد الاوروبية

(٣٣) راجع مقالة الاب شارون في مجلة المشرق ٨ : ١٩٥

(٣٤) لامنس ١ : ١١٩ (٣٥) المشرق ١٠ : ٤٠٣

(٣٦) ܡܠܘܫܐ وأمعدنا

(٣٧) ٣ : ١٦١

واليونان وافريقيا واورشليم وقبرص يردف بقوله « وكثيرون من فلسطين وفونيقي » . مما يشهد على ان اكثرية اللبنانيين كانوا يقولون بالطبيعتين ، مضادين بهذا القول اليعاقبة . فاغلبية سكان لبنان الاصليين كانوا اذن في اواسط القرن السابع ، اي قبل الهجرة المارونية اليه ، من الخلقيدونيين . اما اليعاقبة فكانوا فيه اقلية لا يعتد بها . ولعلهم لم يكونوا قط من سكانه الاصليين .

سادساً : وحضرة الفيكنت نفسه يعترف بان اللبنانيين الاصليين انقسموا في القرن الخامس الى فرقتين يعقوبية وخلقيدونية . فاليعاقبة لم يعردوا بعد ذلك سكان لبنان الوحيدين كما يدعي . واليك كلامه[٣٨] . « في العصور النصرانية الاولى لم يكن من المسيحيين في اعالي لبنان ووسوطه سوى السريان سكانه . وقد اصبح اولئك السريان اللبنانيون منذ القرن الخامس فرقتين فرقة خلقيدونية قائلة بطبيعتين في السيد المسيح وفرقة منوفيزيتية قائلة بطبيعة واحدة . ولم يتبدل موقف المسيحيين في لبنان الا بدخول الموارنة اليه » .

هذا اقرار صريح بان شطراً من اهالي لبنان كان ، قبل دخول الموارنة اليه ، تابعاً العقيدة الخلقيدونية المضادة للبدعة اليعقوبية . وحضرته يعرف حق المعرفة ان الموارنة كانوا خلقيدونيين صميمين . فهل يعقل ان يترك المهاجرون الموارنة الى لبنان بني مذهبهم جانباً ليرتموا في حضن اليعاقبة اعدائهم ، وقد هجروا سوريا هرباً منهم . ولما كان الموارنة قد اقاموا في بادىء الامر في مقاطعات البترون وجبيل وجبة بشري فهذه المقاطعات كانت اذن مأهولة بسكان من بني مذهبهم . وهكذا تسقط حجة حضرته بان الموارنة نزلوا عند هجرتهم بين اليعاقبة وانهم امتزجوا بهم وصاهروهم . ثم استولوا على الاديار والكنائس والاوقاف التي كانت جميعها ملكاً لاجداده .

سابعاً – لدينا وثيقة يعقوبية تثبت ان مار يوحنا مارون كان متولياً

---

(٣٨) ص ٦٠و٦١

على ابرشية البترون قبل الهجرة المارونية . فاليعاقبة انفسهم يشهدون في كتاب معتقدهم ان الكردينال الذي اوفده الحبر الاعظم الى انطاكية لدعوة المنشقين الى الايمان المستقيم اقام مار يوحنا مارون اسقفاً على البترون سنة ٦٧٦ ليحفظ اللبنانيين على الايمان الكاثوليكي . وان مار يوحنا مارون قد صرح عند ترشيحه الى هذه الاسقفية بقوله « نخاف على جبل لبنان من ان تدوّره طائفة الملكية الى امانتهم . واما امانة يعقوب فلا اذكرها[٣٩] ».
فاذا كانت هذه الوثيقة اصيلة انفسح امامنا المجال لعدة أدلّة : فخوف مار يوحنا مارون على لبنان من الدعاية الملكية لا اليعقوبية يدل اولاً على ان الانفصال بين الملكيين والموارنة في لبنان بدأ عهدئذ . ثانياً ان اليعاقبة لم يكن لهم في لبنان مشايعون ، او كانوا اقلية ضعيفة لا خوف منها . على الاقل في لبنان الشمالي ، حيث نزل المهاجرون الموارنة . لاسيما ان تعهده بان لا يأتي على ذكر امانة يعقوب يدل على ان هذه البدعة لم تكن معروفة لدى العامة في لبنان . ثم ان « خوفه على لبنان من ان تدوّره الملكية الى رأيها » يستنتج منه ان اللبنانيين كانوا اغلبهم ثابتين على رأيه الماروني قبل الهجرة المارونية . ولما كان غير معقول ان ينزل الموارنة بين الملكيين اخصامهم ، فاكبر الظن ان مقاطعات البترون وجبيل وجبة بشري ، التي نزل فيها الموارنة في اول هجرتهم ، كانت مأهولة بسكان اصليين من الموارنة ، وان سكان الكورة قبل الهجرة المارونية كانوا ملكيين .
فيتحصل مما سبق ان اغلبية لبنان الشمالي كانت على المذهب الماروني قبل ان يهاجر اليه الموارنة .

ثامناً – وفي المكتبة الفاتيكانية مخطوط قديم يرتقي الى السنة ١٣٩٢[٤٠] ويحتوي على رسالة عنوانها « كتاب الايمان » ܟܬܒܐ ܕܗܝܡܢܘܬܐ وجهها مار يوحنا مارون الى اهالي لبنان من دير مار مارون الكبير على نهر العاصي في حماة قبل الهجرة المارونية . جاء في صدرها ما خلاصته « كتاب الامانة الذي كتبه يوحنا المكنى مارون . فانه لما اقيم بطريركاً

(٣٩) الدويهي ص ٦٢
(٤٠) تحت الرقم ١٤٦ من مخطوطاتها السريانية

على انطاكية وشاهد استفحال شأن البدع المبلبلة لطبيعة السيد المسيح فضل ان يبدل كرسيه من ان يبدل امانته. فهرب الى دير مار مارون على العاصي في حدود حماة حيث كان ثلاثمائة راهب من السريان الصالحين والمستقيمي الرأي. وهناك كتب هذه الرسالة ووجهها الى اهالي لبنان». فلو لم يكن له في لبنان رعايا من بني مذهبه لما وجه اليهم هذه الرسالة.

فاقامة مار يوحنا مارون اسقفاً على ابرشية البترون قبل الهجرة، ثم انتقاله مع رعاياه اليها، ونصبه كرسيه في كفرحي من اعمالها، دلائل على انها كانت مأهولة بالموارنة قبل هذا التاريخ. ثم اقامة خلفائه فيها وانتقالهم الى يانوح فيفوق، في اعالي جبيل، وبعدئذ الى قنوبين، في قلب جبة بشري، دلائل اخر على ان هذه المقاطعات كانت مارونية. ناهيك عن شهادة مؤرخي الصليبيين.

بقي ان يثبت لنا حضرة الفيكنت: اولاً ان الفينيقيين فرع من السريان. ثانياً ان القسم الجنوبي من جبال لبنان، اي كسروان والمتن والشوف، كان آهلاً باليعاقبة قبل الهجرة المارونية. فكل ما اتى به من المراجع خاص بالقسم الشمالي من لبنان. وقد بينا ان سكانه كانوا موارنة وملكية. واكبر الظن ان اليعاقبة لم يقطنوا في لبنان البتة قبل الهجرة المارونية او كانوا فيه اقلية ضعيفة لا شأن لها. ومهما كان الامر فسكان لبنان الاصليون لم يكونوا يعاقبة.

وخلاصة القول ان لبنان كان مأهولاً منذ بدء النصرانية بسريان خاضعين لبطريرك انطاكية. وفي اوائل القرن الخامس ظهرت بدعة المنوفيزيتيين، اي اليعاقبة القائلين بالطبيعة الواحدة في السيد المسيح، فحرمهم مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١. وقد حضر هذا المجمع جميع اساقفة لبنان ووافقوا على قراراته وخضعوا لها هم ورعاياهم. فدعوا خلقيدونيين تمييزاً لهم عن الهراطقة المذكورين.

وحوالي السنة ٦٧٦ سيم مار يوحنا مارون اسقفاً على البترون فاخذ يعنى برعاياه اللبنانيين الموارنة. وكان بطاركة انطاكية يقيمون في القسطنطينية منذ الفتح العربي. وفي السنة ٧٠٢ فرغ الكرسي الانطاكي بوفاة البطريرك

جورجي فاقيم مار يوحنا مارون بطريركاً على انطاكية خلفاً له . بيد انه اضطر تحت ضغط المراطقة ان يلجأ الى دير مار مارون على العاصي ثم الى لبنان . ولحقه جمهور غفير من موارنة سوريا هرباً من اضطهاد اليعاقبة، وانضموا الى بني مذهبهم .

وكان الخلاف قد نشب منذ مئة سنة بين الخلقيدونيين . وفي السنة ٧٢٧ انقسموا نهائياً الى موارنة وملكيين . فاصبح لبنان المسيحي مؤلفاً من الموارنة ، وهم الاغلبية ، ومن الملكيين . ولما وقع موارنة سوريا بين نارين، اي اضطهاد اليعاقبة والملكيين ، اخذوا يتزحون زرافات الى لبنان، ويقيمون بين سكانه الاصليين من بني طائفتهم ، لاسيما في لبنان الشمالي. ولما حاربهم الروم حاربوهم ودحروا اكثر من مرة جيوشهم في سهول البقاع . فاشتدت شوكتهم ونظموا في لبنان دولة مستقلة عن الروم والعرب تحت قيادة امرائهم ورئاسة بطريركهم . واحتلوا جبة بشري وجبيل والبترون وقسماً من بلاد عكار . اما مقاطعة الكورة فكانت اغلبيتها مأهولة بالملكيين .

وهذا يفسر لنا ما نجده حتى اليوم في لبنان من مقاطعات وقرى ملكية بجانب المقاطعات والقرى المارونية، كما هو الشأن في مقاطعات الكوره وعكار والمتن والشوف وصور وصيدا ، وبقية لبنان الجنوبي؛ ومنها قرى مزدوجة مثل دوما وبكفيا والشوير . ولم نسمع قط في لبنان عن مقاطعات او قرى او مزارع او اكواخ يعقوبية .

وعاش الملكيون والموارنة جنباً الى جنب منذ القرن الثامن حتى ايامنا هذه دون ان يمتزجوا ببعضهم ، بالرغم من وحدة الجنس واللغة والطقس . لان الملكيين كانوا مثل الموارنة تابعين الطقس السرياني الانطاكي . وفي القرن الثالث عشر ، لما استبدلوه بالطقس البيزنطي ، ترجموه الى لغتهم السريانية لجهلهم اليونانية . وما زالت بعض آثار الطقس السرياني ظاهرة في رتبهم البيزنطية الحالية .

فامتزاج الموارنة الكاثوليك باليعاقبة المراطقة « امتزاج الماء بالراح » مع شدة الخصومة بينهم حكاية وهمية لا تجوز على عقل انسان . لان

اعجوبة تحويل الماء الى خمر لم يجترحها سوى السيد المسيح . اما حضرة الفيكنت فلم يأتِ بها الا من مخيلته . ولا يعقل ان يرتمي الموارنة النازحون الى لبنان بين احضان اليعاقبة اعدائهم الالداء . وقد تركوا سوريا وخيراتها ومقتنياتهم فيها هرباً منهم . ولا يعقل ايضاً ان يصاهروهم لاسيما ان الزواج بين الكاثوليك والهراطقة محرم منذ القديم . اما يعاقبة طرابلس وجرنيه فاكبر الظن انهم قدموا الى لبنان مع الصليبيين وخرجوا من لبنان بعيد خروجهم منه . لان لائحة اساقفتهم في هاتين المدينتين تقتصر تقريباً على هذه الحقبة (١٠٩٨ – ١٢٨٩) . والذين قدموا منهم الى لبنان في اواخر القرن الخامس عشر لم يحتملهم الموارنة طويلاً بل طردوهم منه . فلم يندمجوا بالموارنة ولم يملأوا لبنان من نسلهم كما ادعى حضرة الفيكنت . فموارنة لبنان يمثلون القسم الاكبر من الخلقيدونيين السريان سكانه الاصليين . فهم اذن اصيلون في لبنان وليسوا دخلاء كما زعم حضرة الفيكنت . وقد انضم اليهم المهاجرون من موارنة سوريا فاصبحوا فيه الاغلبية الساحقة حتى اليوم .

٣ – هجرة موارنة سوريا الى لبنان

ناصب الموارنة اليعاقبة العداء منذ ظهور بدعتهم المنوفيزية في اواسط القرن الخامس . وقد استمروا على ذلك بعد هجرتهم الى لبنان . فنزول مهاجريهم في القرن الثامن بين اليعاقبة قول غير معقول . ولما جاء بعض اليعاقبة في اواخر القرن الخامس عشر الى جبة بشري ، تحت حماية مقدميها ، قام عليهم الموارنة وطردوهم . فحكاية انتشار اليعاقبة عهدئذ بين الموارنة في انحاء لبنان ، وانضمامهم اليهم مخالفة للعقل والتاريخ .

١ – العداء في سوريا – حالما ظهرت في سوريا بدعة المنوفيزيين ، الذين دعوا بعدئذ يعاقبة ، نهض رهبان مار مارون لمقاومتها . فكافأهم الملك مرقيان بان وسّع دير مار مارون على العاصي في السنة ٤٥٢ ، اي بعد انعقاد المجمع الخلقيدوني بسنة واحدة . كما يشهد ابو الفداء صاحب حمص في

كتابه « تقويم البلدان »[٤١]. والمشادة بين الفريقين لم تتوقف عند المجادلات، التي حفظت لنا الايام بعض نصوصها،[٤٢] بل تعدتها الى التنكيل والتدمير وسفك الدماء.

في السنة ٥١٧ فاز ساويرا بطريرك اليعاقبة، من انسطاس الاول ملك الروم، بمرسوم يأمر به اتباع رهبان مار مارون بالخضوع لهذا البطريرك. ولما لم يذعنوا جهز المطران بطرس اليعقوبي، المتغلب على ابرشية حمص، اعواناً اطلقهم على القرى والكنائس والاديار المارونية فنهبوها ونكلوا باهلها. واستباحوا دير مار مارون الكبير على العاصي فدكوا اسواره وابنيته، وسلبوا مقتنياته، وقتلوا من سكانه ثلاثمائة وخمسين راهباً. وارسلوا الباقين مكبلين بالسلاسل الى ساويرا بطريركهم. فقتل البعض منهم ونفى الآخرين. كما تروي الرسالة التي كتبها على اثر هذا الاضطهاد الرهبان المنكوبون الى البابا هرميزدا سنة ٥١٧[٤٣].

وفي السنة ٦٢٨ غضب الملك هرقل على اليعاقبة لانهم منعوه من تناول القربان في كنائسهم. فاصدر امراً باضطهادهم واخذ ينتزع الاديار والكنائس من ايديهم ويسلمها للموارنة اخصامهم. قال التلمحري: « حينئذ تركنا الكثيرون. واخذ الرهبان الموارنة واهالي منبج وحمص والبلدان الجنوبية يظهرون قساوتهم نحونا. واغلبهم سلموا المجمع (الخلقيدوني) واختطفوا منا كثيراً من الكنائس والاديار[٤٤].

وفي السنة ٦٥٩ شكانا اليعاقبة الى الخليفة معاوية في دمشق طالبين الاستيلاء على ما كان في يدنا من معابد واوقاف بحجة اننا انفصلنا عنهم. وكان الخلفاء في اول عهدهم يحاولون التوفيق بين الطوائف المسيحية المتناحرة. فامرهم ان يتجادلوا مع الموارنة بحضوره ليعرف الاصيل منهم،

---

(٤١) لباب البراهين ص ٣٣

(٤٢) راجع الرسالتين اللتين تبادلها رهبان الموارنة واليعاقبة، ونشرهما بالسريانية الاب نو Nau في مجموعته Opuscules maronites نقلاً عن مخطوط لندره رقم ١٢١٥٥ من الملحق. راجع عنها ايضاً تاريخ الموارنة للمطران يوسف الدبس ص ٣٦ و٣٧

(٤٣) الدويهي ص ٤٠–٥٢ وقد عرجا عن اعمال المجمع الخامس المسكوني.

(٤٤) لباب البراهين ص٨٨

وبالتالي صاحب الحق في هذه المؤسسات والاملاك . ولما غُلب اليعاقبة على امرهم خيّرهم معاوية بين ان ينضموا الينا او يدفعوا له غرامة سنوية قدرها عشرون الف دينار « لئلا يرخي بهم يده فيضطهدهم بنو الكنيسة ». ففضلوا دفع الغرامة[٤٥] .

وفي السنة ٧٢٧ ، على قول التلمحري[٤٦]، حدث الانشقاق النهائي بين الموارنة والملكيين لاجل عقيدة المشيئتين في السيد المسيح، التي زرعها في سوريا اسرى الجيوش العربية من المجلوبين عن بلاد الروم . فاخذ الملكيون يستعينون علينا بالخلفاء العرب ليضطهدونا كما كان يفعل اليعاقبة .

فكتب رهبان دير مار مارون الى صليبا زخا بطريرك النساطرة (٧١٤ – ٧٢٨) ليسعى لدى خليفة بغداد في كف ايدي الحكام عنهم وعن اتباعهم . فلباهم ، كما يروي البطريرك النسطوري طيمثاوس في رسالته اليهم[٤٧] .

وروى التلمحري ايضاً انه « في السنة ٧٤٦ اباح مروان ملك العرب للخلقيدونيين (الملكيين) فاقاموا توفيليطا بن قنبرة ، الذي من حران ، بطريركاً عليهم . وكان هذا صائغ الملك مروان . فاخذ عسكراً وامراً من مروان لاجل اضطهاد الموارنة . ولما أتى الى دير مارون ضايقهم لكي يقبلوا مذهبه » . ويختم المؤرخ كلامه بقوله « وبقي الموارنة كما هم اليوم (٨١٨ – ٨٤٨ عهد هذا البطريرك) يسمون انفسهم بطريركاً واساقفة من ديرهم . وهم يمتازون بالعقيدة عن المكسيميين (الملكيين) ولكنهم يقبلون المجمع الخلقيدوني[٤٨] »

وروى ايضاً المؤرخ نفسه قصة الخلاف العنيف الذي قام بين موارنة حلب والملكيين على كنيستها العظمى قبيل هذا التاريخ بقليل[٤٩] .

---

(٤٥) لباب البراهين ص ٨٩ و ٩٠

(٤٦) لباب البراهين ص ١٦٥ – ١٦٨

(٤٧) تجد نصها السرياني تحت رقم ٨١ من مجموعة المخطوطات البرجيانية Vat.Borgiano المحفوظة في المكتبة الفاتيكانية ورقة ٣٠٦ وما يليها . وقد عرب قسماً منها المطران يوسف دريان ونشره في كتابه « لباب البراهين » ص ١٦٦ – ١٧٨

(٤٨) لباب البراهين ص ١٥٩

(٤٩) لباب البراهين ص ١٥٥ – ١٥٨

وواصل الملكيون خطتهم في الاستعانة بالخلفاء والحكام العرب على التنكيل بالموارنة . فلجأ رهبان دير مار مارون الى طيمتاوس بطريرك النساطرة المذكور (٧٨٠ – ٨٢٣) ، الذي كان صاحب نفوذ كبير لدى خليفة بغداد ليحول دون ما يكيدونه لهم[٥٠]

فلم يعد اجدادنا يطيقون صبراً على هذا الاضطهاد المزدوج ، واشتدت مهاجرتهم الى لبنان حيث كان سبقهم عدد غير قليل من بني ملتهم .

بدأت الهجرة المارونية الى لبنان في اواخر القرن السابع على اثر الاضطهادات التي اثارها عليهم اليعاقبة مستعينين بالحكام العرب . وكانوا لديهم اصحاب كلمة ونفوذ لكثرة عددهم وحسن علاقاتهم بهم[٥١] . واشتدت في اواسط القرن الثامن لاضطهاد الملكيين اياهم ، فضلاً عن اليعاقبة . واستمرت حتى القرن الثاني عشر حين احتل الصليبيون اصدقاؤهم قسماً من سوريا الشمالية واساكلها البحرية حتى مدينة غزه في فلسطين . فخفت في عهدهم . ثم عادت الى اشد ما كانت عليه بعد خروج الافرنج من البلاد . لان مساعدة موارنة لبنان الحربية للصليبيين اوغرت صدور المسلمين عليهم . فلم يعد لهم مناص من نقمتهم الا بالالتجاء الى جبال لبنان المنيعة . وكان بنو ملتهم قد احتلوا معظمها من جبة بشري حتى المتن . اما المتأخرون منهم في سوريا وفلسطين فانضم اغلبهم الى الطوائف الباقية فيها .

وبالرغم من المسافة الشاسعة التي باتت تفصلنا عن اليعاقبة ظل هؤلاء يعدوننا اخصامهم ، كما صرح التلمحري بطريركهم في القرن التاسع ، وابن العبري مفريانهم في القرن الثالث عشر[٥٢] وكما صرح اخيراً حضرة الفيكنت في كلامه عن حوادث اهدن وبقوفا ، التي جرت في اواخر القرن الخامس عشر[٥٣] .

وكاد هذا الجرح المزمن يندمل بعد لجوء الكاثوليك منهم الى لبنان في القرن الثامن عشر ، وما لقوه بين الموارنة من العطف والكرم . الى

(٥٠) لباب البراهين ص ١٧٠
(٥١) تاريخ الكنيسة المارونية للمطران بطرس ديب ص ١٦٦ ولباب البراهين ص ١٦٨ (٥٢) لباب البراهين ص ٩١ و٩٢ (٥٣) ص ١٤١

ان نكأه المطران يوسف داوود بمهاجمته الموارنة في اعز ما لديهم ، اي في صحة عقيدتهم . وها ان حضرة الفيكنت يجدد فتح هذا الجرح بكتاب قضى عشرات السنين في اعداده « ونبش تلك الاخبار من دفائنها »[٥٤] ليمسخ تاريخهم ويحط من كرامتهم . ونحن اذا تصدينا له فانا نلتزم موقف الدفاع عن شرفنا المجروح وتاريخنا المشوه .

٢ – العداء في لبنان – ولم نعد نسمع عن اتصال الموارنة باليعاقبة الا في اواخر القرن الخامس عشر ، حين اقبل بعضهم من صدد والقدس ونابلس واقاموا في جبة بشري تحت حماية مقدميها . وقد صبر عليهم الموارنة لما اتصفوا به من حسن الضيافة وطيب العنصر . على انهم ، لما احسوا بهم يستثمرون هذه الضيافة لترويج ضلالهم وبث بذور الشقاق بين بني طائفتهم والتآمر عليهم مع الاعداء ، لم يعبأوا بتهديد المقدم عبدالمنعم المتشيع لهم ، بل صارحوهم العداء وطردوهم ومحوا معالم قرية بقوفا مقر مطرانهم .

وقد اقر حضرة الفيكنت عندما ذكر هذا الحادث[٥٥] بان الموارنة ظلوا حتى ذلك العهد يتخذون اليعاقبة خصماً لهم . ومع هذا الاقرار الصريح يقول لنا حضرته في صدر الفصل الحادي عشر[٥٦] « استفحل امر السريان في لبنان استفحالاً عظيماً منذ القرن الثالث عشر فتوصلوا بدهاء رعاتهم ودماثة اخلاق زعمائهم الى اكتساب عطف مقدمي البلاد وثقتهم ومحبتهم . . » وقال ايضاً في المكان عينه « وهكذا تابع السريان خطتهم الموروثة في حسن تعاطيهم مع القوم . وظلوا ينشرون اصول عقيدتهم بين سكان الجبل ثم عززوا اديارهم وكنائسهم وكراسي ابرشياتهم وزادوا في اوقافهم واريافهم . . . اما علماؤهم فانقطعوا الى تأليف الكتب العلمية والتاريخية والدينية وترويجها حواليهم . ولولا تلك المزايا لما بلغوا ما بلغوه من النجاح ونفوذ الكلمة لدى خاصة القوم وعامتهم » . ثم استأنف الكلام واصفاً « حرص السريان على مراعاة حسن الجوار ونشرهم لواء

---

(٥٤) صفحة ب (٥٥) ص ١٦١ (٥٦) ص ١١٢

الامن والعمران[٥٧] واستحكام صلات الحب الوثيقة بين الموارنة والسريان ومظاهر الالفة التي تبادلها هذان الشعبان السريانيان ورؤساؤهما في لبنان[٥٨]».

وقال ايضاً[٥٩] «ويعود الفضل في نشر لواء الامن والطمأنينة في لبنان الى مقدمي جبة بشري السريان الذين اشتهروا بالاحكام العادلة، وبعنايتهم استتبت الراحة وكثر العمران فانشئت المدارس والكنائس. ومن كانوا من النساخ في ذلك العصر ينيفون على مائة وعشرة (تاريخ الدويهي ص١٣٩)».

فنحن ننكر على حضرته قوله ان مقدمي جبة بشري كانوا يعاقبة. ونسلم معه ما نقله عن الدويهي بصدد انتشار الامن والعمران في عهد المقدمين المذكورين، خاصة المقدم رزق‌الله، الذي كان مارونياً صميماً. وهو لم يساعد اليعاقبة على الاقامة في لبنان الا لظنه انهم عنصر صالح، مسالم مفيد. غير انهم خيبوا ظنه فامسوا فيه مصدر الشغب والخراب. مما اضطر الموارنة الى طردهم.

فالمقدم رزق‌الله كان من الايوبيين الموارنة الذين تعين جدهم يعقوب حاكماً على جبة بشري سنة ١٣٨٢ م[٦٠] اعني قبل قدوم اليعاقبة الى لبنان بقرن كامل. ولا بد ان تكون اسرته عريقة في لبنانيتها ليتمكن من الوصول الى هذا المنصب السامي.

وقد عثرنا في مكتبة الفاتيكان، بين مخطوطات العلامة يوسف السمعاني التي آلت الى هذه المكتبة، على نبذة خطية للبطريرك الدويهي موضوعة تحت رقم ٧٢٨٥ من سجلاتها اللاتينية، سلسل فيها مقدمي جبة بشراي منذ السنة ١٣٨٢ حتى السنة ١٦٩٠. فيقول عن المقدمين الايوبيين، بعد ان ذكرهم واحداً واحداً، انهم انقرضوا في السنة ١٥٣٧ بمقتل المقدم عبد المنعم حنا. فانقراضهم ينفي تحدر اسر مارونية منهم.

اما المقدمون المتاحلة فقد ورثوا الحكم عنهم، كما صرح حضرة الفيكنت[٦١] نقلاً عن تاريخ الدويهي المطبوع[٦٢]. فالمقدم عز الدين ابن

---

(٥٧) ص ١١٣ (٥٨) ص ١١٣ (٥٩) ص ١١٢
(٦٠) الدويهي ص ١٣١ (٦١) ٢ : ٦٢ (٦٢) ص ١٦١

الشيخ جمعه العنحلي كان متزوجاً من بنت المقدم حسام الدين بن ايوب بن قمر الايوبي . وعرّفنا الدويهي ان الشيخ جمعه نزح الى لبنان سنة ١٤٧٠ واستقر في بشري[٦٣] بيد ان هذا المؤرخ يقول في نبذته الخطية[٦٤] « كان اصله ملكياً من عين حليا » . فلم يكن اذن يعقوبياً كما ادعى الفيكنت . وحضرته قد اقر في كتابه[٦٥] «ان عين حليا ، المجاورة لدمشق ، كانت آهلة بالسريان وبالروم الملكيين » . ولا يبعد ان يكون بعض الموارنة قد استوطنها ، بصفتها قرية مسيحية مجاورة لدمشق ، حيث كانوا كثيري العدد في ذلك العهد .

ومع هذا الاقرار فحضرته يصرح في رده علينا ان عين حليا كانت سريانية وجميع من قطنها كانوا من اصل يعقوبي . وهو ادعاء مردود من عين كلامه السابق . واستطرد حضرته بقوله « لم يقطنها ماروني واحد منذ بدء الخليقة حتى الان » فاقل ما نرد به هذا الزعم انه يحتاج الى اثبات ، بل انه خارج عن المعقول .

ومهما كان الامر فشهادة الدويهي تثبت ان الشيخ جمعه لم يكن يعقوبياً . وهذا يسقط ادعاء حضرته بانه جد عدد كبير من الاسر المارونية المتحدرة من اصل يعقوبي ، وفي مقدمتها اسرة الحلو التي نسب اليها زهاء خمسين فرعاً منتشرة في انحاء لبنان من شماله الى جنوبه[٦٦] .

ناهيك عن ان الدويهي قد عدد في نبذته الخطية افراد المقدمين العناحلة فرداً فرداً ، وانتهى بالقول انهم انقرضوا جميعاً . وقال في تاريخه المطبوع[٦٧] وهو يروي حوادث السنة ١٦١٣ « وبقتل جمال الدين يوسف انقرضت ذرية العناحلة » . وهذا ينفي انتساب اية اسرة مارونية اليهم . فضلاً عن انهم انضموا حالاً الى الطائفة المارونية واصبح الموارنة يعدونهم منهم وفيهم ، ويشدون ازرهم ضد المعتدين عليهم . ففي السنة ١٥٧٣ ، لما قتل الامير منصور المقدم عسافاً العنحلي وسلم حكم جبة بشري الى الشيخ ابي ساهب القريعي المسلم ، عصاه موارنة الجبة كما ذكر الدويهي

(٦٣) الدويهي ص ١٤٠ (٦٤) و ٢٣٠ (٦٥) ٢ : ٥٨
(٦٦) ٦٣ — ٦٨ (٦٧) ص ١٩٣

في نبذته الخطية[٦٨]. حتى اضطر الامير ان يعيد الحكم الى المقدمين المناحلة. فمين المقدم مقلد حاكماً على بشري[٦٩] نزولاً على شور كاخيته الشيخ يوسف ابي منصور حبيش[٧٠]. فالمقدمون الايوبيون كانوا اذن من صميم الموارنة، والمناحلة اصبحوا كذلك، وكان جدهم ملكياً. وهذا يفسر لنا سبب بقائهم في لبنان بعد طرد اليعاقبة منه سنة ١٤٨٨، كما سبق بيانه. فاستتباب الامن والرخاء في لبنان الشمالي وانتشار المدارس والكنائس فيه كان على ايدي مقدمي الموارنة الايوبيين.

ولم يكن لليعاقبة النازحين اليه حديثاً، المطرودين منه سريعاً، ادنى فضل في ذلك خلافاً لما يدعيه حضرة النيكمنت. بل ان هؤلاء الدخلاء، كانوا منذ قدومهم مصدر الفتن والقلاقل والدمار، كما بيناه وسنبينه فيما يلي.

ولما كان حضرة الفيكمنت قد استند الى زجلية ابن القلاعي والى تاريخ الدويهي ليبين عظمة الاعمال التي قام بها هؤلاء، وما كانوا عليه من الثقافة والسطوة والنفوذ والانتشار والكثرة، وما تحلوا به من حب الالفة ودماثة الاخلاق فنحن نحيله الى هذين المؤرخين لنثبت له انهما كانا يعدانهم «غرباء دخلاء مقلقين» وان العداء المتأصل في صدور الموارنة منذ كانوا ساكنين بجوارهم في سوريا، قد انفجرت مرارته في لبنان. واليك ما قاله ابن القلاعي عن المقدمين سالم وعبد المنعم المتحيزَين لهم:

فالمقدم سالم يصفه ابن القلاعي[٧١] بانه «طماع محب المال ظالم» ويقول ان رؤساء الموارنة حرموه وحلوا جنده من قسم الطاعة له وان الشعب عصاه:

كل الشعب ثبت ضده ومن الطاعة حلوا جنده
وصار يخزي محروم وحده يتلطى مع قومْ سريان

ثم يصف المعركة التي دارت في الفيدار بين الاعداء الذين هاجروا لبنان وبين الموارنة بقيادة ثلاثين من مقدميهم. فلما انتصر الموارنة قسموا الغنائم ثلاثين حصة. غير ان بطريركهم نهاهم عن تسليم المقدم سالم حصته

(٦٨) و٢٢٨
(٦٩) الدويهي المطبوع ص ١٧٤ و ١٧٥
(٧٠) و ٢٢٨
(٧١) ص ٨٤

« لانه ساقط عن الايمان » . ثم عزله واستبدله بالمقدم نقولا الذي تعهد له بان «ينظف زرع سالم ويقلع نسله العادم» . وفعلاً «نزل الى بشري في الليل . والهراطقة احسوا بالويل . وهربوا من جبل لبنان » . (٧٢) وختم ابن القلاعي روايته بان لبنان استراح بعد ذلك اربعين سنة من دسائس اليعاقبة . فاين ذهبت سطوتهم وكيف تسنى لهم ، بعد ان طُردوا ، ان ينتشروا في انحاء لبنان وينسلوا ؟ واين « الحب ومظاهر الولاء التي كان يتبادلها هذان الشعبان السريانيان » ؟ فمن طرف الموارنة قد عصوا مقدمهم وعزلوه لمجرد انحيازه الى اليعاقبة الغرباء . ثم طردوهم واستراحوا من مكايدهم اربعين سنة .

ثانياً – المقدم عبد المنعم – اخبرنا ابن القلاعي بما تم لليعاقبة الوافدين على لبنان ، من استجلاب هذا المقدم المغرور الى عقيدتهم فساعدهم على الاقامة في جبة بشري التابعة لحكمه ، واوهبهم الدور والديورة والارزاق . وبنى لهم كنيسة في بشري على اسم برصوما . واردف يقول (٧٣) .

فوقع الوسواس في الجبة وقلت منه المحبة

فاليعاقبة كانوا اذن مصدر الوسواس والبغض لا الالفة والحب ، كما يدعي حضرته . وقد روى الدويهي (٧٤) كيف ان اليعاقبة اضمروا الحقد لاهالي اهدن والانتقام منهم لطردهم الرهبان الاحباش من ديرهم مار يعقوب . فتآمروا سراً مع مقدمي الضنية الشيعيين ليفتكوا بهم على حين غرة . بيد ان الاهدنيين شعروا بما كاده لهم هؤلاء الضيوف «محبو الالفة والسلام والمراعون لحسن الجوار » فكمنوا للغزاة ، حتى اذا بلغوا اهدن احاطوا بهم وافنوهم عن آخرهم . ثم رأوا ان يقلعوا الشر من جذوره فهجموا على قرية بقوفا ، وكر اليعاقبة ومركز مطرانهم ، فحرقوا من فيها وما فيها ، ودكوها الى الحضيض ، مع ان نصف سكانها كانوا قد ثبتوا على العقيدة المارونية . واستطرد الدويهي بقوله « وهرب من سلم من اليعاقبة الى الساحل والى قبرس واستقر بعضهم في قرية حردين » . وختم روايته قائلاً

(٧٢) ص ٨٥ (٧٣) ص ٨٥ (٧٤) ص ٤١٦ و٤١٧

« واستراح لبنان من اليعاقبة الغرباء » . فما قولك في هؤلاء الدخلاء الذين يتغنى حضرة الفيكنت بدماثة اخلاقهم وحرصهم على مراعاة حسن الجوار وينعتهم برسل السلام والالفة والمحبة المسيحية ؟ حلوا ضيوفاً بين شعب يتمتع بالامن والراحة والرخاء ، كما اقر حضرته بذلك صريحاً ، فما استقر بهم المقام حتى عكروا أمنه ، وسلبوا راحته ، وحولوا رخاءه الى الخراب والدمار ، وبلاده الى بحر من الدماء . فاستحقوا التنكيل والطرد . ومع انهم طردوا حتى « لحقوا قبرس » فحضرته يصر على انهم استقروا في لبنان واندمجوا بالموارنة وصاهروهم ، واصبحوا جدوداً لاغلب اسرهم .

اما التدليل على « المحبة التي سادت بعد مائة سنة علاقات رؤساء هذين الشعبين السريانيين » من ان الرؤساء الموارنة رحبوا بمطران حردين اليعقوبي ودعوه لحضور مجمعهم المنعقد سنة ١٥٨٠ (٧٥) ، فان دل على شيء فعلى رحابة صدور الموارنة واملهم في رد هذا الزائغ الى حظيرتهم ، لان يعاقبة حردين موارنة الاصل .

واستناد حضرته الى ابن القلاعي ليثبت ان اجداده اليعاقبة « لم يكونوا غرباء عن البلاد بل اصيلين في هذه البقعة التي منحهم اياها الله . وانهم يستوون وغيرهم في الحقوق والواجبات » يدحضه ابن القلاعي نفسه . فهو قد عدهم قبل الدويهي غرباء ، ولا يشير اليهم الا بهذا النعت . فيقول لعبد المنعم ناصحاً (٧٦) .

الغربا اطردهم من فتوحك   لان الغريب ليس له ايمان
ولو كان الف غريب عندك   ربك وبلادك ضدك

ويوجه نصحه ايضاً الى بشري بقوله (٧٧)

فلكن توبي يا بشراى   واطردي الغريب الى برا

اما ادعاء حضرته بشأن تأثير اليعاقبة في الطقوس المارونية ، فسنفرد له مقالاً على حدة .

---

(٧٥) ص ١١٣   (٧٦) ص ٨٩   (٧٧) ص ٨٩

٤ – الكنائس والاديار

يدعي حضرة الفيكنت ان جميع الاديار والكنائس المارونية القديمة في لبنان كانت ملكاً لاجداده اليعاقبة، فاستولى عليها الموارنة. وقد ذكر ما قام منها في مقاطعات جبيل والبترون وجبة بشري واحداً واحداً، وجاهد في سرد البينات لاثبات زعمه. وبيّناته تنحصر في واحدة: ان السريان سبقوا الموارنة الى الاقامة في لبنان فجميع ما شيد منها قبل الهجرة المارونية كانت بيد اجداده. وهذه القاعدة تسري حتى على ما قام منها قبل ظهور البدعة اليعقوبية. كأن السريان جميعهم كانوا يعاقبة قبل ظهور اليعاقبة. والموارنة سريان، ولكنهم ليسوا بسريان، الا عند ما يسمح لهم حضرته بهذا اللقب وفقاً لاغراضه. وقد اوردنا تصريحاته بهذا الصدد فلا تستغربن هذه الاعجوبة.

وقسم حضرته هذه الكنائس والاديار الى ثلاث فئات: الاولى شيدتها في القرن الرابع الملكة هيلانة والدة الملك قسطنطين الكبير لابناء ملتها السريان لانها كانت رهاوية[٧٨]. والثانية شيدها في القرن السادس الملك يسطنيان الكبير (٥٢٧ – ٥٦٥) لليعاقبة اكراماً لزوجته الملكة تئودورا الرهاوية[٧٩]. والثالثة قامت بين السنة ٥٦٥، التي توفي فيها الملك يسطنيان، والقرن الثامن الذي هاجر فيه الموارنة الى لبنان. وهي ايضاً كانت ملكاً لليعاقبة لانها بنيت على نسق هندسة كنائس العصر اليسطنياني[٨٠]. وختم حضرته كلامه بقوله[٨١] «يستخلص مما تقدم ان جميع كنائس لبنان واديارہ، التي سبقت القرن الثامن، انما انشأها السريان بسعيهم ومالهم وجهودهم او شيدوها بسخاء القياصرة والولاة المسيحيين». بارك الله في هذا المنطق السليم!

فنحن نلفت نظره بما يخص الفئة الاولى الى ان الملكة هيلانة عاشت في القرن الرابع واليعاقبة لم يظهروا الا في اواسط الخامس. وقد نسي

(٧٨) ص ١٩٩ – ٢٠٦

(٧٩) ص ٢٠٥ – ٢٢١

(٨٠) ص ٢٢٣

(٨١) ص ٢٠٨

حضرته ما ادعاه سابقاً بان السريان بشروا اللبنانيين بالنصرانية في القرن الخامس . فهل كانت الملكة هيلانة تبني هذه الكنائس للوثنيين ؟ وقد بينا له في ما سبق ان النصرانية دخلت لبنان منذ القرن الاول مع رسل السيد المسيح . فلا حاجة لتكرار هذا الرد .

ويدعي حضرته ان يستنيانس الكبير شيد الكنائس لليعاقبة اكراماً لزوجته تيودورا الرهاوية مع ان الملك المذكور كان عدواً لليعاقبة دينياً وسياسياً كما هو مشهور . وعقد ضدهم في السنة ٥٥٣ مجمعاً جدد فيه حرمهم(٨٢) وسامهم الذل والهوان طيلة ملكه المديد . ولما فكر في السكوت عنهم دبروا عليه تلك الثورة التي حرقوا في اثنائها قصره وكاتدرائية آجيا صوفيا . ولولا حزم وامانة قائد جيشه بليزار لاضطر الى الهرب . بيد انه نكل بهم اشد التنكيل . اما تيودورا زوجته سبب كل الفتن التي ظهرت في مدة ملكه فلم تكن تجسر ان تتظاهر بميلها الى اليعاقبة خوفاً من بطش زوجها وبطش الشعب بها . وكان الشعب ناقماً عليها لحقارة اصلها . فقد كانت بهلوانة ، وكان والدها حارساً لوحوش الملعب . بيد انها كانت تسترضي الشعب عنها بما تقيمه له من الالعاب البهلوانية(٨٣) .

وهب انها توصلت لتشييد كنائس واديار لليعاقبة ، فليس هناك بينة بانها شيدتها في لبنان .

اما ما قام في لبنان الشمالي من المعابد بعد وفاة الملك يستنيانس وقبل الهجرة المارونية اليه فقد بينا ان هذا القسم كان مأهولاً بالخلقيدونيين ، لا باليعاقبة . ونحن نسأل حضرته لماذا احصى قرى معاد وشامات وبجديدات وحفد من « بيع السريان في قضاء كسروان »(٨٤) مع انها تابعة مقاطعة جبيل ؟ أيجعل هذا القضاء ايضاً مأهولاً باجداده ؟ وحضرته يعلم بان حجة التملك لا تثبت صحتها بالرجم في الغيب بل بالوثائق الاصيلة والمنطق السليم .

على ان منطق حضرته لا يقف عند هـذه الحدود التي تضيق عليه

(٨٢) الدويهي ص ٦٨
(٨٣) راجع تاريخ اوروبا وفرنسا من السنة ٣٩٥ الى السنة ١٢٧٠ للمؤرخ ملين ص ١٥٦ — ١٨١
(٨٤) ص ٢٢١ — ٢٢٦

المجال وتفسحه لبعض هذه المؤسسات ان تفلت من النطاق اليعقوبي الذي ضربه حولها بغاية الاحكام . يكفيه ان تقام الكنيسة على اسم قديس يكرمه اليعاقبة، وان كان مكرماً عند جميع الطوائف السريانية، كي تصبح هذه الكنيسة ملكاً لليعاقبة . فاذا كُرست لوالدة الله مريم ، او على اسم الصليب المقدس ، او على اسم قديس سبق عهد الانشقاق ، فهي « حتماً ودون ريب ولا جدال لاجداده اليعاقبة » لانه سبق واحتكر لهم هذا الحق . فلا تنفع لديه حجة الموارنة بان ثلثي كنائسهم مقامة تكريماً لوالدة الله[٨٥] وانهم الوحيدون في الشرق الذين حافظوا حتى اليوم على ابهة الاحتفال بليلة ذكرى ارتفاع الصليب[٨٦] . فحكمه في هذه القضية مبرم لا يقبل جدلاً او استئنافاً .

ومن غرائب احكامه ذلك الذي اصدره في تملك اليعاقبة لكنيسة مار جرجس القديمة في اهدن لانها ، على زعمه ، « مقامة تكريماً لوالدة الله ومار جرجس ومار الجاي[٨٧] » . وبرهانه على ذلك ان هذا القديس الاخير غير معروف الا عند اليعاقبة . ووجه الغرابة في هذا الادعاء انه يستند الى حكاية عثور البطريرك الرحماني في دير مار شليطا ، مركز البطاركة الموارنة قديماً ، على مخطوط يحتوي قصة هذا القديس فنسخها[٨٨] . وهذا برهان قاطع على ان هذا القديس لم يكن معروفاً عند الموارنة !

اما قرية يانوح كرسي بطاركة الموارنة في العصور الوسطى ، فهي ايضاً يعقوبية الاصل ، لان ابن القلاعي يذكر راهباً خرج منها وانضم الى اليعاقبة[٨٩] . وهذا برهان واضح على ان القرية وكنائسها كانت ملكاً لليعاقبة .

وغير ذلك من المغالطات والتخيلات والسفاسف والاوهام حشا بها الجزءين الضخمين من كتابه حتى مللنا قراءته . ونحن نعفي القراء من تكرارها خشية ان يتولاهم الضجر والاشمئزاز . ومع ذلك لا يسعنا

(٨٥) وضع الاب جودار Goudard كتاباً ضخماً عن معابد والدة الله في لبنان
(٨٦) راجع مقدمتنا على ميمر القديس كيرلس الاورشليمي في ارتفاع الصليب
(٨٧) ص ٢٤٨ (٨٨) ص ٢٤٩ (٨٩) ص ٢٣٠

السكوت عن تبجحه بفضل اجداده اليعاقبة على طائفتنا المارونية . وقد ملأ الدنيا صياحاً به . وذهب الى ان البطاركة الموارنة يعيشون الآن من سخاء هؤلاء الدخلاء ، مشيراً الى ذلك بلهجة يستنكرها كل ذي ذوق سليم . فقال[٩٠] « وبانات اديار الموارنة من سخاء السريان الذين حبسوا عليها الاموال كما حبسوا على اديارهم وكنائسهم نفسها . يشهد على ذلك وقفية مهمة تبرعت بها زوجة المقدم قمر العنحلي على دير قنوبين كرسي البطريركية المارونية سنة ١٤٦٠ في عهد البطريرك بطرس بن حسان الحدثي (١٤٥٨ – ١٤٩٢) .

ويردف حضرته بقوله « والحاج قمر المشار اليه هو رأس عترة المقدمين العناحلة السريان الذين انتقل اليهم الحكم في بشري سنة ١٥٤٧ ، بعد انقراض دولة المقدمين ابناء سيفا » .

فحضرته يخلط هنا في التاريخ ويقدم ويؤخر فيه على هواه للوصول الى غرضه من اثبات فضل اجداده على البطريركية المارونية . بيد انه يقع في تناقض يضحك الثكلى . فيقول ان الوقفية تمت في السنة ١٤٦٠ ، وان المقدم قمر زوج الواقفة هو رأس المقدمين العناحلة السريان ، الذين تولوا حكم بشري سنة ١٥٤٧ . فتكون زوجته قد وقفت على الكرسي البطريركي الماروني قبل ان تولد هي وزوجها ، وقبل ان يتولى المذكور الحكم بسبع وثمانين سنة ، وقبل ان ينزح الشيخ جمعه ، جد العناحلة ، الى لبنان بعشر سنين ، لان الدويهي يذكر قدومه من عين حليا سنة ١٤٧٠[٩١]

فالمقدم قمر ، يا حضرة الفيكنت ، هو احد ابناء الشدياق يعقوب ، جد المقدمين الايوبيين ، الذي تولى الحكم ، منذ السنة ١٣٨٢ حتى السنة ١٤٤٤ . فزوج الواقفة لم يكن من العناحلة ، بل من المقدمين الايوبيين الذين انقطع نسلهم سنة ١٥٤٧ ، فورث الحكم عنهم عز الدين العنحلي ، لانه كان متزوجاً منهم . والعناحلة هم ابناء الشيخ جمعة وليس ابناء قمر ، فرأس

(٩٠) ١٦٠
(٩١) ص ١٦٠

عترة مقدميهم هو عز الدين . ومهما كان الامر فالشيخ جمعة جد المقدمين العناحلة كان ملكياً ، بشهادة البطريرك اسطفان الدويهي « امام المؤرخين » وقد انضم حالاً الى الموارنة . فلم يكن اذن يعقوبياً ، والبطاركة الموارنة لا يعيشون اذن من فضل اجدادك . ولكن « الغرض مرض » كما يقول المثل . وهذا المرض يعمي البصر . ولعلك ظننت ان الموارنة عميان سوف لا يبصرون ما بينته لهم بمغالطاتك فحولت وقفية سيدة مارونية على بطاركة طائفتها ، الى وقفية يعقوبية « سخا بها » اجدادك عليهم .

ويقول حضرته ايضاً ، للغرض عينه ، تحت عنوان « وضع الموارنة يدهم على بقايا اراضي السريان واوقافهم ، ان السريان اللبنانيين بعدما حلت بهم كوارث اهدن وبقوفا اخذت تتوالى عليهم النكبات حتى اصبحت حياتهم محفوفة بالمخاطر . فاضطروا الى مغادرة بشري . واستولى الموارنة على بيوتهم واراضيهم ومواشيهم ومعابدهم واوقافهم وجميع مقتنياتهم . لان الموارنة اتخذوا السريان خصوماً لهم في العقيدة فتقووا عليهم .. بل هاجموهم وغنموا اراضيهم وخيراتهم »[٩٣] .

فنسأله : اذا كان اجداده اضطروا الى مغادرة بشري فكيف اصبحوا ، على زعمه ، جدوداً لمقدميها واسرها المارونية ؟

ويقول حضرته انه أخذ الفقرة الاخيرة عن كلامنا في المجلة البطريركية ٥ : ٥١٤ . ولما رجعنا اليها وجدناه قد حرّف كلامنا فاخرجه عن معناه . واليك نص فقرتنا بكامله « ان زجلية ابن القلاعي عبارة عن عظة لابناء وطنه ، ولاسيما اهل القرى المتورطين في البدعة اليعقوبية . والقضية التي يدافع عنها تتلخص في ان الموارنة ، كما يقول الكتاب المقدس عن العبرانيين ، اذا تمسكوا بالعقيدة الكاثوليكية اتحدوا في الرأي فتقووا على الاعداء المجاورين لهم وردوا غاراتهم بل هاجموهم وغنموا اراضيهم وخيراتهم وتنعموا بالامن والراحة والرخاء . اما اذا اختلفوا في المذهب اختلفوا ايضاً في السياسة ، فتفرقت قواهم وتضعضت احوالهم واصبحوا

(٩٣) ص ١٦١

فريسة لاعدائهم . وما سرد ابن القلاعي الحوادث التاريخية الا لدعم حجته».

فالقارىء يدرك بسهولة اننا نعني الاعداء الخارجين عن لبنان لا اليعاقبة المقيمين فيه بين الموارنة . وابن القلاعي صريح في ذلك فهو يتكلم عن المقدمين المسلمين[٩٣] بيد ان حضرة الفيكنت لم يحجم عن تحريف كلامنا ليتوصل الى اثبات تعدي الموارنة على ارزاق ومواشي اليعاقبة وانهم يعيشون الآن من نعمتهم . ومهما كان الامر، فابن القلاعي ، الذي كان ساكناً لبنان في اثناء هذه الحوادث ، يصرح بان هؤلاء اليعاقبة جاؤوا الى جبة بشري « طالبين السكنى والزاد»[٩٤] . اي انهم جاؤوا اليه جائعين شحاذين . وحضرته يعترف بان المقدمين الموارنة اعطوا اجداده عند قدومهم الى لبنان في اواخر القرن الخامس عشر بيوتاً للسكن واديار اً لرهبانهم واوقافاً لمعاشهم[٩٥] . فالشعب الماروني قد استردها منهم عند طردهم .

فاذا اضفنا هذا التحريف الى جعله المقدم قمر عنحلياً يعقوبياً ، والى تقديم ظهوره سبعاً وثمانين سنة ، والى استعارة حضرته لوائح اساقفة يعاقبة ، تولوا على ابرشيات في قيليقية وما بين النهرين ليلصقها بقريتي حدث الجبه والكنيسي وبمدينة عرقا العكارية ، حق لنا ، كما سبق القول ، ان نشك في صحة جميع النصوص التي كدسها في كتابه دعماً لمزاعمه .

* * *

وخلاصة القول ان الجزء الاول من كتاب حضرة الفيكنت قائم على دعامتين واهيتين :

الاولى ان اليعاقبة هم سكان لبنان الاصليون . سيطروا عليه حتى القرن الثامن ، حين نزح اليه الموارنة من سوريا ، فامتزجوا باليعاقبة امتزاج الخمر بالماء . فاليعاقبة اصليون في لبنان واصحاب الحق الاول فيه . اما الموارنة فدخلاء عليهم وابناء نعمتهم .

والدعامة الثانية هي ان جميع الابرشيات القديمة في لبنان كانت

(٩٣) ص ٤٨ و٥٩ (٩٤) ص ٦٣ (٩٥) ص ١٠٧

يعقوبية . لجميع اديارہ وكنائسه واوقافه وارزاقه كانت ملكاً لليعاقبة . اغتصبها منهم الموارنة ، او ورثوها عنهم .

ولما كان لبنان الشمالي مهد الموارنة ومنه قد انتشروا في مقاطعات كسروان والمتن والشوف والجنوب ، فقد حصر حضرته همه في جعله يعقوبياً صرفاً . فمقاطعتا حدث الجبه وعكار ، كانتا على زعمه ، ابرشيتين يعقوبيتين ، الصق لكل منها لائحة طويلة من اساقفة يعاقبة تولوا عليها . وسترى انه في الجزء الثاني من كتابه سيحدر اهم اسر اهدن وبقوفا وبشري وحصرون من اجداد يعاقبة ، ملأ نسلهم ، على قوله ، قرى جبيل والبترون ووسط لبنان وجنوبه .

فرددنا على زعمه الاول مثبتين بادلة صادقة وبراهين قاطعة ان سكّان لبنان الاصليين قبل الهجرة المارونية ، كانوا ، جلهم ان لم نقل كلهم ، خلقيدونيين اي انصار المجمع الخلقيدوني ، الذي انعقد سنة ٤٥١ مسيحية ، شجباً للبدعة اليعقوبية واتباعها . وبعد السنة ٧٢٧ م انقسم الخلقيدونيون في لبنان وسوريا الى موارنة وملكيين . وهو ما يفسر لنا ما نجده حتى اليوم في لبنان من مقاطعات وقرى ملكية بجانب مقاطعات وقرى مارونية . فالموارنة اصيلون في لبنان واليعاقبة دخلاء عليهم .

وهكذا انهارت الدعامة الاولى من كتاب حضرة الفيكنت ، وانهار معها كل ما شيده عليها .

ثم اثبتنا له ان لوائح الاساقفة اليعاقبة ، التي طبقها على ابرشيات الحدث في الجبة وعرقا والكنيسي في عكار ، قد خصصها ميخائيل الكبير ، الذي اخذها عنه ، بابرشيات يعقوبية واقعة في قيليقية وما بين النهرين . فسقطت الدعامة الاخرى من كتابه ، لاول كرة نقدية ، وسقط معها بقية الصرح اليعقوبي الوهمي الذي اقامه عليها .

وسنتناول بالنقد ، في مقالنا القادم ، كلام حضرته في الاسر المارونية المتحدرة ، على زعمه ، من اصل يعقوبي . فندك أركانه واحداً واحداً ، مستعينين بالله وبالمعاول التاريخية ، التي بين يدينا .

القسم الثاني

الاسر المارونية في لبنان

شاهد القراء كيف انهار الصرح الذي شيده حضرة الفيكنت طرازي في الجزء الاول من كتابه « اصدق ما كان في تاريخ لبنان » ، لانه اقامه على ركنين وهميين . فلم يتحمل صدمة نقد

وكنا نظن اننا اصبحنا بعد ذلك في حل من نقد الجزء الثاني ، الخاص بالاسر المارونية ، لانه يرتكز على هذين الركنين . بيد اننا وجدناه قد اتى فيه ببعض ادلة لم يذكرها في الجزء الاول . فتحتم علينا ان نقول كلمة فيها ، ولو اضطررنا احياناً الى بعض التكرار .

وقد نبهنا القراء في مقالنا الاول الى الغاية التي يتوخاها حضرته في هذا الجزء الثاني ، وهي تحدير الاسر المارونية المعروفة ، جلها واجلها ، ان لم نقل كلها ، من أرومات يعقوبية . وانه حصر جهده في اسر لبنان الشمالي لان الموارنة قد امتدوا منه ، منذ القرن الخامس عشر ، الى مقاطعات كسروان والمتن والشوف والجنوب . فالمئات من هذه الاسر ، ومئات الالوف من افرادها ، خارجون ، على زعمه ، من صلب سبعة او ثمانية جدود يعاقبة ، نزحوا من سوريا وفلسطين واليمن وما بين النهرين في اواخر القرن الخامس عشر ، واستقروا في لبنان الشمالي ، حيث نموا وكثروا وانضموا رويداً رويداً الى الطائفة المارونية ، فالفوا القسم الاكبر منها . كأن لبنان كان خاوياً خالياً قبل مجيئهم .

ولم يعف حضرته حتى عن البطريرك الدويهي ، الذي يعتبره « امام المؤرخين » ، مع انه وضع المؤلفات المطولة عن اصل الموارنة واثبت تنزه اجدادهم عن الهرطقة اليعقوبية ؛ ولا عن المطران جبرائيل ابن القلاعي اللحفدي ، الذي ولد قبل قدوم اليعاقبة بربع قرن ، وقضى حياته في محاربتهم بكل ما أوتي من حماس وعلم وفصاحة .

يعقوب باهدن . وروى ايضاً[٩٧] ان عبد المنعم مقدم جبة بشري مال الى معتقد اليعاقبة الغرباء ، فناصرهم وبنى لهم كنيسة في بشري على اسم برصوما ، وان نوح البقوفاوي سيم مطراناً على يعاقبة لبنان ، واتخذ بقوفا ، الواقعة بين اهدن وبشري ، مركزاً لكرسيه ، واستمال الى بدعته بعض الجهلة من مواطنيه ورسم بعضهم رهباناً وبعضهم قسوساً

هذا كله صحيح . بيد ان المؤرخ نفسه اخبرنا عن مصير هؤلاء الدخلاء ، قبل ان تمضي على اقامتهم ثماني عشرة سنة فقال : ان الموارنة ، وفي مقدمتهم الاهدنيون ، لما تبينوا نياتهم في استجلاب ابناء الطائفة الى بدعتهم ، ورأوا الشغب الذي احدثوه ، وعلموا بالمؤامرة التي دبروها لاهلاكهم ، وثبوا عليهم سنة ١٤٨٨ وطردوهم من لبنان ، واحرقوا قرية بقوفا معقلهم ومركز مطرانهم ، ودكوها الى الارض . ووضع بطريركهم حرماً على من يعود يبنيها . واردف الدويهي بقوله « فهرب نوح وجماعته . فالبعض منهم جعلوا مسكنهم في الساحل ، والبعض فروا الى قبرس وآخرون امرهم المقدم ان ينتقلوا الى حردين » . وختم بقوله « واستراح جبل لبنان من اليعاقبة الغرباء[٩٨] » .

ثم روى بين حوادث السنة ١٤٩٥ كيف « هلك المقدم عبد المنعم . قصر الله عمره لانه لم يعتبر حرم البطريرك . وكان قبل ان يموت قد اوصى ابنه المقدم يوسف بان يحسن معاملة اليعاقبة . غير انه لم يعمل بوصية ابيه بل تمسك بالامانة المستقيمة . وكذلك اتباع ابيه رجعوا عن بدعتهم واحسنوا سيرتهم »[٩٩] حتى ان بختيه زوجة ابنه جددت كنيسة بقاعكفرا[١٠٠]

فحضرة الفيكنت قد اورد هذه الفقرة الاخيرة من كتاب الدويهي المطبوع مبتورة . فذكر توصية عبد المنعم لابنه بان يحسن معاملة اليعاقبة ، لان ذلك يوافق غرضه ، انما اغفل عمداً ما نبه الدويهي اليه بان الابن لم يعمل بوصية ابيه بل تمسك بمذهب طائفته المارونية . وان اتباع عبد المنعم الموارنة عادوا بعد موته عن ضلالهم واحسنوا سيرتهم . اقدم حضرته على هذا البتر

(٩٧) ص ١٦١ و٤١٥ (٩٨) ص ١٦٢ و٤١٦–٤١٧

(٩٩) ص ٤٢٥ (١٠٠) ص ١٦٣ وفي نبذته المخطوطة المذكورة آنفا ورقة ٢٢٩

ليوهم قراءه ان المذكورين ثبتوا على البدعة اليعقوبية وامسوا اجداداً لكثير من الاسر المارونية . وهذا لا يجوز ان يرتكبه مؤرخ صادق ، وينبيء عن نية مبيتة لقلب الحقائق طبقاً لمرامه .

ومع ذلك فحضرته قد اورد بقية الفقرات[١٠١] فعلم حق العلم ان اليعاقبة الذين قدموا الى جبة بشري في اواخر القرن الخامس عشر ، لم يقيموا فيها اكثر من ثماني عشرة سنة بل طردوا . فهربوا حتى « لحقوا قبرس » . ولم يعد لهم بعد السنة ١٤٩٥ ، التي مات فيها عبد المنعم حاميهم ، من مقر ولا نفوذ . ومع ذلك يصر على القول بانهم استقروا في هذه المقاطعة وانضموا رويداً رويداً الى الطائفة المارونية ، واصبحوا فيها الاغلبية الساحقة[١٠٢]

فالشيخ جمعه ، النازح من عين حليا كان ، بشهادة الدويهي نفسه ، ملكياً لا يعقوبياً ، كما بيناه سابقاً . والمطران ديوسقوروس ضو ورهبانه لم يملأوا لبنان من نسلهم ، لانهم كانوا غير متزوجين . وهكذا القول في القسيسين اخوي الشدياق جرجس ، اولاد الحاج حسن النابلسي ، الذين نزلوا حدشيت . واكبر الظن انهم هربوا اسوةً ببقية ابناء مذهبهم لاننا لم نعد نجد لهم ذكراً بعد السنة ١٥٠١ مسيحية .

بقي من اليعاقبة النازحين ، الذين ذكرهم الدويهي ، الشيخ شاهين المشروقي الذي استوطن حصرون . هب انه كان يعقوبياً ، فقد انقطع نسله بقتل احفاده ، اولاد الشدياق يوسف خاطر ، « الذي تزوج من بنات ضيعته وتعين مقدماً عليها » ، كما يروي الدويهي في نبذته الخطية .

ولو فرضنا ان نسله لم ينقطع وان الشدياق جرجس ابن الحاج حسن لم يهرب ، فكيف اصبح لبنان الشمالي بوقت وجيز مغطى من نسلهما . واين ذهب سكانه الاصليون ؟

فالدويهي قد وصف البلاد عامرة باهلها قبيل مجيئهما[١٠٣] بقوله « ومن اخبار هذا العصر نستدل على انه في دولة المقدمين واحكامهم العادلة

(١٠١) ١ : ١٠٧ و١٠٩ و١٤١ و٢ : ١٣٩

(١٠٢) ٢ : ٧٣ و٧٥ و٩٥ وغيرها

(١٠٣) ١٣٩ و١٤٠

حاشية : ونحن بهذه المناسبة نسأل حضرة الفيكنت صفحاً اذا اطلقنا على اجداده لقب « اليماقبة » . فقد استعمله في كتابه « السلاسل التاريخية » على طول الخط ، من الجلد الى الجلد . وليس لدينا لقب آخر ندل به عليهم الا لفظة « مونوفيزيتين » وهي غريبة وثقيلة ، لا تطيق اذان القراء سماعها . وان لقبناهم مثله « بالسريان » التبس هذا اللقب على الجميع ، لان السريان اربع طوائف ، كما سبق شرحه .

قلنا ان حضرته جاهد لاعادة جميع اسر لبنان الشمالي المارونية الى اصل يعقوبي . فبعد ان حول مقاطعتي عكار وحدث الجبة الى ابرشيتين يعقوبيتين ، جعل اهم اسر اهدن يعاقبة الارومة . كآل الدويهي وكرم وسعادة وستيته وعبيد وجبلص وحواوكبه وبسول وايوب وخضير . . .
وهكذا القول من آل الرزي وضاهر وكنعان وداغر من بقرقا ، وعن سكان بشري من آل رحمه وكيروز والحلو . وقد الصق بهذه الاسرة زهاء خمسين فرعاً ، منتشرة في جميع انحاء لبنان ، من شماله الى جنوبه .
واكبر اسر حصرون متحدرة على زعمه من شاهين المشروقي ، فهو جد السماعنة وآل عواد ومسعد وشدياق ومطر وفرحات والحاج ، وغيرهم .
ومقدمو العاقورة واهلها خرجوا من صلب ابي الغيث اليمني اليعقوبي ، جد آل العنيسي ودحداح وملحمه ومرعب وعماد وهاشم وشلق وسيوفي وفاضل وكساب والسخن ومعوشي ونجم وسالم وغيرهم .

اما باقي الاسر المارونية فمن اجداد يعاقبة انتقلوا الى لبنان من بلدان ودساكر وقرى « لم يدخلها غير اليعاقبة منذ بدء الخليقة حتى اليوم » .
فمن غسان قدم مشايخ آل الخازن وآل غانم ، واسرة ضو ، التي علق بها اربعاً وعشرين فرعاً ، ملأت جبيل والبترون والفتوح والمتن ، بينها آل لحود ولبكي ونعمه ، وغيرهم كثيرون .

واستجلب من بقية البلدان « المأهولة على زعمه صرفاً باليعاقبة » ، جدود آل الزغبي والدبس وزوين وثابت وبركات وعقل وخوري ومهنا وشديد وصادر وصقر وشقير واسطفان وتيان وبليبل وفاخوري وحائك وصوما وابي كرم وصندوق وبجلق وزكرى وعقيقي والرامي وريشا وغيرهم وغيرهم . حشا باسمائهم مئتين وخمسين صفحة من هذا الجزء الثاني ، لو

ذكرنا فروعهم واحداً واحداً لاشغلوا من هذه الجريدة مئتين وخمسين عاموداً . ولعل صدرها قد ضاق عمن عددناهم هنا .

وقد روى حضرة الاب اغناطيوس طنوس في الرد الذي نشرته جريدة البيرق الغراء ، في عددها الصادر يوم ٧ ايلول الحالي ، انه « لام حضرة الخوراسقف اسحق ارمله ، مؤلف المعظم الساحق من هذا الكتاب ، على ممالأته الفيكنت ومشايعته له في تلك التزويرات والاختلاقات . كنقل الكراسي اليعقوبية واساقفتها من بابل وقيليقيه الى لبنان ، وانتحال الاصل اليعقوبي للاسر المارونية الكاثوليكية صرفاً واصلاً . فاكد له حضرته انه ساعد صديقه الطرازي في كتابه لانه يجهل السريانية . غير انه براء من تلك التزويرات . وقد نصحه بالارعواء عنها وانبأه بسوء مغبتها . فما صادف عنده الا العناد والمكابرة ، مما اضطره الى الانسحاب من مساعدته في مشروعه التضليلي ومقاطعته نهائياً » .

وحضرة الفيكنت معذور في عناده . فقد ظن ان هذه الحيل تجوز على الجميع ، المظهر العلمي الذي لفها به ، فوقع في الهوة السحيقة ، التي حذره اصدقاؤه منها .

واهم ما استند اليه حضرته لدعم مزاعمه تاريخ البطريرك الدويهي ، وتواريخ الاسر المارونية التي ظهرت في السنين الاخيرة .

١ — تاريخ الدويهي

فالدويهي ذكر بين حوادث السنتين ١٤٧٠ و١٤٨٧ [٩٦] نزوح شاهين من صدد والشيخ جمعه من عين حليا الى لبنان الشمالي ، ونزول الاول حصرون والآخر بشري . وذكر ايضاً مجيء الشدياق جرجس ابن الحاج حسن من نابلس ، واقامته في حدشيت مع اخويه القسيسين . فضلاً عن رهبان احباش أتوا من القدس بصحبة اسقفها اليعقوبي المطران ديوسقوروس ضو النبكي ، ونوح البقوفاوي الماروني ، الذي تتلمذ له وتبع ضلاله . وقد استعمروا دير مار

(٩٦) ص ١٣٩ و ١٤١

توفرت الراحة لاهل لبنان وكثرت المدارس والكنائس . وكان في قرية حدشيت وحدها عشرون كاهناً ، وفي كنائس بشري مذابح على عدد ايام السنة . وفي الحدث ستمائة فدان . وفي الحارة العليا من اهدن سبعون بغلاً . وقد احصينا اسماء النساخ في ذلك العهد ممن وقفنا على كتبهم فاذا بهم ينيفون على مائة وعشرة » . وبعد هذا الوصف يخبر عن نزوح اليعاقبة والملكيين المذكورين اعلاه الى جبة بشري .

وقد نقل[١٠٤] حضرة الفيكنت كلامه دون ان يفسر لنا كيف توصل شاهين المشروقي وجرجس النابلسي ببرهة وجيزة ان يغرقا جبة بشري بنسلهما ، ويمحوا ذكر الموارنة الذين كانت تغص بهم هذه المقاطعة . ناهيك عن ان اغلب الاسر المارونية التي اخرجها من صلبهما كانت معروفة ونامية قبل هجرتها الى لبنان .

فأين الدقة في البحث والصدق في الاستنتاج ؟

٢ — تواريخ الاسر المارونية

على ان حضرة الفيكنت قد غرف بملء حفنتيه من التواريخ التي ظهرت حديثاً عن الاسر المارونية في لبنان : « تاريخ العاقورا » للخوري لويس الهاشم و« جامعة بني ضو » لنصري لحود « واسرة الحلو » للدكتور رشيد الحلو و« خواطر الجنان » للقس اغسطين سالم و« الاسرة الحصرونية » لسليم مخائيل عواد و« لبنان لمحات من تاريخه واثاره » للخوراسقف يوسف داغر و« العائلة العونية » للخوري جرجس ابي سمرا . و« دواني القطوف » لعيسى اسكندر المعلوف . فضلاً عن مخطوطي « تاريخ الخوازنة » للشيخ شيبان الخازن و« عائلة غانم » لخليل صعب ابي منصور غانم . ورسائل خاصة وردت على حضرته من افراد استفتاهم ، واغلبهم يعاقبة .

وهو يعرف حق المعرفة ان هذه التواريخ ليس لها قيمة علمية لانها

(١٠٤) ١ : ١١٣

محشوة باوهام وتخيلات صادرة عن رغبة التحدر من ملوك وامراء ورجال عظام ، فضلاً عن رغبة التكتل التي تدفع بالمؤلف الى ضم ما امكن ضمه من الاسر الى اسرته لاغراض سياسية . فلا يحق لحضرة الفيكنت ان يستثمر هذه النزعة الطائشة ، ليثبت عليهم اصلهم اليعقوبي . وهو نفسه قد انتقدهم نقد من يعتقد بسخافة رواياتهم . كادعاء مؤرخ آل عواد بانهم ينتسبون الى البطريرك افوديوس ، خليفة مار بطرس الرسول على كرسي انطاكية في القرن الاول المسيحي[١٠٥] وزعم الآخر ان موسى غانم ، جد اسرته من اتباع الملك المنذر بن النعمان ، الذي قتل سنة ٦٣٤ ، مع ان موسى جاء الى لبنان في القرن الرابع عشر[١٠٦]. وغير ذلك من قصص وخرافات العجائز . وبالرغم من ذلك يتمسك حضرته بكل ما جاء في هذه الكتب موافقاً لغرضه من نسبة الاسر المارونية الى اصل يعقوبي .

٣ — طريقة الفيكنت في الاستنتاج

ولحضرة الفيكنت طريقة فذة في الاستنتاج . فالنتيجة في براهينه تتجاوز المقدمة بمراحل . واذا كانت هناك علاقة بينهما فأوهى من نسيج العنكبوت . والمقدمة ذاتها قد تجدها مراراً متأرجحة وغالباً محرفة او مختلقة . يكفيه ان يزعم زاعم بانه سمع تقليداً يقول بمجيء جد اسرته من سوريا او من اليمن او من بين النهرين ، حتى يؤكد لنا حضرته ان الجد المذكور يعقوبي « بلا ريب ولا جدال » . كأن هذه الاقطار الواسعة لم يسكنها سوى اليعاقبة . واذا انتسبت اسرة الى احدى المدن او القرى المختلطة المذاهب ، ادعى ان جدها من « اليعاقبة الاقحاح ، لانه لم يدخلها غيرهم منذ بدء الخليقة » . واذا حملت اسرة مارونية او ملكية اسماً يشابه ما تحمله او حملته احدى الاسر اليعقوبية « فهي بلا شك ودون ادنى ريب يعقوبية الارومة » ، وان كان لقب مهنة او شكل او لون او علم شخص شائع في كل البلدان وعند جميع الطوائف . وبعد ان يصبغ حضرته الاسرة

(١٠٥) ٢ : ٧٥ (١٠٦) ٢ : ٣٨

المارونية بصبغته اليعقوبية يعلق في ذيلها ما شاء من بقية الاسر التي لم يجد لها اصلاً ولو وهمياً، ليحدرها من اجداده . فلا تفلت واحدة منها . وهكذا توصل الى ان يعيد المئات من الاسر المارونية والمئات الالاف من افرادها الى احد الجدود السبعة ام الثمانية الذين جعلهم على رأسها ، مهما خرج عددها عن نطاق الزمان او المكان او الاصل .

ولا يخفى على حضرة الفيكنت المتضلع من تاريخ سوريا ما حلّ بها منذ القرن الخامس ، الذي انفصل فيه اجداده عن بقية الطوائف الانطاكية، حتى اواخر القرن الخامس عشر ، من غزوات وحروب متواصلة قلبت اوضاعها وخلطت سكانها، ونقلتهم عوض المرة مرات . وما انتابها من خراب ودمار . وكيف اجتاحها مراراً الفرس والروم والعرب والصليبيون والمغول. كيف كان الغزاة يهدمون ويحرقون البلاد العامرة . واذا بقي ركن منها قائماً احتلوه بجيشهم وذويهم . فيختلط الحابل بالنابل . ثم يجرفون امامهم من ابقت عليه المذابح والحرائق من سكانها الى قطر بعيد حيث يستعبدونهم او يبيعونهم في الشرق والغرب . فكيف تقوم بعد ذلك حجته المستندة الى عنصر السكان او مذهبهم او موطنهم ؟

٤ — الجماهير والعشائر اليعقوبية في لبنان

قبل ان يعمد حضرة الفيكنت في الجزء الثاني من كتابه الى عملية تحدير الاسر المارونية من اصل اجداده فطن ان عليه قبلاً تفسير ظهور اليعاقبة بكثرة هائلة في لبنان ، واختفاء الموارنة من امامهم باعجوبة خارقة ، ليفسحوا لهم المجال . فاستهل كتابه بقوله[١٠٧]: «بين يدينا وثائق عديدة حوت اخباراً عن عشائر سريانية غفيرة انتزحت في احوال استثنائية الى جبل لبنان عن دمشق وضواحيها وعن حلب وحمص وحماة وبعلبك ونابلس والرها والموصل وطور عبدين واطرافها . وهناك جماهير وافرة

---

(١٠٧) ص ١

قدمت الى لبنان من النبك والقريتين ولاسيما من صدد وعين حليا ».

ونحن ننبه القراء الى انه سوف لا يأتي بوثيقة واحدة تثبت نزوح هذه العشائر والجماهير، سوى اشارات بعيدة او نادرة او وهمية، او مختلقة الى هجرة بعض افراد يعدون على الاصابع. لان الفرد في قاموسه يعادل « جماهير غفيرة » اذا كان يعقوبياً او شبه يعقوبي. فواحدهم بالف بل بعشرات الالوف كما سيتحقق القراء. فالبطريرك الدويهي لا يذكر مثلاً من الجماهير الغفيرة التي اخرجها حضرته من صدد الا شاهين المشروقي، ومن عين حليا الا الشيخ جمعة جد المناحلة في بشري. ولسوء حظه ان هذا الاخير ظهر بشهادة الدويهي نفسه ملكياً لا يعقوبياً. هذه هي الوثيقة الوحيدة التي كانت بين يدي حضرته عندما باشر عمليته التحديرية من هاتين القريتين. ولما كانت خاصة باليعاقبة فقد اصبحت وثائق عديدة.

وبعد هذه المقدمة بادر حضرته الى تحويل لبنان بأسره الى ابرشيات يعقوبية. فكتب[١٠٨]: «ومن ابلغ الادلة على هذا القول ما كان للسريان في القرون الوسطى من الكراسي الاسقفية الزاهرة في عرقا وبعلبك وطرابلس والحدث وجونيه وعكار وبيروت واللاذقية وجبلة والكنيسي وسلوقيا الخ. وبقطع النظر ايضاً عما احدثه اجدادنا السريان من الابرشيات في قلب لبنان كحردين وحدشيت وبقوفا وجبة المنيطرة وراشيا منذ القرن الخامس عشر فما بعد».

وهكذا يستشهد حضرة الفيكنت بنفسه. فقد اختلق في الجزء الاول من كتابه ابرشيات يعقوبية قامت في لبنان، او بالاحرى، في مخيلته. واذا به هنا يصدق ما اختلقه، او يظن ان القراء صدقوه فيتخذه دليلاً على نزوح جماهير وعشائر يعقوبية غفيرة الى لبنان. هذه احدى طرقه في الاستنتاج. وقد شاهد القراء ما حل بابرشيات القرون الوسطى، التي اقامها في حدث الجبة وعرقا والكنيسي وجونيه. كيف تساقطت دعائمها الوهمية باشارة بسيطة الى فهرس تاريخ ميخائيل الكبير، الذي استعار منه لوائح اساقفة ابرشيات واقعة في قيليقية والجزيرة.

---

(١٠٨) ص ٢

في وسعك ايها القارىء اللبيب ان تطبقه على بقية ابرشياته في هذه الحقبة . اما ابرشيات القرن الخامس عشر فما بعد فهي فقاقيع صابون نفخها حضرته في الهواء فطارت زاهية الالوان ، انما فارغة . ففقعت حالاً . خذ مثلاً الابرشية التي اقامها في حدشيت . فالدويهي ، الذي استند اليه ، لم يذكر من رعاياها سوى الشيخ جرجس واخويه القسيسين اولاد الحاج حسن النابلسي . والمعروف في الابرشيات المارونية الحالية ان الواحدة منها تتألف من خمسين الفاً الى مئة الف نفس . فالواحد من هؤلاء اليعاقبة الثلاثة اصبح في مخيلة حضرة الفيكنت اكثر من ثلاثين الفاً . وبعد هذا يتهمنا حضرته « بالتجسيم والاختلاق والتهويش » .

لكن رويدك ايها القارىء لا تتسرع مثلنا في الحكم . لان لديه ايضاحاً قاطعاً عن كيفية احتلال جماهير اليعاقبة وعشائرهم الغفيرة جبال لبنان بطبلهم وزمرهم وخيلهم دون ان يدري بهم احد من سكانها او يرد ذكرهم بتاريخ لبنان . وهذا الايضاح على نوعين : الاول انها امتزجت بالموارنة حال وصولها « امتزاج الماء بالراح » . والثاني ان « معظم اسمائها تبدل او اندثر جيلاً بعد جيل . لان اللبنانيين ومن جاورهم اعتادوا ان يتكنى واحدهم باسم ابيه . فلم يبقَ من هذه الاسماء الا بعض الاسر العريقة الشهيرة»[١٠٦] .

وهذا « البعض » ، الذي تعرف عليه حضرة الفيكنت وسجل اصله اليعقوبي وفصله في تاريخه ، يبلغ مئات اي جميع الاسر المارونية المعروفة تقريباً ، شحن باسمائها مئتين وخمسين صفحة من كتابه . اما بقية الاسر المارونية فلم يتوفق الى « نبش » القابها لانها « تبدلت واندثرت » بيد انها «جاءت بلا ريب ودون جدال الى لبنان مع جماهير اليعاقبة الغفيرة وامتزجت كغيرها بالموارنة امتزاج الماء بالراح» فلم يعد بامكانه ان يعرفها كما لا يمكن تمييز الماء اذا امتزج به الراح . اما كيف زحفت واي متى ، واي لبناني غير حضرته شعر بزحفها فهذه امور ثانوية ليست بذي بال . والمهم انها « زحفت واحتلت وامتزجت بالموارنة فاصبحوا جميعهم يعاقبة المحتد» . وهذا منطق يتفرد به حضرته على سائر المؤرخين اللبنانيين لانه « اصدق

(١٠٩) ص ٤

منهم » ومحتكر رخصة امتيازه . ونحن نطمئنه انه لم يزاحمه ولن يزاحمه عليه احد .

ذكرنا هذا المنطق بحكاية احد الغسكون الفرنسويين — والغسكون مشهورون بالمبالغات والخلط — كان ماراً مع رفيق له بحقل مزروع ملفوفاً . فقال له « في بلادنا يزرعون الملفوف فتبلغ الواحدة حجم هذا البيت ! » فقال له الاخر « وفي بلادنا يصنعون القدور النحاسية فيبلغ حجم الواحدة ضعفي هذا البيت » ! فسأله : وكيف ذلك ؟ فاجابه : « لكي تسع ملفوفتك » . ونحن نسأل بدورنا حضرة الفيكنت عن حجم القدرة التي طبخ فيها هذه الجماهير والعشائر الغفيرة الوفيرة من اليعاقبة ، حتى اخرجهم موارنة « لا غش فيهم » .

ولو شئنا تعداد جميع مبالغاته وتهوراته وتخيلاته واختلاقاته وتناقضاته لملأنا منها مجلدات ضخمة . فنقتصر على ذكر بعض المدهشات التي دونها في هذا الجزء الثاني من كتابه لاثبات يعقوبية الاسر المارونية الاكثر شهرة . فيقف القراء على الطرق التي لجأ اليها للوصول الى غايته ويعذروننا على ما نسبناه اليه ، وهو القليل من الكثير .

٥ — آل الخازن

استند حضرته في تحدير مشايخ آل الخازن من يعاقبة بني غسان الى ثلاثة مصادر : تاريخ الشيخ شيبان الخازن المخطوط ، والتقليد الخازني ، ويعقوبية الغساسنة . فقال[١١٠]

« افتتح الشيخ شيبان تأليفه بهذه العبارة : هؤلاء الخوازنة « قيل » انهم من بني غسان » . وعلق حضرته على هذا الكلام بقوله « نستنتج من ذلك ان المشايخ الخوازنة ليسوا من اصل لبناني . ولما كان الغساسنة « قاطبة » تابعين مذهب السريان ذوي الطبيعة الواحدة (اي اليعاقبة) كما برهنا ، تحتم ان يكون الخوازنة سرياناً مثلهم وذاهبين مذهبهم » .

(١١٠) ص ٣٥

وهكذا جعل حضرته « الجبة قبة » . فاستند الى كلمة « قيل » ، التي تدل على الريب والحذر ، ليحتم على الخوازنة خروجهم من الغساسنة . ثم حكم على الغساسنة ان يكونوا قاطبة يعاقبة . واستنتج من هذين الحكمين الصادرين من منبره ان الخوازنة يجب ان يكونوا « حتماً » يعاقبة .

وقال عن التقليد الخازني:[111] « تتناقل السنة الخوازنة ابا عن جد — اجارنا الله من عثرة اللسان — ان منشأهم بلاد غسان ومنها قدموا الى حوران فلبنان » . وبعد اطلاعنا على هذا الزعم قابلنا حضرة الشيخ صالح الخازن — الذي قضى حياته في استقصاء اخبار اسرته وجمع الوثائق الراجعة اليها، ودرس تاريخها — فسألناه رأيه في ما ادعاه حضرة الفيكنت عن اصل الخوازنة الغساني اليعقوبي فاجاب : « نحن لسنا من بني غسان بل من بني حسان » . من هذا الجواب يعرف القارىء قيمة التقليد الذي تمسك به حضرة الفيكنت .

ومن مزاعمه ايضاً ان « غسان » هي « باشان » التوراة . قلب السريان شينها سيناً » وهذا تعليل معقول وشائع لتجانس الحرفين . اما قلب الباء غيناً فلم نسمع به قط . ويظهر ان حضرته قد أجاد قلب الاوضاع التاريخية جاعلاً المقلوب مستقيماً والمستقيم مقلوباً ، اي اليعاقبة موارنة والموارنة يعاقبة .

وهو يبتّ في الشؤون التاريخية بتّاً حاسماً لا يقبل الحلول المتأرجحة لانها تنبىء عن ضعف العقيدة . فيعقوبية الغساسنة جميعهم : امراؤهم ورعاياهم الغفيرة في مملكتهم المترامية الاطراف حقيقة تاريخية منزلة . وهاك حكمه بنصه[112] « لا نظن ان احداً في ايامنا ينكر ان الغسانيين « قاطبة » كانوا منوفيزيتيين . وكان ملوكهم متشبثين بالمنوفيزيتية ومتعصبين لها . ولنا على ذلك بيّنات نقتبسها من مصادر راهنة لا سبيل الى انكارها» . ونحن نجيبه — ولو عدّ ذلك قحة منا — نعم يا سيدي ننكر . ونستشهد على انكارنا بالمستشرق تيودور نولدكه الالماني الذي درس تاريخ الغساسنة

(١١١) ص ٢٥ عينها
(١١٢) ص ٨

وامرائهم درساً دقيقاً حتى عدّه المؤرخون حجة فيه . وقد وضع رسالة في هذا الموضوع عربها الدكتوران بندلي جوزي وقسطنطين زريق ، الاستاذان في جامعة بيروت الاميركية ، ونشراها في المطبعة الكاثوليكية البيروتية سنة ١٩٣٧ .

فالعالم نولدكه ، بعد ان اورد وثائق اصيلة محصها تمحيصاً علمياً صحيحاً ، قال[١١٣] عن الحارث بن جفنة ، (٥٢٧ – ٥٦٩) ، انه « كان يسعى جهده للقضاء على المنازعات العقائدية المستمرة بين القائلين بالطبيعة الواحدة وخصومهم في امارته » . فأمارته كانت اذن تحوي غير اليعاقبة . ويردف نولدكه بقوله « وكان يناصر الكنيسة اليعقوبية مدفوعاً بالعامل السياسي لمعاضدة المذهب الذي كانت تتبعه اكثرية الشعب » مما يدل ايضاً على ان الغساسنة لم يكونوا « قاطبة » يعاقبة بل كانوا الاكثرية في هذه الامارة ، وانه كان لهم فيها اخصام يحسب لهم حساب حتى ان الامير كان يضطر الى التدخل بنفسه للتوفيق بينهم . اما مناصرته لليعاقبة فكانت لعامل سياسي ، ولم تكن لعامل ديني .

ويقول العالم نفسه ان « المنذر بن الحارث تابع خطة ابيه في تعضيد اليعاقبة الخاضعين لحكمه » ، دون ان تكون هذه السياسة دليلًا على انتمائه الى هذه الشيعة . واكبر الظن ان الامراء الغسانيين لم يدينوا بالنصرانية لانهم « كانوا يتخذون عدة زوجات »[١١٤] حتى « ان المنذر لما نُفي الى القسطنطينية اصطحب معه احدى نسائه »[١١٥] . ومما لا ريب فيه ان بعض اخوته كانوا على غير المذهب اليعقوبي ولعلهم كانوا غير مسيحيين . فقد صرح عنهم يوحنا الافسسي المؤرخ اليعقوبي انهم « كانوا غير مؤمنين »[١١٦] . وروى ايضاً المستشرق المذكور[١١٧] ان « طيباريوس قيصر لما جهز حملة على اولاد المنذر ، كبحاً لثورتهم ، انفذ معها اخاً للمنذر ليخلفه في وظيفته » . واستطرد يقول « والارجح ان هذا الامير هو احد اخوة المنذر الذين وصفهم الكاتب اليعقوبي بقوله انهم « غير مؤمنين » .

---

(١١٣) ص ٢١ و٢٢ و٢٣ (١١٤) ص ٣١ حاشية ٧٩

(١١٥) ص ٣١ (١١٦) ص ٢٨ (١١٧) ص ٣٢

يحق لنا ، بعد هذه التصريحات ، المسندة الى مصادر يعقوبية ، ان نستنتج بان الامراء الغساسنة لم يكونوا قاطبة يعاقبة واكبر الظن انهم لم يكونوا نصارى . فاين نحن من تأكيد حضرة الفيكنت غير المسنود . على ان السياسة التي اتبعها الامراء الغساسنة في مناصرة اليعاقبة جاءت وبالا عليهم وسببت خراب امارتهم . فملوك الروم وكبار اكليروسهم لم يكونوا واثقين من اخلاص هؤلاء الامراء لشدهم مشد اليعاقبة اخصامهم الدينيين[118] وكانت الخصومة الدينية كما بيناه سابقاً ملازمة للخصومة السياسية . مما حدا يوحنا الافسي اليعقوبي ، بعد ان وصف سقوط الامارة الغسانية سنة ٥٨٣ ، ان يهتف بحرقة قلب : « وهكذا آلت البدعة الخلقيدونية الممقوتة الى خراب هذه المملكة الجميلة »[119] . واستأنف هذا المؤرخ اليعقوبي كلامه واصفاً تضعضع الامارات الغسانية وتشتت اهلها وانضمام يعاقبتها الى بقية المذاهب النصرانية . فكتب « حينئذ التحقت اكثر الامارات بالفرس وانضم قسم منها الى الخلقيدونيين ، والبعض لحقوا بالروم » . ويفسر نولدكه هذه العبارة الاخيرة « بالارتداد الكثلكي » اي ترك مذهب الطبيعة الواحدة واعتناق المذهب الخلقيدوني الكاثوليكي »[120] وحضرة الفيكنت قد اورد هذه الفقرة عن يوحنا الافسي انما حرفها بقوله[121] « الغسانيون القاطنون في مملكة الفرس انحازوا الى عقيدة النساطرة وانضم قوم منهم الى الخلقيدونيين القائلين بالطبيعتين » فحصر انضمام القسم الاكبر من الغساسنة اليعاقبة الى الخلقيدونيين والنساطرة بالقاطنين في مملكة الفرس . والصحيح هو ما اورده نولدكه بالدقة التي اشتهر بها ، وهو ان كثيرين من يعاقبة بلاد غسان تركوا مذهبهم واعتنقوا غيره .

وقد اورد ايضاً هذه العبارة ابن العبري وعدد البلاد التي ثبتت على المذهب اليعقوبي بعد هذه الكارثة واحصى بينها النبك والقريتين . على ان نولدكه لفت النظر الى ان « هذا الجدول ليس سوى جدول الاماكن التي

(١١٨) ص ٣٠ (١١٩) ص ٣٣ (١٢٠) ص ٣٦

(١٢١) ص ٣٦

كان يقيم فيها عدد كبير من اليعاقبة العرب في القرن الثالث عشر »[١٢٢] الذي عاش فيه ابن العبري . فهذه القرى لم تكن يعقوبية بجميع سكانها، واغلب سكانها الحاليين مسلمون .

وامراء الغساسنة لم يكونوا جميعهم يعاقبة وارجح الظن انهم كانوا غير مسيحيين . ورعاياهم لم يكونوا قاطبة يعاقبة بل كان بينهم من بقية العقائد كثيرون يناصبونهم العداء مما حدا الامراء الى التدخل في الصلح بينهم . وقد انضم عدد غفير من هؤلاء اليعاقبة بعد نكبة الامارة الغسانية الى الخلقيدونيين والنساطرة . فجد الخوازنة لم يكن حتماً يعقوبياً . وهو ما يفسر لنا سبب اختياره لبنان لاقامته بعد ان هجر بلاد حوران . هذا اذا ثبت انه كان غسانياً ، ولم يدل حضرة الفيكنت ببرهان قاطع اثباتاً لزعمه .

وروى حضرته ايضاً نقلاً عن ابن العبري[١٢٣] ان « يسطنيانوس الملك اوفد افرام الاول بطريرك انطاكية (٥٢٦ — ٥٤٥) الى الحارث ليقنعه بالعدول عن المنوفيزيتية . فلم يقبل . وان سبب الفتنة بين العرب والروم اضطهاد الملك يسطنيانوس الاباء القائلين بالطبيعة الواحدة . لان النصارى العرب يومئذ انما كانوا يعتقدون اعتقاد اليعقوبية لا غير » .

ونحن نستأذن حضرته في الادلاء ببعض الملاحظات على هذه الفقرة .

اولاً انه سبق فادعى في الجزء الاول من كتابه[١٢٤] ان جميع الكنائس التي شيدت في لبنان في عهد الملك يسطنيانوس (٥٢٧ — ٥٦٥) انما شيدها لليعاقبة اكراماً لزوجته تئودورا الرهاوية . فاجبناه ان الملك المذكور كان عدواً لدوداً لليعاقبة . وها ان حضرته يوافق على كلامنا لدى استشهاده بابن العبري ناسياً في الجزء الثاني من كتابه ما ادعاه في الجزء الاول .

ثانياً المعروف ان النصارى العرب كان اغلبهم نساطرة لا يعاقبة الا اذا عنى هنا العرب الغساسنة .

ثالثاً استاء حضرته منا لاستعمالنا لقب اليعاقبة دلالةً على اجداده واتهمنا في رده علينا باختراع هذا اللقب . وها هو يورده هنا عن لسان ابن العبري

(١٢٢) ص ٣٦ (١٢٣) ص ٩ (١٢٤) ١ : ٢٠٨

مفريانه الذي استعمله منذ القرن الثالث عشر . فنحن اذن لم نبتدعه .

ويقول حضرته ايضاً[١٢٥] « ان حدود مملكة غسان كانت بادية سوريا شرقاً وغور الاردن غرباً واراضي دمشق شمالاً وارض جلعاد جنوباً . وكان يخترق جانبها الشرقي جبل الدروز » . فهل يعقل ان سكان هذه المملكة المترامية الاطراف كانوا « قاطبة » يعاقبة من غير استثناء واحد منهم . ولنفرض ذلك ممكناً فهل ثبت جميعهم على هذا المذهب حتى القرن الخامس عشر ولم يسكن غير يعقوبي هذه البلاد الواسعة وفي هذه البرهة الطويلة . لا سيما بعد ان اختبطت بالحروب والثورات والغزوات وانقلبت اوضاعها عشرات المرات ، فاحتلها الروم والعرب والفرس والصليبيون وشعوب من شتى الملل والنحل . فكيف يكون جد آل الخازن حتماً يعقوبياً في القرن الخامس عشر الذي نزح فيه . هذا اذا سلمنا انه كان غسانياً ونازحاً من هذه البلاد .

ومن بينات حضرته التي تضحك الثكلى انه يثبت يعقوبية الغساسنة من « تعصبهم لمعتقدهم تعصباً شديداً دفعهم الى النفور من مشاركة الخلقيدونيين ليس في اكل الخبز فحسب بل في اكل اللحم ايضاً » .

هذا كلام حضرته بالحرف الواحد[١٢٦] فهل يعني بذلك ان جد آل الخازن لما نزل بين الموارنة لم يشاركهم في اكل الخبز واللحم !.

* * *

بعد ان سردنا ما تقدم من المصادر التاريخية الاصيلة حق لنا ان نستخرج منها النتائج التالية :

اولاً : ان الامراء الغسانيين لم يكونوا جميعهم يعاقبة بل كان بعضهم « غير مؤمنين » .

ثانياً : ان مناصرتهم لليعاقبة لا تدل على انهم كانوا على مذهبهم ، فقد كانوا مدفوعين الى ذلك بعامل السياسة .

ثالثاً : ان زواجهم من عدة نساء لدليل على انهم لم يكونوا نصارى .

(١٢٥) ص ٧ (١٢٦) ص ١٩

رابعاً : ان رعاياهم الغساسنة لم يكونوا « قاطبة » يعاقبة . بل كان اليعاقبة يؤلفون الاغلبية في مملكتهم .

خامساً : بعد انقراض امارتهم سنة ٥٨٣ تدنت هذه الاغلبية كثيراً لانضمام قسم كبير منها الى النساطرة والخلقيدونيين . واندثر كثير من البلدان اليعقوبية .

سادساً : ليس لدينا وثيقة راهنة تثبت ان جد الخوازنة كان غسانياً . فلفظة « قيل » التي استند اليها الفيكنت تدل على الريب الذي كان يخامر مؤرخ الخوازنة في غسانية جده . وادعاء الفيكنت باجماع التقليد الخازني قد ظهر مختلقاً .

سابعاً : اذا ثبتت غسانية هذا الجد فليس هناك دليل على يعقوبيته . لا سيما ان بلاد غسان كانت تحوي عند نزوحه الى لبنان شتى المذاهب والطوائف والعناصر .

٦ – اسرة ضو

وتحدير اسرة ضو المارونية وفروعها العديدة من ارومة يعقوبية يعد مثالاً فاضحاً لطريقة حضرة الفيكنت في الاستنتاج .

فقد اورد(١٢٧) ما توهمه حضرة السيد نصري لحود في كراسته « جامعة بني ضو » عن موسى غانم جدها المزعوم انه « كان من اتباع الملك المنذر بن النعمان الغساني . نزح في القرن الرابع عشر الى يانوح من اعمال جبيل ثم انتقل اولاده الى قرية لحفد » . وقد نبهه حضرة الفيكنت الى خطأ هذا الزعم « لان بين المنذر، الذي قتل سنة ٦٣٤ وانقرضت به دولة الغساسنة، وبين نزوح موسى المذكور سبعة قرون » . ومع ان هذا الخطأ يدل على الرجم في الغيب ، يعتمد حضرة الفيكنت على كراسته الاعتماد كله لاثبات يعقوبية اسرة ضو وتعداد فروعها الوهمية ، والمدن والقرى التي تسكنها حالاً . وقد جاء ايضاً من عنده ببعض الادلة ، التي لا تمت الى حجته بادنى صلة .

(١٢٧) صفحة ٣٨

وهاك خلاصة براهينه :

« لما كان موسى غانم جد اسرة ضو . ولما كان لهذه الاسرة ثلاثة فروع مارونية وملكية ويعقوبية . ولما كان الفرع اليعقوبي الاصيل منشأه في النبك التي خرج منها فرعان ، احدهما الى القدس والاخر الى صدد الشرق في سوريا . ولما كان ديو-قوروس ضو مطران القدس قد جاء الى لبنان سنة ١٤٧٠ حسب شهادة الدويهي . ولما كان هذا المطران نبكياً . ولما كانت النبك « من حدود غسان » ولما كان آل غسان «قاطبة» يعاقبة . فاسرة ضو يعقوبية الاصل » .

فاستحلفك بالله ايها القارىء اللبيب ، ان تدلني على العلاقة المتينة التي تربط هذه البراهين بعضها . واذا كانت لها رابطة فقل لي بربك كيف تربطها مع النتيجة لاسيما اذا كانت المقدمات غير صحيحة . ولكن لا حيلة لي ولك في هذا الامر . فهي الطريقة التي ابتدعها لنفسه حضرة الفيكنت ليريحها من عناء التدقيق والتمحيص . يكفيه ان يشمّ رائحة يعقوبية تبعد عنه آلاف الاميال ليزكيها وينفخها ويمززها ويجعلها تمر بسكان مدن وقرى يرنو اليها ، فتحولها جميعها الى عنصر يعقوبي . وهذه الرائحة ، على ما يظهر من مفعولها ، اشد فتكاً من القنبلة الذرية ، التي ترتعد فرائص العالم لمجرد ذكرها .

ولما اطمأن حضرته الى يعقوبية اسرة ضو المارونية اخذ يعدد مشاهيرها : ديوسقوروس ضو مطران القدس اليعقوبي (١٤٤٥ — ١٤٧٧) ويواقيم ضو الخامس بطريرك الروم الارثوذكس (١٥٨١ - ١٥٩٢) . فضلاً عن نوابغ فروعها : سمعان اللبكي (١٨٤٨ — ١٩٠٢) مستشار رستم باشا ، واغست باشا اديب رئيس الوزارة اللبنانية (١٩٣٠ — ١٩٣٢) والمطرانان بطرس كرم (١٨١٩ — ١٨٤٤) ويواصاف الثوري (١٧٤٨ — ١٧٦٩) من بسكنتا ، والمطران نقولا مراد العراموني (١٨٤٣ — ١٨٦٣) والمطرانان الشقيقان جرمانس صقر (١٧٤٢ — ١٧٦٨) وجبرائيل صقر (١٧٥٢—١٧٥٣) والمطران بطرس شبلي الدفوني (١٩٠٨ — ١٩١٧) وغيرهم كثيرون[١٢٨] .

ثم هم الى تعداد الاسر المارونية الخارجة من صلب موسى غانم الغساني

(١٢٨) ص ٣١ - ٣٨

اليعقوبي : آل ضو في دير القمر واسرة نعمة التي تشعبت عدة شعب في بيروت وعشقوت وبقعاتا وغرفين ومصر وتونس واسطنبول والمكسيك . وآل أديب وشدياق وصفا ومقلع ونصر وابي كرم وعازار وصليبا في لحفد وشننعير وجونيه وبكاسين . وغيرهم كثيرون متفرقون في جميع انحاء لبنان، كاسر فرعون في دير القمر وحدث بيروت وآل النحل وترك ومطر والجر ونقور والنصراني وعبود وخليفه و... ثم يعود حضرته في فصل آخر فيذكر من هذه الارومة الضوية اليعقوبية آل كرم والتنوري في بسكنتا، وصقر في حلب ولبنان، ومراد في عرامون، وشبلي في دفون . وقد سكنت ايضاً فروع هذه الاسرة في بكاسين وميروبا وكفرشيما، ونبغ منها رجال عظام في عالم الادب والسياسة والدين، وذلك بفضل غسانيتهم ويعقوبيتهم . هولاء جميعهم الذين يناهزون خمسين الفاً هم بالطبع زبائن حضرة الفيكنت وعليهم من باب معرفة الجميل والعلم باصول اسرهم ونوابغها ان يتهافتوا على شراء كتابه الشهير « اصدق ما كان في تاريخ لبنان »، كما نصحهم حضرته مرتين في رده الاخير علينا . ومنه يتعرفون الى القرى الثلاثين التي يحتلونها في لبنان ويؤلفون منها شبه دولة يعقوبية في دولة الجمهورية اللبنانية . اما ما يملكونه الان من الكنائس والاديار والاوقاف والارزاق التي اغتصبوها من اجداده، بشهادة الدويهي «والمتهوس» الحقير صاحب هذا الامضاء، لحضرة الفيكنت قد وعد في رده المذكور انه لا ينوي المطالبة به . فليطمئنوا الى ما وضعوا اليد عليه منذ القرن الثامن حتى اليوم . لان وعد الكريم دين في عنقه .

على ان « المتهوس »، صاحب التوقيع ادناه، يتقدم بالرجاء الى حضرته ليتنازل ويثبت لنا :

اولاً – ان موسى غانم هو جد آل ضو الموارنة شرعاً . ثانياً – انه خرج من النبك . ثالثاً – ان النبك كانت آهلة باليعاقبة « قاطبة » دون استثناء واحد من اول نشأة البدعة اليعقوبية في القرن الخامس حتى نزوح موسى غانم الى لحفد في القرن الرابع عشر . رابعاً – ان الغساسنة كانوا « قاطبة » يعاقبة . خامساً – ان المطران ديوسقوروس كان من اسرة ضو المارونية

سادساً — انه استقر في لبنان وانضمت اسرته الى الموارنة، سابعاً — ان آل ضو في القدس وفي صدد كانوا اولاد عم موسى غانم . ثامناً — ان الفروع الاربعة والعشرين التي ذكرها حضرته متأصلة جميعها من موسى غانم الغساني. تاسعاً — واخيراً واولاً، ان موسى غانم الغساني النبكي هو شخص حقيقي لا خيالي .

ونحن نعد حضرة الفيكنت بالوكالة عن آل ضو الكرام ، اذا اجابنا على هذه الاسئلة اجوبة شافية رصينة لا يدخلها خيال او وهم او اختلاق ، ان نعيد اليه جميع ما اغتصبه آل ضو وفروعهم العديدة من ارزاق وكنائس واديار ووقوفات ومواشي اجداده اليعاقبة . وقبل ان يتفضل باجوبته السديدة نلفت نظر سعادته الى بضع توافه ربما فاتته لكثرة مشاغله التاريخية : هل يحق له ان يستند في تحدير آل ضو الى كراسة ادعى صاحبها ان جده عاش اكثر من سبعمائة سنة؟ فكأنه يستند الى قصبة مرضوضة؟ ثانياً قوله بان اسم ضو تحمله ثلاث اسر ، ملكية ويعقوبية ومارونية، لا يثبت انها خارجة من صلب واحد، بل يدل بالعكس على ان هذا اللقب تحمله عدة اسر منتمية الى طوائف مختلفة . ثالثاً، لقد اتينا في مقالنا السابق بادلة اصيلة راهنة تثبت ان الغساسنة لم يكونوا «قاطبة يعاقبة» وما زلنا منتظرين جوابه على هذه الحقيقة التاريخية . رابعاً نزيده علماً باننا وجدنا في حلب عدة اسر تحمل اسم ضو لان افرادها مكلفون حمل الضو ليلاً امام الداخلين والخارجين من الحي . واحياء حلب تزيد عن مئتين . وعلمنا ايضاً ان هذا اللقب تحمله اسر درزية لبنانية . فهل هؤلاء اقارب آل ضو الموارنة المتأصلين من يعاقبة؟ خامساً ان تحدير اسرة من غيرها بحجة انها تحمل الاسم عينه او ما يشابهه قاعدة لا يسلم بها عاقل . سادساً لاسيما اذا كان اللقب علم شخص . فبين الفروع التي ارجعها حضرته الى اسرة ضو المارونية حالاً ، واليعقوبية سابقاً، اعلام اشخاص نجدها في كل بلد وطائفة، كاسماء نعمة ولحود واديب وعازار وسعاده وكرم وصليبا وخليفه وعبود وغيرها . ولا بد ان حضرته سمع بعبود باشا المالي المصري الشهير، وعرف عبود بك وزير مالية لبنان سابقاً. وكلاهما مسلمان موحدان بالله . فهل يسري في عروقهما دم اليعاقبة ويتصلان

نسباً بآل ضو الموارنة ؟ ونرجوه ايضاً ان يفيدنا ، افاده الله ، عن اسم اسرتنا الغريب التركي الاصل . ففي شمال ايطاليا مدينة تحمله . وهناك عدة اسر تتلقب به في بلغاريا وتركيا وبلاد اليونان وقبرص . وفي الاسكندرية والقاهرة اروام يلقبون به ايضاً . وقد ذكر الجبرتي المؤرخ المصري قائداً بهذا الاسم من المماليك حارب جيش بونابرت سنة ١٧٩٩ وما زال احد احياء القاهرة القريبة من القلعة يحمل اسم هذا القائد . فهل يظن ان المدينة الايطالية هي مسقط رأس جميع هذه الاسر المختلفة البلدان والمذاهب . وهل جميع هؤلاء اولاد عمنا ، حتى اذا شاء احد افراد اسرتنا المارونية الحلبية مصاهرتهم احتاج الى عدة تحاليل كنائسية لتعدد وجوه القرابة الدموية بيننا وبينهم ؟

٧ – اسرة الحلو

جاهد حضرة الفيكنت جهاد المستميت ليثبت على آل الحلو الموارنة التحدر من ارومة يعقوبية . فقد عدّ لاسرتهم زهاء خمسين فرعاً يتجاوزون مئة الف نفس ، منتشرة في جميع الانحاء اللبنانية . مما يعزز حقوقه الاصيلة في دولة لبنان وفي املاكه وخيراته . بيد انه سلك الوصول الى هذا الهدف العظيم عدة سبل معرورجة مختلفة الاتجاه . فبدلاً من ان توصله الى هدفه ابعدته عنه كثيراً . واليك بيان هذه السبل :

اولاً تمسك بمشابهة اسم الحلو لعين حليا والعناحلة ليخرج آل الحلو منها ومنهم . فان حملت اسرة الحلو المارونية حرفي الحاء واللام من تلك واولئك فقرية برحليون في لبنان الشمالي احق بها لانها تحمل احرفها الثلاثة . ولا يخفى على علم حضرة الفيكنت ان اسم الحلو يطلق على حلو الشكل والشمائل ، كاسرة الحلو الكسروانية . وكان لجدها أخ شنيع المنظر فلقبوا اسرته بآل الشنيعي . وهو لقب حديث يعرف اصله شيوخ غوسطا المعرفة كلها وسمعناه منهم منذ خمسين سنة . فهذه الاسرة التي جعلها عنجلية يعقوبية لا تمت بادنى صلة الى اسرة حلو الشمالية وان التقى اللقبان لفظاً . وفي

مصر الجديدة جار لنا يتعاطى الخياطة كتب على لافتة دكانه « حسن محمد الحلو » فهل يكون ابن عم البطريرك يوحنا الحلو .

وعلى ذكر خروج آل الحلو من عين حليا حضرتنا حكاية طريفة قصها علينا المثلث الرحمة البطريرك الياس الحويك عن كاهن افرنسي قصد الى الاسكندرية للتفتيش عن مكان استشهاد القديسة كاترينا . وبينما كان ماراً باحد الاحياء الوطنية سأل دليله عن اسمه فاجابه « سوق العطارين » . فشهق البحاثة فرحاً عند سماع هذا الاسم وصاح ها . . سوق العطارين . كتّارين . كاترين ! وفي مساء ذلك اليوم اهتزت الاسلاك البرقية في المعمور مبشرة باكتشاف مكان استشهاد القديسة كاترينا الاسكندرانية !

ثانياً — يقول حضرة الفيكنت عن قرية عين حليا[١٢٩] انها « مجاورة لدمشق وكان السريان منتشرين فيها وفي ضواحيها » ويستنتج من ذلك ان جد اسرة الحلو يعقوبي الاصل . وحضرته يصرح بعد قليل[١٣٠] ان هذه القرية مأهولة ايضاً بالروم الملكيين . فكيف ساغ له ان ينسب آل الحلو الى الفريق اليعقوبي دون الآخر . وقد عرفنا من حاشية معلقة على ميناون ملكي محفوظ في المكتبة الوطنية بباريس تحت الرقم ١٣٣ من مجموعتها السريانية انه أنجز في السنة ١٥٤٥ مسيحية وان القس صداقة صاحبه وقفه على كنيسة ملته الملكية في قرية عين حليا[١٣١] .

ثالثاً — يستند حضرته[١٣٢] الى ما توهمه المطران غريغوريوس جرجس شاهين الحلباني (١٨٣٩ — ١٩٢٧) ليدعي ان « جميع المناحلة كانوا من طائفة السريان اليعاقبة وان الذين انتقلوا منهم الى لبنان وتمذهبوا بالمارونية راحوا اليه على دفعتين : الاولى المناحلة الذين صاروا مقدمين . والثانية عندما راح الشيخ جمعة الى بشري ، ومن ذريته بيت الحلو الموارنة . فيستنتج حضرته من هذا الزعم[١٣٣] ان « المقدمين المناحلة هم غير آل جمعة الذين عرفوا بآل الحلو ومن تفرع منهم » . وكان عليه ان يستند الى تاريخ البطريرك الدويهي « امام المؤرخين » وهو اعرف من المطران جرجس

(١٢٩) ص ٥٧ (١٣٠) ص ٥٨ (١٣١) راجع مجلة المنارة ٤ : ٣٣٨
(١٣٢) ص ٥٨ و٥٩ (١٣٣) ص ٦٠

المتوفى اخيراً سنة ١٩٢٧ ، واقرب منه الى عهد المناحلة والى قرية بشري التي نزلوها . فهو يقول ان المقدمين المناحلة متحدرون من الشيخ جمعة . وبهذه المناسبة نذكر حضرته بثلاث :

الاولى ، اتهمنا حضرته ، باننا ابتدعنا لقب اليعاقبة وانه « لم يذكره في كتابه ذي الـ ٩٠٠ صفحة الا مرة واحدة بمناسبة استشهاده بكاتب ماروني » . فاجبناه انه دلنا عليه بقوله عن سريان جونيه المنوفيزيتيين ان هذا اللقب يعني اليعاقبة . ثم اعاد ذكره عند استشهاده بكلام ابن العبري عن يعقوبية العرب . وها هو يعيده على مسامعنا في كتابه للمرة الثالثة بمناسبة استشهاده بطرانه جرجس الحلياني . وسنجد له غير هذه . الثانية ، ان الدويهي يصرح بان مقدمي المناحلة هم اولاد واحفاد الشيخ جمعه المنحلاني ، الذي قدم الى بشري سنة ١٤٧٠ [١٣٤] وقد رتب لهم في نبذته الخطية [١٣٥] سلسلة كاملة ، يحدرهم فيها ابا عن جد ، ويسرد اخبارهم واحداً واحداً ، مما لا يدع ادنى مجال الريب . فكيف يفرق حضرته بين المقدمين المناحلة واسرة الشيخ جمعة ؟

ومع كل هذا لحضرة الفيكنت يصر على القول [١٣٦] بان « بني الحلو يعاقبة يتحدرون من الشيخ جمعة جدهم الذي قدم الى لبنان سنة ١٤٧٠ وسكن بشري وتفرق اولاده في ثلاثة مراكز رئيسية بلبنان : بشري وحصرائيل واهمج . ومنها تشعبوا وانتشروا في اصقاع شتى . »

ثم يسرد حضرته اسماء هذه الفروع الثلاثة دون ان يكون لديه مستند سوى نشرة الدكتور شكرالله الحلو ، الذي لا يعنى بدوره باثبات ما يقوله . بل يكتفي ببعض روايات وتخمينات ليس لها اساس تاريخي .

وبعد ان عدد حضرة الفيكنت الخمسين فرعاً الخارجين من اسرة الحلو ختم بقوله [١٣٧] « فالخلاصة من كل ما ادرجناه عن آل الحلو الذين ارتحلوا من عين حليا الى لبنان واستعمروا قرى كثيرة انهم كانوا من الملة السريانية . ثم انضم احفادهم الى الملة المارونية . وقام منهم بطريرك وخمسة

(١٣٤) ص ١٦٠ (١٣٥) ورقة ٢٢٧ — ٢٢٩

(١٣٦) ص ٦٣ (١٣٧) ص ٦٨

مطارين » . وبعد هذا كله يدعي حضرته انه لم يحدر من اليعاقبة سوى « بعض » الاسر المارونية .

بارك الله في مخيلة حضرة الفيكنت ما اخصبها . فقد تمكن بعد جهود مشكورة بذلها طيلة خمسين سنة ودروس وابحاث دقيقة من «نبش» دفائن عديدة وكنوز ثمينة كانت مخبوءة في طيات مخطوطات عتيقة تثبت تحدير جميع – استغفر الله – بعض الاسر المارونية من جدود يعاقبة. بيد ان عدد فروعها وافرادها الذي تجاوز عشرات الالاف عوّضه من قلة عددها . والدليل على مقدرة حضرته في التحدير والتنسيل هو اخراج هذه العشرات الالوف المنتمية الى آل الحلو من صلب جد واحد هو جمعة العنحلاني . واحد لكنه من الاصائل . فلا تعجب من هذه الخارقة . فالغريب في امر هؤلاء الجدود اليعاقبة الذين استعارهم حضرة الفيكنت – كما استعار لوائح اساقفة بابل وقيليقية – ليجعلهم على رأس الاسر المارونية ، ان الواحد منهم اذا وطىء ارض لبنان فلا يمضي عليه وقت قصير حتى يغطي نسله المبارك « سواحل لبنان وصروده » ، اوديته وسفوحه ، مدنه وقراه ومزارعه . واذا كانت هذه البلاد غاصة باهلها الاصليين « فالاسر اليعقوبية النازحة تمتزج بهم امتزاج الماء بالراح » . وحضرته يتكفل بتحديرها وتنسيلها وتنظيمها ، هي وفروعها ، وتعيين القرى والدساكر والمدن التي يجب ان تحتلها . اما الارزاق فهي كانت ملكاً لاجداده واجدادها فلها ملء الحق في التصرف بها والتنعم بخيراتها .

بيد ان حضرته نسي في حسابه الضخم وثيقتين اذا لم يتداركهما انهارت جميع هذه الامجاد ، وخرجت من يديه جميع هذه الاسر والمساحات اللبنانية بما عليها من قرى ومدن وعقار ومؤسسات وبما لها من موارد غزيرة . الاولى ان العناحلة الذين اخرج من نسلهم هذه العشرات الالاف من آل الحلو انقرضوا ولم يتركوا وريثاً . فقد افنوا بعضهم . واخر من بقي منهم على قيد الحياة كان جمال الدين يوسف . وضعت له شقيقته ست البنات سماً في دجاجة فمات ، كما روى البطريرك الدويهي في الصفحة ١٩٢ من تاريخه المطبوع ، حيث قال « وفي جمال الدين يوسف انقرضت ذرية

العناحلة » . وقد سبق الدويهي فذكر في سلسلة العناحلة جميع افرادها واحداً واحداً ، واخبر كيف ان الاخ منهم كان يفتك باخيه حتى لم يبق منهم في السنة ١٦١٣ الا جمال الدين المذكور ، الذي ذهب ضحية غدر اخته في اكلة دجاجة . وحضرة الفيكنت قد درس تاريخ الدويهي درساً عميقاً . ولا شك انه طالع اكثر من مرة هذه الفقرة عن العناحلة، لان اخبارهم استرعت اهتمامه في الدرجة الاولى . فكيف ساغ له ان يحدر منهم اوفر اسرة مارونية عدداً وانتشاراً ؟

وهب ان عنحلياً قد افلت من احصاء الدويهي ، وتمكن من مواصلة الحياة والتنسيل ، فالشيخ جمعه الذي جعله حضرته جداً لكامل الحاملين لقب الحلو وفروعهم العديدة قد كان بشهادة الدويهي ، ملكياً لا يعقوبياً ، كما سبق التنبيه اليه . « فالعشائر الغفيرة والجماهير الوافرة » التي ضمها حضرته الى ملته واثبت بها حقوقها في لبنان « هذه البقعة التي انعم الله بها عليها » قد خرجت نهائياً بفضل هاتين الوثيقتين ، من صفوف اليعاقبة وعادت الى حضن طائفتها المارونية ، التي ربتها وعنيت بهـا عناية الام الحنون بابنائها .

٨ ــ ال الرزي

حاول حضرة الفيكنت محاولة مضنية لاثبات يعقوبية آل الرزي وفروعهم . فاختار سبلاً اكثر اعوجاجاً مما سبق له سلوكها . فابعدته عن هدفه اكثر ممـا ابعدته سابقاتها . ونحن نسرد هنا سلسلة ادلته الوهمية واثقين من نزول القراء على حكمنا بعد مطالعتها .

خصص حضرته ستة فصول كاملة لتحدير آل الرزي وفروعهم : مشايخ آل الضاهر وداغر وجميّل وطربيه وفروع فروعهم ، مما يدل على شدة رغبته في ربح هذه الاسر لملته ، لما لها من المكانة الدينية والادبية والوطنية ، فيربح في الآن عينه حقوقهـا الاصيلة الشرعية في لبنان وفي الطائفة ، من مؤسسات واوقاف واملاك . فاستهل كلامه تحت عنوان

« الاسر اللبنانية المنتزحة من بلاد ما بين النهرين » ما نصه[١٣٨] :

« كلما تعمقنا في درس اصول الاسر في لبنان عثرنا على عدد غفير من الاسر التي انتزحت اليه لا عن سوريا وبلاد العرب فقط بل عن بلاد آشور والعراق وما بين النهرين ايضاً . وبين هذه الاسر الوافرة العدد نخص بالذكر آل الرزي والضاهر وداغر وجميل وطربيه . فقد وفد جدها الاول من بلاد ما بين النهرين ، واستوطن اولاده واحفاده في حردين وتنورين وبقوفا ولحفد وجاج وكفرحورا وغيرها من قرى الجبل التي كانت غاصة بالسريان » .

وبعد هذه المقدمة الوجيزة ذات المغزى الكبير يقتحم الموضوع بقوله[١٣٩] .

« نقل الخوراسقف يوسف داغر التنوري عن العلامة الدويهي ما نصه : ان مشايخ آل الضاهر فرع من بيت الرز الذين قام منهم ثلاثة بطاركة على الطائفة المارونية . وكتب الخوراسقف عينه ان بني داغر من بقوفا ، وهم من صلب آل ضاهر مشايخ الزاوية . فيتحصل من هذين النصين ان مشايخ آل ضاهر وبني داغر انما يؤلفون عشيرة واحدة ويتفرعون من ارومة واحدة هي ارومة الرزي وقد صرح الخوراسقف عن اصل اسرته ان التقاليد متفقة على ان الاصل من شمالي لبنان وان الجد الاول من بين النهرين . فهذه الاسر الثلاث اي الرزي وداغر وضاهر المتوشجة بالقرابة العصبية استوطنت بقوفا التي كان نصف اهاليها مارونياً ونصفها الثاني سريانياً ، وكان ابناء هذين الفريقين الماروني والسرياني على اتصال مستمر في جميع شؤونهم يتزاورون ويتزاوجون ويتعاطون معاً الاعمال القروية » .

ثم يضع حضرته عنواناً اخر ، تأييداً لزعمه في يعقوبية هذه الاسر ، هذا نصه « اختلاف افراد الاسرة الواحدة في العقيدة الدينية » فيقول « كثيراً ما يطرأ بين افراد الاسرة الواحدة انقسام يؤدي بهم الى الاختلاف في العقيدة . وعلى الرغم من هذا الاختلاف وذلك الانقسام نرى مجموع الافراد منتمياً الى ارومة واحدة وجد واحد » ... واستشهد حضرته على

(١٣٨) صفحة ١٠٢ (١٣٩) ص ١٠٣

صحة رأيه باسر معروفة تختلف في المذهب وتتفق في الاسم ، كآل الدوماني والبارودي وشدياق ونحاس وقرداحي وغيرهم .

ولا بد ان القارىء اللبيب قد ادرك ما يرمي اليه حضرته من خليط هذه الادلة وهو تحدير جميع الاسر التي ذكرها من اصل يعقوبي . فلنمر بها واحدة فواحدة :

١ – مشايخ ال الضاهر واسرة داغر – اولاً : نحن نسلم مع حضرته ان ال الضاهر فرع من اسرة الرزي لان الدويهي في كلامه عن نزوح ال الرزي الى الزاوية يقول(١٤٠) « واعقابهم لا يزالون الى اليوم حكاماً على زاوية رشعين ويقومون بمعاضدة الكرسي بكل قواهم . كما يفعل هذا الى الآن الشيخ ابو شديد ضاهر خليفة الشدياق انطانيوس من ال الرز بكل ثناء ومديح . وكنائسهم في بقوفا ودير الصليب الذي كان ملكاً لهم ولو انها الآن خالية من السكان الا ان الكهنة لا ينقطعون عن تفقدها باقامة الاسرار فيها » .

ثانياً – على اننا لا نعرف البينة التي استند اليها حضرة الخوراسقف يوسف داغر ليثبت ان ال داغر من بقوفا ومن صلب مشايخ الضاهر . فهل اصيب صديقنا بالداء العضال ، الذي اعترى جميع مؤرخي الاسر المارونية الحديثين ، بتحدير اجدادهم من رجال عظام امراء ومقدمين ومشايخ وبطاركة ؟

ثالثاً – من قواعد الاسناد ان يكون المصدر مسنود بدوره الى وثيقة اصلية لا شك في صحتها . وحضرة الفيكنت يستند في تحدير ال الرزي وفروعهم من ال الضاهر وداغر الى تقليد يرويه معاصره . وهو يعلم ان التقليد لا يصح التعويل عليه لاستخراج جميع النتائج التي استخرجها لانه بدوره خارج من مخيلات عدة افراد في عصور مختلفة . ولا يجوز الاعتماد على التقليد اذا كنا نملك وثيقة اصيلة تنقضه ، كمرجع تاريخ الدويهي .

رابعاً – وهب ان هذا التقليد صحيح فهل يثبت ان جد ال الرزي كان يعقوبي المذهب . ألم يكن الجزيرة ، الحاوية مئات المدن والدساكر

(١٤٠) ص ٤٦١

والقرى وشتى الملل والنحل، سوى اليعاقبة؟ ألم تكن غاصة بالنساطرة والملكيين والموارنة والاروام. وقد حكمها الصليبيون مدة قرنين، وقبلهم وبعدهم المسلمون من شتى الطوائف والدول؟ ألم يرو التلمحري اليعقوبي ان الخلقيدونيين استولوا سنة ٦٢٨ على كنيسة الرها الكبرى، لما غضب الملك هرقل على اليعاقبة؟ وقال المؤرخ نفسه «ان الموارنة اظهروا في هذه المناسبة قساوتهم وهدموا كثيراً من كنائسنا واديارنا وانتزعوا منا اكبرها ولم نتمكن من استردادها بعد احتلال العرب للبلاد». ألم يذكر ابن العبري المفريان اليعقوبي في تاريخه ان تاوفيلوس الرهاوي كبير منجمي الخليفة المهدي، المتوفى سنة ٧٨٥، كان مارونياً، مما يدل على ان الموارنة كان لهم في اواخر القرن الثامن اتباع في مدينة الرها عاصمة اليعاقبة؟ وعلمنا من رحلة الراهب ريكولد مونتكروا ان ابرشية زاهرة كانت لهم في اواخر القرن الثالث عشر في مدينة تكريت الواقعة في قلب الجزيرة، بين بغداد والموصل. وقد زارهم هذا الراهب الفرنسي سنة ١٢٩٠. وعرفنا منه انه كان يتولاها اسقف من لبنان[١٤١]. مما يدل على ان هؤلاء الموارنة الساكنين في بلاد ما بين النهرين كانوا على اتصال ببطاركهم واحبار طائفتهم في جبل لبنان، وانهم لم ينقطعوا من هذه الجزيرة حتى بعد تقلص سلطة الصليبيين منها. ولعلهم لم يتركوها الا بعد اضطهادات القرن الخامس عشر.

وهكذا افلت من يد حضرة الفيكنت المستند الوهمي الذي تمسك به لاعادة هذه الاسر المارونية الى اصل يعقوبي.

خامساً — ما هو دليل حضرته بان قرى حردين وبقوفا وحلتا وجاج وتنورين وكفرحورا كانت غاصة باليعاقبة عند نزوح جد ال الرزي المزعوم من بلاد ما بين النهرين الى لبنان؟ هل مجرد تسجيل هذا الادعاء في كتابه يجعله حقيقة منزلة كحقائق الكتاب المقدس؟ لماذا لا يقول بان الاضطهادات، التي ذكر حضرته بانها ثارت في القرن الخامس عشر على

(١٤١) راجع «تاريخ الكنيسة المارونية» باللغة الافرنسية للمطران بطرس ديب ص ٢١٦ حيث تجد النص كاملاً.

المسيحيين في سوريا وما بين النهرين ، قد حملت موارنتها على هجرها والنزوح الى لبنان حيث حلوا على الرحب والسعة بين بني جلدتهم ومذهبهم وتحت انظار بطريركهم واحبارهم ومقدميهم ؟ هذا القول معقول ومسنود ، اما زعمه فخارج عن حدود العقل وخارج على الحقيقة التاريخية .

٢ – يعاقبة بقوفا – يدعي حضرة الفيكنت بان جميع سكان بقوفا كانوا يعاقبة ، غير انهم اختلفوا بعدئذ فانحاز بعضهم الى المذهب الماروني واصبحت بقوفا نصفها مارونياً ونصفها سريانياً اي يعقوبياً . ومع هذا الانقسام ظلوا مؤتلفين يتزاورون ويتزاوجون ويتعاطون سوية اعمال الحقل .

فليسمح لنا حضرته بان نطرح عليه بهذا الصدد بعض الاسئلة ايضاحاً لما أشكل علينا من كلامه :

اولًا – كيف عرف ان موارنة بقوفا الكاثوليك كانوا يتزوجون من يعاقبتها الهراطقة ، مع علمه بان المجامع المسكونية والمارونية تحرم هذا التزاوج ؟ لاسيما ان الموارنة كانوا في ذلك العهد اشد تمسكاً بهذا القانون مما هم عليه الان .

ثانياً – نراه هنا يعمد مرة اخرى الى قلب الاوضاع التاريخية . فالدويهي « امام المؤرخين » يشهد بان اهالي بقوفا كانوا جميعهم موارنة . وحوالي السنة ١٤٨٧ ، على اثر الدعاية التي قام بها مواطنهم نوح البقوفاوي وديوسقوروس ضو ، انحاز سكان حارة بقوفا السفلى الى المذهب اليعقوبي . وحضرته يدعي العكس زاعماً ان جد اهالي بقوفا كان يعقوبياً نازحاً من بلاد ما بين النهرين . فسكن بقوفا وتحدرت منه اسرة الرزي وفروعها وظل هؤلاء على مذهبهم اليعقوبي الى حين اختلفوا فاصبح نصفهم موارنة والنصف الاخر يعاقبة . فهل يعقل ان نصدقه ونكذب الدويهي الذي اخذ عنه ؟ فلنفتح سوية هذا التاريخ .

فهو يقول عن نوح البقوفاوي انه ولد مارونياً ، بيد انه كان شاباً جاهلًا يسعى وراء العظمة . فقصد سنة ١٤٧٠ الى القدس وتتلمذ على ديوسقوروس ضو مطرانها اليعقوبي واعتنق مذهبه . ثم قدم مع معلمه المذكور الى لبنان في عهد المقدم عبد المنعم مناصر اليعاقبة وسكن الفريديس

في ارض بان واخذ يبث الدعوة اليعقوبية . ثم سيم مطراناً على فينيقي وصعد الى قريته بقوفا وجعلها كرسياً له . وقام فيها بالدعاية الى الهرطقة اليعقوبية فخدع بعض مواطنيه ورسم منهم رهباناً وقسوساً[١٤٢]

واليك ما دونه الدويهي بصدد آل الرزي بنصه الحرفي[١٤٣] « ان اهل بيت الرز من قرية بقوفا . واهل هذه القرية القاطنون في الحارة السفلى « مالوا » الى اليعقوبية بسبب تعاليم ديوسقوروس بن ضو ، فوثب عليهم اهالي اهدن وهزموهم ودكوا منازلهم مع دير الفوبة كرسي مفريانهم[١٤٤] الى الارض . واوجبوا الحرم على كل من يرجع فيبنيها . واما بيت الرز الساكنون في الحارة العليا فقد صانوا نفوسهم من التعاليم الغريبة ولكنهم اضطروا الى مغادرة القرية المذكورة ورحلوا الى قرية كفرحورا بسبب ما كان يدهمهم من الحوادث . وما زالوا مستمرين على ديانة ابائهم المهذبة الى يومنا هذا . وقد دبروا الكرسي الانطاكي نحو احدى واربعين سنة » .

فهذا الكلام واضح لا يقبل تأويلاً ولا تخميناً . بل يبين ان اهالي بقوفا كانوا « قاطبة » موارنة . فكيف يجعلهم حضرة الفيكنت جميعهم يعاقبة . والدويهي يصرح بان سكان الحارة السفلى من بقوفا « مالوا » الى اليعقوبية متأثرين بالدعاية التي قام بها ديوسقوروس ضو ونوح البقوفاوي تلميذه حوالي السنة ١٤٨٧ . فكلمة « مالوا » تثبت ثبوتاً لا شك فيه انهم لم يكونوا يعاقبة قبل تلك السنة . اما كلام الدويهي عن آل الرزي فاكثر وضوحاً . فقد اكد انهم « صانوا نفوسهم من هذه التعاليم الغريبة وانهم استمروا على ديانة ابائهم » . فكيف يجسر بعد هذا حضرة الفيكنت ان يدعي بان جدهم كان يعقوبياً . وكيف يزعم ان اهالي بقوفا اختلفوا بعدئذ فانحاز نصفهم الى الطائفة المارونية . ولو ادعى حضرته ذلك في قضية تنقصها المسانيد التاريخية لكان امامه بعض المجال لتضليل قرائه ، اما ادعاؤه ما يخالف حقيقة ظاهرة مسنودة فيعد جسارة ما بعدها جسارة .

ثالثاً : ولو انه سهي عنه هذا المصدر الاصيل لتمكن من انتحال بعض العذر على هذه الجسارة . ولكنه اطلع على فقرة الدويهي ونقل

(١٤٢) ص ١٦١ و١٢٤ – ٤١٧ (١٤٣) ص ٤٤٠ (١٤٤) نوح البقوفاوي

عنها عبارة وثوب الاهدنيين على بقوفا ، واعاد القارىء الى الصفحة التي اخذ عنها واخذنا نحن عنها. وطالعها ايضاً في تاريخ المطران الدبس كما يصرح هو بنفسه واحالنا اليه(١٤٥). انما اغفل في نقلها العبارة الاولى المثبتة بميل سكان الحارة السفلى من بقوفا الى اليعقوبية ، لانها تعني انهم كانوا سابقاً موارنة . وهذا يناقض ادعاءه بانهم كانوا يعاقبة ثم انقسموا . واهمل ايضاً الشطر الاخير من هذه الفقرة لانها تثبت ان آل الرز صانوا نفوسهم من البدعة اليعقوبية واستمروا ثابتين على ديانة اجدادهم . وهذه العبارة تنقض زعمه الاخر بانهم من جد يعقوبي ، وانهم كانوا يدينون بهذه البدعة . فقضم من هذه الفقرة رأسها وعقبها ثم تعلق بحبال الهواء ، اي برواية تشير الى تقليد يقول بنزوح جد آل الرزي من بلاد ما بين النهرين . كأن هذه البلاد على رحبها واختلاف مذاهب سكانها وعناصرهم كانت مأهولة فقط باليعاقبة . وقد بنى على هذا الوهم القصور والعلالي ليحدر من اصل اجداده اليعاقبة عشرات اخرى من الاسر المارونية الوجيهة . اهذه هي الامانة في النقل والاستنتاج ؟ اهذا ما يدعيه في عنوان كتابه انه اصدق من كتب في تاريخ لبنان ؟ كيف يجيز له ضميره ان يعمد الى هذا التحريف والتزوير في وثيقة مسجلة في كتاب الدويهي « امام المؤرخين » والكتاب مطبوع تتداوله الايدي ؟ انه لامر فظيع لا نعرف احداً سبقه اليه . ولكنه قد اقدم سابقاً على تحريف وانكار ما دوّنه هو بنفسه في كتابه الاخير ، كما اثبتناه عليه سابقاً . وانكر ما ننشره نحن في هذه الجريدة ويطالعه الوف من قرائها . فلا عجب ان ينكر ويحرف ما كتبه المؤرخ الدويهي منذ ثلاثة قرون . فكيف يطلب منا بعد هذا التشويه في الاصول التاريخية ان نصدق ما يأتينا به من مخطوطات لندره في انكلترا ودير مار موسى الحبشي في النبك واديار قيليقية وما بين النهرين ، او رسائل ووثائق محفوظة في جيبه ؟ والاغرب من هذا وذاك انه اخذ يتنصل على صفحات الجرائد من مغالطاته هذه الثابتة عليه ، ويتهمنا نحن بتحريف الوثائق وتشويه كلامه .

---

(١٤٥) ص ١٠٥

٤ ـ ال ضاهر وداغر وفروعهم ـ وبعد ان استراح حضرته من سرد هذه الادلة الوهمية التي قدمها لقرائه عمد الى النظر في قضية مشايخ ال ضاهر وخصص لهم الفصل الثاني والثلاثين من كتابه[١٤٦] . ولم يلبث ان اصدر عليهم حكماً بانتائهم الى اصل يعقوبي لانهم فرع من ال الرزي . دون ان يعبأ بشهادة بطريركهم الدويهي في حسن ايمانهم وايمان اجدادهم وغيرتهم على طائفتهم المارونية . وهاك نص الحكم « واصلهم من بين النهرين . والاسرتان (اي داغر والضاهر) كلتاهما سريانيتان . لا جدال في معتقدهما » .

ولو اقتصرت المصيبة على هؤلاء لهان الخطب . على ان حضرته يتناول في الحكم عينه ال المريض[١٤٧] ، كأن مصابهم في مرض جدهم لا يكفي للعفو عنهم . ويتلطف فيذكر منهم المطران يوسف المريض المتوفى سنة ١٨٨٦ ثم يوجه ضربته الى ال ريشا في حارة صخر[١٤٨] لانهم من صلب ال داغر اليعاقبة . ومنهم سيادة المطران الياس ريشا رئيس اساقفة بعلبك الماروني . اما حيثيات الحكم فتستند الى ان « القديس ريشا هو شفيع البيعة الكبرى في حردين التي كانت من اهم المراكز التي قطنها اجداده» . والضمير راجع الى المطران . فتخفيفاً عن سيادة المطران الياس ريشا مصابه نذكره بان حضرة الفيكنت قد ساواه بزملائه اصحاب السيادة المطارين عبدالله خوري وبولس المعوشي ويوحنا الحاج وفرنسيس ايوب وبولس عقل وبطرس ديب ، الذين حكم عليهم مثله باليعقوبية . والمصيبة متى توزعت هانت .

ويظهر ان القساوة بلغت حدها في قلب حضرة الفيكنت ، الذي نصب نفسه قاضياً اعلى على الاسر المارونية ، فشمل بحكمه ايضاً[١٤٩] ال راشد وقديح وعويس والهوا ، لانهم من فروع داغر ، وانضوا الى الملة المارونية . ولم يعف عن بني زراقط في زحلة ، مع انهم انضموا الى طائفة الروم الكاثوليك . وختم فضيلته سرد حيثيات الحكم على هؤلاء جميعهم بقوله[١٥٠] « والتقاليد تتفق مع المخطوطات على ان اصل داغر

---

(١٤٦) ص ١٠٧ (١٤٧) ص ١٠٦ (١٤٨) ص ١٠٩

(١٤٩) ص ١٠٩ (١٥٠) ص ١٠٩

وحرب وطربيه ويونس ويعقوب من شمالي لبنان ، اما الجد الاول فمنشأه من بين النهرين . وهؤلاء هربوا الى لبنان » .

٥ – ال طربيه وال الجميل – يقول حضرة الفيكنت[١٥١] « ان فرع طربيه ينبثق من ال الشدراوي نسبة الى شدرا التي كانت مأهولة بالسريان . وكان لهم فيها بعض الكنائس والاوقاف »

ونحن لا ننكر تحدر ال طربيه من ال الشدراوي ، غير اننا نسأل حضرته كيف علم ان شدرا كانت مأهولة بالسريان . واين كانت كنائسهم واوقافهم .

ويختم حضرته كلامه عن هذه الاسر بقوله[١٥٢] « وبعد تلك البيانات الوافية التي اجمعت على انتساب ال الشدراوي الى اسرة طربيه لم يبقَ ريب في تحدرهم كتحدر ال داغر والضاهر والرزي من ارومة واحدة . ثم تبع اغلبهم الملة المارونية . » اما الدليل على هذا التأكيد فمحفوظ في جيبه .

على ان تحدير مشايخ ال الجميل جاء آية من ايات الزمان ، تذهل العقول . فبدلًا من ان يحدر ال الجميل من ال داغر المتأصلين على زعمه من جد يعقوبي ، حدر ال داغر من ال الجميل . واصر مع ذلك على ما ادعاه سابقاً ان داغراً متحدر من ضاهر . اي ان المولود اذا كان يعقوبياً يمكنه الخروج من بطنين مختلفين في آنٍ واحد . وان كنتم ايها القراء الكرام تشكون في كلامنا لان هذه العملية التوليدية تعجز عن ادراكها عقول البشر ، فما عليكم الا ان تشتروا كتابه بالف وخمسمائة قرش ، كما نصحكم مرتين ، وتفتحوا الجزء الثاني منه ، فتجدوا في الصفحة الحادية عشرة بعد المئة ما نصه :

« دققنا البحث عن مستندات خطية تسهل لنا الوقوف على اخبار مشايخ ال الجميل . فلم نتوفق الى العثور على ضالتنا . لجأنا بعد ذلك الى البطريرك الدويهي . . فعرفنا منه (ص١٦٣ – ١٦٤) ان الجميليين كانوا في جاج قبل قدومهم الى بكفيا مركزهم الحالي . ثم عمدنا الى لمحة تاريخية عنوانها « عائلة الجميل » جمعها ونشرها الاستاذ عبدالله حشيمه عام ١٩٣٨ في بكفيا . . . فاعتمدناها لانها القت بعض النور على منشأ الاسرة الجميلية . في الصفحة ٦

(١٥١) ص ١١٠ (١٥٢) ص ١١١

قرأنا ان الخوري ميخائيل داغر كان يروي ان الشدياق داغر جدهم كان من اولاد الجميل . ثم قرأنا في الصفحة ٩ ان داغراً من بيت الجميل . وعني المؤلف بلفظة داغر اسرة داغر كما هو واضح » .

كل ما سبق معقول والولادة كانت طبيعية لو ان حضرته قال ان جد ال داغر البكفاويين هو غير جد ال داغر الشماليين . بيد ان حضرة الفيكنت فطن ان هذا القول المعقول يضيع عليه بعقبة ال الجميل . وهو لم يعر تاريخهم اهتمامه الا بلوغاً الى هذه الغاية . لذلك نراه يقدم بقلب ثابت على عملية التوليد المذكورة من بطنين بمهارة نادرة بل فريدة . فكتب ما يلي (١٥٣) «يستنتج من هذين النصين الصريحين ان بيت داغر فرع من بيت الجميل اولهما من الثاني . ولاجل ذلك يجب حتماً ان يجمع الاصل والفرع كليهما جد واحد . فكما ان بني داغر المتفرعين من ال الجميل يتحدرون من ارومة سريانية (اي يعقوبية حسب قاموسه) هكذا وجب القول ان ال الجميل اجداد بني داغر لا يتحدرون الا من الارومة عينها » .

وخوفاً من ان هذا الاستنتاج الغريب يعسر فهمه على القراء الحقه باعلان العجيبة الخارقة التي بشرناهم بها . ختم برهانه بقوله (١٥٤) .

« فمن النصوص التي اوردناها سابقاً اعني ان ال داغر هم من صلب ال الضاهر المتفرعين من اسرة الرزي وان ال داغر انفسهم يتصلون بالعصبية الى اسرة الجميل نستخلص ان اسرتي الرزي والجميل يجب ان تربطهما صلة نسب واحد » !

هذه هي العجيبة التوليدية التي لم يقدم عليها حتى الان خالق الكائنات عز وجل . قام بها حضرته وسجلها في كتابه .

ولكن ما لنا وهذه النكات لعله لا يستملحها . فكلام الجد هو اننا تحققنا الان وامنا وصدقنا ان داغراً البكفاوي خارج من صلب الجميل ، وان خرج قبلاً من صلب الضاهر . ولما كان ال الضاهر خارجين من بيت الرزي وجد الرزي يعقوبي نازح من بين النهرين فمشايخ ال الجميل يعاقبة اقحاح !

---

(١٥٣) ص ١١٢ (١٥٤) ص ١١٣

٦ – الحبيس مالك – ومن رجمات حضرة الفيكنت في الغيب ادعاؤه ان الاسقف مالك البقوفاوي حبيس قزحيا كان « سرياني النحلة اباً عن جد[١٥٥] » واليك ادلته :

« ان اسم ملكا سرياني لم يدرج استعماله في وقت من الاوقات بين اللبنانيين . وهذا الاسقف ينتسب الى بقوفا التي كانت في عهده حافلة بالسريان اصحاب الطبيعة الواحدة . واسمه يُجمع في السريانية مَلكي اي ملوك . واصبح مئات من الاساقفة والكهنة والرهبان والعوام يحملونه او يتخذونه كنية لاسرهم في بلاد ما بين النهرين ولاسيما في طور عابدين » .

فنلاحظ على هذه المزاعم : اولاً ان الدويهي الذي ذكر هذا الحبيس باسم « ملكا »[١٥٦] عاش بعده بقرن كامل . اما البطريرك سركيس الرزي ، الذي كان مستحبساً معه فيسميه مالك في الحاشية التي علقها على مخطوط ميمر القديس كيرلس الاورشليمي في ارتفاع الصليب . وقد نشرناه وعلقنا عليه في مجلة المشرق التي اخذ عنها حضرته وفي كتاب على حدة[١٥٧] .

واسم مالك شائع بين قبائل العرب منذ عهد الجاهلية وفي جميع البلدان الاسلامية . والمذهب المالكي مشهور لدى المسلمين كالمذهب الحنبلي وغيره . اما في لبنان ففي بقرقاشا « عين مالك » وفي الولايات المتحدة الاميركية الاستاذ شارل مالك سفير لبنان لديها . وهو من طائفة الروم الارثوذكس كما يعلم حضرة الفيكنت . فهل يكون ابن عم حبيس قزحيا ؟

ثم ان اسماء اغلب قرى لبنان سريانية والموارنة منذ القديم سريان لغة وطقساً . وكانوا يتكلمون السريانية في بعض القرى اللبنانية في القرن الخامس عشر ، الذي عاش فيه الحبيس المذكور . كما يصرح حضرة الفيكنت في صدر الجزء الاول من كتابه[١٥٨] . فكيف يجعل هذا الحبيس « سرياني النحلة اباً عن جد » اي يعقوبياً بحجة انه يحمل اسماً سريانياً في عهد كانت السريانية لغة بعض العامة في تلك الجهات ؟ هذا اذا كان اسمه

(١٥٥) ص ١٣٩ (١٥٦) ص ١٣٨ و١٦٨
(١٥٧) ص ١٣ من كتابنا « ارتفاع الصليب » بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٩٣٦
(١٥٨) ص ٣

ملكا لا مالك .

ثانياً اذا كان يعقوبياً فكيف يرسمه البطريرك الماروني اسقفاً على دير قزحيا الماروني .

ثالثاً . هب انه مال بعدئذٍ الى هذه البدعة فكيف يكون «يعقوبي النحلة اباً عن جد» ؟

رابعاً . يتبجح حضرة الفيكنت[١٥٩] ، كما هو شأنه في كل ما يمت الى اليعقوبية بصلة ، بان «الاسقف ملكا املى ذلك الميمر عـلى كل من البطريركين مخائيل وسركيس الرزي ابني وطنه يوم كانا راهبين في دير قزحيا» .

ويستند في هـذا التبجح الينا . فالى القراء ما كتبناه بهذا الصدد بالحرف الواحد[١٦٠] «واغلب الظن انه (اي ميخائيل الرزي) هو الذي ناظر على نسخ الميمر واملى على اخيه الفقرات الزائدة الدخيلة» . فليسجل القراء على حضرته هذا التحريف لكلامنا للمرة العشرين ليزنوا ثقتهم بالنصوص التي يوردها في كتابه وفي ردوده علينا .

خامساً — يقول حضرته ان «مئات من اليعاقبة في طور عابدين اتخذوا اسم ملكا كنية لهم» فنحن نفكر حضرته بقضية خطيرة ، لو لاحقها لجلب على بني امته فخراً عظيماً وربح مالاً جزيلاً . فالسراي الملكية في القاهرة تشغل القسم الاكبر من حي عابدين . وهذا الاسم ، حسب منطق حضرة الفيكنت ، شاهد على ملكية يعاقبة طور عابدين لهذا الحي . فلماذا لا يطالب بهذه الحقوق كما يطالب الطائفة المارونية بما تملك من اديار وكنائس واوقاف قديمة ؟ واذا كانت اشغاله التاريخية وردوده المفحمة لا تسمح له بالذهاب الى القاهرة بنفسه للدفاع عن هـذه القضية فنحن نعده بتوكيل احد كبار المحامين فيها ، مثل معالي مكرم باشا عبيد ، ابن جلدته — لان اسرة عبيد ، عـلى زعمه ، فرع من آل الدويهي اليعاقبة — ونعاهده امام القراء بان نتنازل عن العمولة التي نستحقها على هذه الخدمة وهذه المشورة . لكن — كلام بسرك يا حضرة الفيكنت — حاول ، ولو مرة في

(١٥٩) ١٣٩ (١٦٠) ص ١٤ من كتابنا

حياتك ، بان تودع مذكرتك في هذه القضية ادلة صحيحة ثابتة ، لا وهمية او محرفة ، وبراهين سديدة تقنع العقل والقضاة المصريين بعدالة مطالبك . لان هؤلاء القضاة لم يحرمهم الله سبحانه وتعالى هبة التمييز مثلنا . وننصحك ثانياً ، لوجه الله الكريم ، بان تتحاشى الشتائم في دفاعك الخطي ، كما تعودت حتى الان في قضايا يعقبة الاسر المارونية . لان العيب في الذات الملكية يعاقب عليه في القانون المصري بالشنق . سلامة رأسك .

١٠ — اسرة الدويهي

من اقطع البراهين التي قدمها حضرة الفيكنت لاثبات يعقوبية آل الدويهي ان جدهم خارج ، لا من النبك ولا من القريتين ولا من عين حليا ، بل من شرق سوريا . وهذا برهان ساطع لا يسمح لاحد بالاعتراض عليه . والى القراء ادلته(١٦١) :

« ان البطريرك الدويهي حصر الشجرة الدويهية في اجداده المتسلسلين في بلدة اهدن منذ فجر الجيل الخامس عشر . ولم يتعرض لذكر اجداده الذين سبقوا سنة ١٤٠٠ . ومن جملتهم البطريرك ارميا العمشيتي الذي اشتهر في مطلع القرن الثالث عشر . ذلك يحملنا على الاعتقاد ان اجداد الدويهي قدموا الى لبنان قبل القرن المذكور . . على ان الشيخ سركيس الدويهي كتب لنا ان تقاليد العائلة تبين انها جاءت الى لبنان من جهات شرق سوريا . . » فتكمش حضرة الفيكنت بكلمة « شرق سوريا » ليستنتج ما نصه بالحرف « بناء عليه نقول بكل أمان وطمأنينة ان اجداد الدويهي اقبلوا الى لبنان كما اقبل آل شاهين المشروقي وغيرهم . . . » ثم عمد الى خارطة اليعاقبة فعين قرية صدد الشرق موطناً اصيلاً لجد آل الدويهي الاعلى من غير ان يبوح لنا بسر الوحي الذي هبط عليه لاختيار هذه القرية دون سواها من مئات المدن والقرى المنتشرة في شرق سوريا بين تدمر وحمص ودمشق ، والمأهولة من سكان ينتمون الى شتى الطوائف والعناصر الشرقية .

---

(١٦١) ص ٨١

فنحن نوجه الى حضرته هذه الاسئلة : اولًا . ان سوريا الشرقية كانت مأهولة بشتى المذاهب والعناصر فكيف عرف حضرته بان جد آل الدويهي كان يعقوبياً .

ثانياً . انها تحوي مئات المدن والقرى فكيف عرف انه من صدد .

ثالثاً . يقول ان هذا الجد اقبل الى لبنان قبل القرن الثالث عشر، اي في عهد الصليبيين او قبله حين كان الموارنة منتشرين في هذه الانحاء . فان كان من شرق سوريا فلماذا لا يكون مارونياً هجر موطنه واهله لينزل بين بني قومه . فالمسعودي ،[١٦٢] الذي توفي سنة ٣٤٦ هجرية ، الموافقة لسنة ٩٥٧ مسيحية ، شهد في كتابه «التنبيه والاشراف»[١٦٣] ان الموارنة كانوا منتشرين في القرن العاشر في جميع انحاء سوريا . فقال « الملك موريق ملك عشرين سنة . وفي ايامه ظهر رجل من اهل مدينة حماة من اعمال حمص يعرف بمارون اليه تنتسب المارونية من النصارى الى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا . وامرهم مشهور بالشام وغيرها واكثرهم بجبل لبنان وسنير[١٦٤] وحمص واعمالها كحماه وشيزر ومعرة النعمان » . ونحن نعرف ان هذه الجهات الاخيرة كانت مهد الموارنة .

رابعاً . هب ان جد آل الدويهي كان من صدد فهذه القرية حوت ايضاً سكاناً من الملكيين وغيرهم . فاهلها لم يكونوا قاطبة يعاقبة . ولا تعتبر ادعاء حضرة الفيكنت في رده الاول علينا المنشور في عدد ٢٠ آب بان « بلدتي صدد وعين حليا سريانيتان وجميع من قطنهما من اصل يعقوبي . ولم يقطنهما ماروني واحد منذ بدء الخليقة . »

نحن وغيرنا من القراء لم يتسنَّ لنا ان نزور هذه الجهات المنفردة في طرف صحراء تدمر . وهذا ما يشجع حضرته على التادي في الادعاء بيعقوبية سكان هذه البلاد . على اننا طالعنا اخيراً رحلة قام بها الى هذه البلدان في ايلول سنة ١٩٠٦ المأسوف على علمه الاب لويس شيخو اليسوعي طمعاً في العثور على مخطوطات ثمينة . ونشر هذه الرحلة في المجلد التاسع من

(١٦٢) لباب البراهين صفحة ٢٠٧ (١٦٣) ص ١٥٤ من طبعة باريس
(١٦٤) جبل حرمون في لبنان الشرقي بجهة دمشق

مجلة المشرق . فاليك ما قاله عن صدد الشرق[١٦٥] « اكثر اهاليها من اليعاقبة ولهم فيها بعض كنائس . . . وفي كنائس القرية وعند بعض اهلها عدة مخطوطات اخص ما وجدنا بينها كتب سريانية كان يستعملها الروم سابقاً . منها انجيل سرياني برسم القس يعقوب ابن الحاج يوحنا من قرية كفرحلدا[١٦٦] كتبه الخوري قمر ابن الحاج يوحنا من قرية دار بلي من اعمال البترون في اقليم طرابلس » . مما يدل على ان الملكيين في صدد كانوا باتصال مع بني ملتهم في لبنان . والمخطوطات الملكية التي وصفها الاب المذكور قديمة، اغلبها من القرن الخامس عشر والسادس عشر، تشهد بقدم الملكيين في هذه القرية .

وقال الاب نفسه عن القريتين[١٦٧] ان «اعيانها من مسلمين ونصارى وان[١٦٨] ثلثي اهلها مسلمون» . اما عن النبك[١٦٩] التي اخرج منها حضرة الفيكنت آل ضو وباخوس وزغبي وسويد الموارنة وغيرهم فكتب ان «اهلها يبلغون نحو اربعة الاف اكثرهم المسلمون وبينهم من الروم والسريان نحو الف» . فاين نحن من تأكيد حضرة الفيكنت بان هذه القرى يعقوبية « قاطبة » . وبمجرد ما يتوهم احد ان جده خارج منها يحتم عليه بانه يعقوبي . واذا قال الشيخ سركيس الدويهي بتقليد يروي ان جد اسرته من شرق سوريا حكم عليه « بكل امان وطمأنينة » انه يعقوبي لان صدد واقعة في سوريا الشرقية ولان اغلبية اهلها يعاقبة . كن يقول المسلم الطرابلسي انت ماروني من صيدا لان صيدا من لبنان وفيها موارنة .

خامساً . ومن ادلته على يعقوبية الاسرة الدويهية ان اعلام الاشخاص الذين ذكرهم البطريرك الدويهي في شجرة الاسرة قد عثر عليهم حضرته في صدد . مع انها اعلام تجدها في كل بلد وفي كل ملة . واليك كلامه بنصه[١٧٠] « ان الشجرة الدويهية انطوت على اسماء باقية حتى اليوم في صدد عينها . نذكر منها اسر عبيد وجبلص وتادرس ووهبه وشحاده وقرقور الخ . وقد كتب لنا السيد تئوفيلس يوسف رباني مطران حمص وحماة

---

(١٦٥) ٩ : ٩٥٥ (١٦٦) من مقاطعة البترون (١٦٧) ٩ : ٩٥٧
(١٦٨) ٩ : ٩٥٩ (١٦٩) ٩ : ٩٩٤ (١٧٠) ص ٨٣

والنبك وصدد ان اسر عبيد وقرقور وتادرس لم تزل متعاقبة في صدد حتى اليوم . اما اسر حبلص ووهبه وشحاده فقـد حصل تغير في بعض فروعها » .

واللبيب يدرك ان مكاتب الفيكنت لم يجد في صدد اثراً لاسرة حبلص لغرابة اسمها . اما بقية الاسماء فشائعة في كل مكان . والغرابة هي ان تخلو هذه القرية منها .

فاسم عبيد تصغير عبدالله تجـده اينما ذهبت وفي اي بلد حللت . ونعرف في القطر المصري عدة اسر قبطية ومسلمة تحمل هذا الاسم . منهم صاحب المعالي مكرم باشا عبيد السياسي والمحامي الشهير . فهل يؤمن حضرة الفيكنت بان معاليه هو ابن عم البطريرك ارميا العمشيتي ، الذي يحدره من فرع عبيد المنتمي الى الاسرة الدويهية ؟[١٧١] وقد رجعنا الى الشجرة التي يستند اليها حضرته لاثبات هـذا التحدر . وهي مسجلة في السجل البطريركي الماروني ، المحفوظ في خزانة بكركي ، في المجلد الاول منه ، الذي جمعه البطريرك اسطفان الدويهي بنفسه . وقد نشرها المأسوف على علمه المطران بطرس شبلي ، في صدر الترجمة التي وضعها لهـذا البطريرك . فوجدنا فيها ان الخوري عبيد جد هـذا الفرع المزعوم هو احد ابناء المطران سركيس الذي تولى دير مار سركيس النبع باهدن سنة ١٥٦٥ . ولما كان انتخاب ارميا العمشيتي للبطريركية حدث سنة ١٢٠٩ فيكون انتخابه سبق ولادة جـده بثلاثمائة وست وخمسين سنة على اقل تقدير . وهذه مسطرة من خوارق حضرة الفيكنت ، وليست باعظمها .

ثم ان البطريرك الدويهي لا يعد اسرة عبيد الاهدنية فرعاً من اسرته . ففي لائحة تلامذة المدرسة المارونية برومية التي نظمها بنفسه ونشرها الاب لويس شيخو في كتابه المعنون « الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية » يذكر التلامذة المنتمين الى اسرته بلقب الدويهي بينما يذكر المنتمين منهم الى الاسرة العبيدية باسم عبيد . مثل المطران يوحنا عبيد المرتسم سنة ١٥٧٧[١٧٢] والمطران مخائيل عبيد ابن اخت البطريرك يوحنا مخلوف[١٧٣]

(١٧١) ص ٨١ و٨٤ (١٧٢) شيخو ص ٤٤ و٥٧ (١٧٣) شيخو ص ١٠٣

والمطران جرجس عبيد الذي سامه بيده سنة ١٦٩٠[١٧٤]. واسم ستيته شائع في كل مكان وعند جميع الطوائف حتى الاسلامية. لانه تصغير اسم «ست». فيقولون ستيته وستيتيه. ويحمل اللقب الاخير حضرة الشاعر اللبناني المعروف محمود ستيتيه.

اما لقب قرقور الوارد في الشجرة فهو علم شخص لم تتخذه اسرة في اهدن. ويعلم الجميع ان هذا الاسم يعني الحمل الصغير يعطى على سبيل التحبب للاطفال وغيرهم كما سمعناه مراراً في بيروت. اما بقية الاسماء الواردة في الشجرة والتي اتخذها حضرته اعلاماً لفروع اسرة الدويهي فهي اسماء شائعة في كل مكان ولدى كل الامم المتكلمة بالعربية فلا عجب اذا وجدها في صدد. ومنها ما هو شائع في اقطار العالم كله كاسم تادرس. فقد حمله المستشرق الالماني تئودور نولدكه واضع تاريخ الغساسنة المذكور اعلاه. فهل يدعي حضرته بوجه القرابة بينه وبين البطريرك الدويهي؟

سادساً – وبعد ان رتب حضرة الفيكنت لائحة باخبار الاسرة الدويهية اليعقوبية[١٧٥] عمد الى تعداد فروعها: اسرة عبيد وشعبها في صدد وحلب والنبك – وسهي عنه القطر المصري واقطار العالم العربي – ثم جبلص وتادرس وحوا وكبه، وايوب، ومنهم سيادة المطران فرنسيس ايوب الحلبي رئيس اساقفة قبرس الماروني. وقرقور وخضير وبسول وقشوع والهنود ورعيدي وخوري وابي قاسم وستيته والحاج حسن ومهنا. ناهيك عن اسر مارونية خرجت على زعمه رأساً من صدد: كآل ثابت والدبس وزوين ودوين وعوين وشقير وغيرها[١٧٦].

١١ – اعلام الاشخاص والمهن

ومن خوارق حضرة الفيكنت تحدير جميع الاسر الحاملة اعلام اشخاص او مهن او مدن او قرى او اشكال او اوصاف من اسر يعقوبية اذا وجد عند اليعاقبة اسماء تماثلها. وهو امر يجده بلا عناء. لانه عام لكل

(١٧٤) شبخو ١٢٨ و١٢٩ (١٧٥) ص ٨٣ (١٧٦) ص ٩٤ – ١٠٢

الشعوب والانحاء . واذا كانت من مذاهب مختلفة عزا حضرته ذلك الى انقسام قام بين افراد الاسرة الواحدة[١٧٧]

١ — اسماء الاشخاص — ومن الاسر التي تحمل اعلام الاشخاص اسرة باخوس . والكل يعرف ما للقديسين سركيس وباخوس من الشهرة في لبنان وكم من مئات الاشخاص يحملونه تبركاً من هذا القديس . لحضرة الفيكنت وجد اسم باخوس محولاً من اسرة في النبك . فاخرج جد الاسرة المارونية من النبك . وقال[١٧٨] « ان لهذه الاسرة شعبتان دمشقية سريانية حافظت على طقسها السرياني ومارونية ولبنانية نزحت من النبك الى جبة بشري . ثم اندمجت في الملة المارونية . وان رأسها هو صادر الحدشيتي ، الذي ولاه يوسف باشا سيفا مقدمية جبة بشري ، لان ابنه الذي ورث عنه المقدمية كان يدعى باخوس . توفي سنة ١٥٩٤ وقام بعده ابنه فرج . وانتشرت سلالة باخوس في غزير وطرابلس وبيروت وايطاليا والقطر المصري . وفي دمشق اسرة اخرى سريانية عرفت باسم جدها باخوس» .

وقد اتخذ حضرته هذه القاعدة لتحدير اسر اسطفان ورزق الله ورزق وعبود وشحاته وسعاده وشمعون وعيد وبطرس ولطف الله وايوب ونصرالله وعساف وناصيف وحنينة وحوا وستيته وتقلا وو... . فتصبح اسماء الاسر برج بابل تفرق افرادها في اربعة اقطار المسكونة .

٢ — اسماء المدن والقرى — ويأتي حضرته ، برهاناً على وحدة الاصل مع اختلاف المذهب ، باسرة دوماني الملكية . فمنها فرع كاثوليكي وآخر ارثوذكسي . مع ان قرية دوما اللبنانية مؤلفة من شتى الاسر الملكية والمارونية . فانتساب الافراد الخارجين منها اليها لا يعني حتماً انهم من جد واحد . وقد تكون القرية او المدينة حاوية نصارى ومسلمين ويهود من طوائف مختلفة . فانتساب الاسرة الى جد نزح منها لا يمكن الاعتماد عليه . والا اضطررنا ان نعيد الى اصل واحد اسر شامي وحلبي وحمصي ومصري وطرابلسي وصيداوي وغيرها مع انك تجد اسراً حاملة لهذه الالقاب في

---

(١٧٧) ص ١٠٣ (١٧٨) ص ١٢٠

جميع البلدان ولدى شتى المذاهب.

٣ – اعلام الاوصاف – وقد تحمل اسر مختلفة العقيدة والوطن والارومة القاباً اطلقت على اجدادها في جميع الانحاء لاوصاف اختصوا بها دون ان تربطها صلة قرابة. فيقولون بيت الطويل والقصير والاشقر وشقير والاسمر والاسود وسويد والازرق والابيض وجاهل وعاقل ومدوّر وخضير وحلو والملوف والسمين والرفيع وما شاكل ذلك.

ومنها اسرة زوين تصغير زين وهو اسم كثير الشيوع بين البدو والحضر والرحل. وفي لبنان قريتا كفرزينا وزان. وقد عثر حضرة الفيكنت على اسم زوين وارداً في مخطوط يعقوبي[١٧٩] فاصدر حكمه على آل زوين الموارنة بانهم يعاقبة المحتد. وطبق هذه القاعدة على آل شقير[١٨٠] مع انك تجد الاسم عينه عند الموارنة والدروز والروم الكاثوليك والارثوذكس في لبنان وغيره. وليس بين الاسر التي تكنت به ادنى رابطة نسب. ووجد لقب الدبس عند اليعاقبة، فقرر ان المطران يوسف الدبس واسرته من اصل يعقوبي[١٨١] كأن اليعاقبة احتكروا شقرة الشعر واكل الدبس. وزعم[١٨٢] ان آل صوما يعاقبة لان اسمهم منسوب الى برصوما، احد ائمة اليعاقبة. وحضرته يعترف انه يطلق على من ولد في اثناء الصوم الكبير، كما يطلق اسم جمعه على من يولد يوم الجمعة[١٨٣] وميلاد على من يرى النور في عيد ميلاد السيد المسيح، وسيدة على المولودة في عيد السيدة العذراء.

وغير ذلك من السخافات التي شحن بها كتابه، وجعلتنا نمل من قراءته. كما ان القراء قد ملّوا منها بلا شك. وقبل ان نمسح القلم نورد لهم ما يأتي كمسك الختام:

٤ – اعلام المهن – ويُعدّ ايضاً من السخافة اعادة الاسر التي تحمل اسم مهنة او حرفة الى اصل يعقوبي اذا حمله جد يعقوبي احترف المهنة عينها.

---

(١٧٩) ص ٩٩ (١٨٠) ص ١٠١

(١٨١) ص١٠٠ (١٨٢) ص ١٢٨ (١٨٣) ص ٥٩

فالحرف يتعاطاها القوم في جميع البلدان ومن جميع المذاهب . فلا ينتمي مثلاً النجار المسلم في مصر الى اسر النجار في بقية بلدان الشرق والغرب . وقس على ذلك . بيد ان الفيكنت يؤكد لك الخلاف ليجعل جميع الاسر التي تلقب جدها باسم حرفة او وظيفة راجعة الى ارومة يعقوبية لان اليعاقبة احترفوها او مارسوها . وان كنت تظن ايها القارىء اننا سمينا هذا الصنف من البرهان سخافة لنبادل حضرة الفيكنت الشتائم ، فاليك كلامه بالحرف الواحد[١٨٤] .

« كثيراً ما يطرأ بين افراد الاسرة انقسام يؤدي بهم الى الاختلاف في العقيدة المذهبية . وعلى رغم هـذا الاختلاف وذلك الانقسام نرى مجموع الافراد منتمياً الى ارومة واحدة وجد واحد » وبعد ان يأتي على سبيل الاستشهاد باسم اسرة الدوماني يستطرد بذكر بعض الاسر التي تعددت المذاهب في كل منها « كآل بارودي وحائك ونحاس ونجار وحداد وقرداحي ونقاش وغلاييني وشدياق » .

ويضم اليها اسرة عواد المارونية الحصرونية . مع ان القراء يعرفون ان لقب عواد يطلق على من يحترف مهنة الغناء على العود او النقر عليه ، ويلقب به ايضاً صانع اعواد محراث الفلاحة . وهي مهن منتشرة في كل الاصقاع ولدى جميع الشعوب . واليك كلام حضرته في هـذا اللقب[١٨٥] « ناهيك ان اسرة عواد الحصرونية الموطن والتي اشتهر منها بطريركان انطاكيان مارونيان وستة مطارنة يتفرع اولادها اليوم خمسة فروع مختلفة في العقائد . فهناك الماروني واللاتيني والرومي الكاثوليكي والمسلم السني والمسلم الشيعي . وجميعهم بلا استثناء يمتون الى جدهم الاعلى شاهين المشروقي الصددي المولد والسرياني المحتد » . فيكون صانع اعواد المحراث الشيعي في جبل عامل او في بلاد فارس ، او المسلم في افغانستان او الباكستان ابن عم البطريركين المارونيين الحصرونيين يعقوب وسمعان عواد . لانه خارج من صلب شاهين المشروقي اليعقوبي .

ولم يعد امامنا سوى لفت انظار ابناء طائفتنا الى اللوائح اليعقوبية التي

---

(١٨٤) ص ١٠٣ (١٨٥) ص ١٠٤

نشرها حضرة الفيكنت في الجزء الثاني من كتابه[١٨٦] وعلق عليها بطاركتنا ومطارينا من احياء واموات كما يعلق المجرمون على اعواد المشانق، ناصباً ازاء اسم كل منهم اسم البلدة اليعقوبية التي ارغم جده على الخروج منها، عقاباً لهجره وطنه الاصيل وجحده مذهبه اليعقوبي ولانضمامه الى الطائفة المارونية. مع ان هـذه الطائفة كانت عبدة ذليلة لطائفته، الاصيلة في لبنان وصاحبة الحق الاول في ابرشياته وكنائسه واديار واوقافه وارزاقه ومواشيه!...

القسم الثالث

ملحق الوثائق

الملحق الاول مقدمو جبة بشري

١٣٨٢ — ١٦٩٠

نقلاً عن البطريرك اسطفان الدويهي

عثرنا عـلى هذه النبذة المخطوطة بالكرشونية بين اوراق العلامة يوسف السمعاني المحفوظة في المكتبة الفاتيكانية. وهي تؤلف الاوراق ٢٢٥ – ٢٣٠ ق من السجل الموسوم برقم ٧٢٥٨ من مجموعة السجلات الفاتيكانية اللاتينية (Vaticani Latini). وعلى هوامشها ارقام السنين بالخط الافرنجي. ولعل هذه الارقام من يد السمعاني نفسه.

وقـد تكلم فيها المؤرخ اولاً عن المقدمين الايوبيين. ثانياً عن المقدمين المناحلة ورثائهم. ثالثاً عن مقدمي بيت الحدثات. رابعاً عن المقدمين الغرباء عن جهة بشري.

١ — المقدمون الايوبيون ١٣٨٢ — ١٥٤٧

في المقدمين الايوبيين الذين تولوا تدبير جبة بشراي منـذ قرب سنة ١٤٠٠ مسيحية. مقطوفة من تواريخ الدويهي.

[٢٣٠ق] الاول في المقدمين الايوبيين كان الشدياق يعقوب البشراني.

(١٨٦) ٢٢٣ – ٢٣١

والخبر الشايع في البلاد فهو ان هذا استمد المقدمية من الملك الظاهر برقوق على هذه الصفة . ان الملك الظاهر قدم الى قرية بشراي ام البلاد بزي درويش . فاستقبله الشدياق يعقوب بكل كرامة . فكشف له نفسه الملك وجمله شراقاته وانعم عليه انه يكون مقدماً على اهل جبة بشراي هو واولاده وكتب لهم ذلك بخطه على صفحة من نحاس . وثم يقال انه نزل من بشراي الى دير قنوبين فاحتفل له القس بطرس رئيس الدير وقام بواجبه . فعجب من سيرة الرهبان ومن عبادتهم وحسناتهم وانعم عليهم بان ديرهم يكون معاف . وحرر لهم ذلك بصفحة اخرى من نحاس ليكون مخلداً .

ويتصدق ذلك اولاً مما يخبر حمزه ابن سباط[١٨٧] في التواريخ ان في سنة ٧٨٤ للهجرة الموافقة للسنة ١٣٨٢ مسيحية خُلع من السلطة الملك الصالح حاجي وهو آخر الدولة التركية بمصر . وتولى السلطنة برقوق وتلقب بالملك الظاهر وهو اول الملوك الجراكسة بمصر . وفي حال اقامته ولى بيدمّر الخوارزمي نيابة دمشق . وبسبب ان بعد مدة قبض على بيدمر وقتله قصد العصيان عليه يلبغا الناصري نايب حلب وتمربغا منطاش نايب ملاطية . وجما عليه عساكر الشام والعربان والتراكمين واهل كسروان والجرديين فظفرا بجيش مصر وقصدا الديار المصرية . فانضافت اليها عساكر مصر [٢٣٠] فخلعا الملك الظاهر واعادا الملك حاجي الى السلطنة . ولاجل ذلك اختفى الملك برقوق مدة من الزمان . ثم قبض عليه الناصري وسجنه في كرك الشوبك قاصد ان يقتله لكن حَسن الكشكلي الذي كان نايب الكرك افرج عليه واخرجه واعطاه مماليكه وعسكر الكرك فسار بهم الى مقاتلة نايب غزه وظفر به ثم بنايب حلب وبمنطاش وبالملك الصالح وتمكن بالسلطنة .[١٨٨]

وثانياً يتصدق الخبر الذي ذكرناه عن مقدمية الايوبيين من تواريخ النصارى . فان ما وجدنا ان احد انسام مطران بقنوبين قبل القس بطرس

(١٨٧) من دروز لبنان وما زال تاريخه مخطوطاً . وقد عثرنا على نسخة جيدة منه في المكتبة الفاتيكانية كتبها القس اغناطيوس سلهب الحاقلاني الراهب اللبناني الماروني مؤسس دير اللويزه . راجع عنه كتابنا اللآلي في حياة المطران عبدالله قرالي ص ٩٥

(١٨٨) راجع تفاصيل هذه الحوادث في تاريخ الدويهي المطبوع ص١٣٠ و١٣١ حيث يذكر موقعة في جورة منطاش بزوق مكايل

كما حرر عنه الخوري دانيال الباني في ذيل الكتاب الذي نسخه في سنة ١٣٩٧ قايلاً «كان الفراغ منه سنة ١٧٠٨ يونانية على زمان البطرك داوود المكنى يوحنا[١٨٩] وكان بطرس مطران قنوبين». وكذلك بعد وفاة الشدياق يعقوب البشراني تولوا المقدمية وحكم الجبة اولاده مزهر وزين وبدر كما هو محرر في ذيل كتاب الفنقيت[١٩٠] بدير مار اليشاع بشراي [illegible][١٩١]

وعلى موجب ذلك يكون المقدم يعقوب خلّف ثلاث بنين وهم مزهر وزين المعروف بسيفا وبدر المسمى قمر.

فمزهر خلف سبع بنات. وقمر خلف الشيخ ايوب. وايوب خلف ثلاثة وهم موسى وحسام الدين وعلوان. فموسى تأدب بالعلم والتقوى منذ صباه وانسام مطران على بشراي[١٩٢]. وحسام الدين خلف بنتاً تزوجها عز الدين ابن جمعه الذي كان اصله ملكياً من قرية عين حليا[١٩٣]. واخوهما علوان خلف ايضاً بنتاً تسمت ست الملوك تأهل بها كمال [٢٢٩ق] الدين ابن عجرمة مقدم ايطو.

واما سيفا الذي تخلف بعد ابوه في المقدمية الايوبية خلف ولدين وهما جمال الدين وعبد المنعم. فعبد المنعم مات في سنة الف واربعماية وسبعين. والمقدم جمال الدين خلف اثنين وهما عساف ورزق‌الله. فالمقدم عساف خلف عبدالمنعم ايوب. والمقدم عبد المنعم ايوب خلف جمال الدين يوسف. وهذا عبـد المنعم استمال من تعليم موسى بن عطشة الى رأي اليعاقبة ومات في سنة ١٤٩٥[١٩٤]. وبعد موته زوجته نجتيه جددت كنيسة مار حوشب في

---

(١٨٩) راجع الدويهي ص ١٣١ وكان مقيماً في دير مار سركيس القرن بحردين

(١٩٠) الحاوي صلوات الاعياد

(١٩١) هكذا ورد ولعله يريد [illegible]

(١٩٢) ذكر الدويهي (ص١٣٧) ان المقدم يعقوب توفي سنة١٤٤٤ فخلفه في المقدمية اولاده الثلاثة وحكموا حكماً عادلاً واستتبت الراحة في ايامهم. ويقول في الصفحة ١٦٦ ان المطران موسى كان قاطناً في دير مار ماما (بشري)

(١٩٣) هذا ينفي ما ادعاه الفيكنت طرازي (٣ : ٦٢ و٦٣) بان المقدمين المناحلة كانوا يعاقبة

(١٩٤) الدويهي ص ٤٢٥ حيث تجد تفاصيل وفاته

قرية بقع كفرا(١٩٥) . واما ولده يوسف تخلف بعد ابيه في المقدمية واحسن الديانة وخلف عساف وهو الياس . والمقدم عساف تزوج بنت ملكية من بيت البها من اهالي طرابلس وخلفت له عبد المنعم حنا . ولكن بسبب ان في سنة ١٥١٩ مات المقدم عساف وولده حنا كان بعده قاصر في العمر(١٩٦) صار ان تغلب على المقدمية كمال الدين بن عبد الوهاب الايطوني المعروف بان عجرمة الذي تزوج بست الملوك بنت الشيخ علوان . فانشأ برجا جميلًا بقرية ايطو وتولى حكم الجبة مدة ثمانية عشرة سنة . ثم ان وثب عليه عبدالمنعم حنا ابن المقدم عساف وقتله بقرية بلوزا واسترد المقدمية(١٩٧) وخلف عبدالمنعم المذكور رزق الله ونسيبه واخوتها . ولكن ست الملوك امرأة ابن عجرمة لتأخذ ثار زوجها دفعت اموالًا كثيرة الى مقدم بشيناتا على المقدم عبدالمنعم . فجهز له الشيخ حماده راس الحمادية وناس نصارى ملكية يعرفوا بالصليبية من قرية عين حليا كمنوا له خارج البرج ولما [٢٢٩] بكر المقدم وخرج حتى يصبح القاضي الذي كان نازل تحت الجوزة قبضوا عليه وقتلوه . ولما شاع الخبر في بشراي قام سنسول وحنا ابن شيط وابن هارون رفاق المقدم ضربوا حماده في كرعوب رجله ولحقوا ارفاقه وقتلوهم عند الحرايس . واما الصليبية دخلوا البرج وقتلوا رزق الله واخوته اولاد المقدم عبدالمنعم حنا . وفيهم انقرضت ذرية المقدم سيفا البشراني في سنة ١٥٣٧ مسيحية(١٩٨).

---

(١٩٥) بجتبيه كما جاء في النسخة الاصلية من تاريخ الازمنة (و٩٩ق) وفي تاريخ المختصر المخطوط و٧٢ ق . وقد جاء خطأ في التاريخ المطبوع (ص١٦٣) ان اسمها بكتبيه وانما كنة عبدالمنعم لا زوجته .

(١٩٦) الدويهي ص ١٥٤ (١٩٧) الدويهي ص ١٦١ .

(١٩٨) الاصح سنة ١٥٤٧ كما جاء في المختصر و٨٤ق لانه في السنة ١٥٤٣ بعث اليه البابا بولس الثالث برسالة وجدناها تحت الرقم ٩ من مجموعة رسائل الامراء ad Principes في المكتبة الفاتيكانية

٢ ـ في مقدمية العناحلة ١٥٤٧ ـ ١٥٧٩

عندما فرغت مقدمية الايوبيين تخلف بعدهم [اولاد][١٩٩] عز الدين بن جمعة من قرية عين حليا . فان هذا في سنة ١٤٣٠ تزوج بنت حسام الدين بن ايوب بن قمر فرزق منها ولدين وهما حسام الدين والياس . لحسام الدين خلف اربع بنين وهم موسى وعاشينا ورزق‌الله وداغر وتولوا حكم البلاد مع والدهم . ولكن بعد موته وقع الانشقاق بين رزق‌الله وبين عاشينا . فتزوج رزق‌الله بنت ابو داوود شلنده البشراني وسكن في البرج التحتاني في بشراي . وتزوج عاشينا بنت من حصرون وسكن في الهرج الذي فوق الضيعة . وكان عاشينا شاب جاهل يقطع السابلة ويقصد الحرام . واذ لم يحتمل توبيخ اخيه رزق‌الله انتقل الى بيته في حصرون على حردة . فقام طلع البطرك مخايل[٢٠٠] اصلح بينهما واعاده الى بشراي . ولكن بسبب ان عاشينا شلح القفل على المسقية وصار حيف[٢٠١] على اهل البلاد المقدم رزق‌الله بعث دعا لعاشينا ينزل لعنده . وكان واضع له الكمين ناس من الضنية داخل البرج حتى وضعوا [٢٢٨ق] ايديهم عليه وقتلوه . فلما بلغ ذلك الى مسامع السيد البطريرك صعب عليه ذلك كثير وصعد الى بشراي وطمن بالحرم المقدم رزق‌الله ولكل من كان مشارك له في قتلة اخيه . فهمل المقدم في حرم البطرك وهمل الله فيه حتى ان اصحاب القفل طالبوه كضابط الناحية في حمولة القفل . فاذ لم يستقر لهم بشيء . ولا قدروا يجيبوا عليه شهود مهلوا حتى نزل الى طرابلس بسبب حساب المال . ودخل الى الحمام ليستحم فاخذوا عمامته التي كانت يانس ابيض ختموها في دمغة قماشهم وبرطلوا عليه القاضي . وعندما خرج من الحمام داعوه الى الشرع فامر القاضي بفلش عمامة المقدم وعندما استبان الختم ثبت عليه الحق وامر في

(١٩٩) لا يعقل ان يكون عز الدين هو الذي خلف الايوبيين في الحكم لان المقدمية آلت الى احفاده سنة ١٥٤٧ اي بعد زواجه بمئة وسبع عشرة سنة. وهذا ما حملنا على وضع كلمة اولاد التي لا بد انها سقطت من النسخة. فأكبر الظن ان حسام الدين ولده كان رأس المقدمين العناحلة كما جاء في اللائحة.

(٢٠٠) ميخائيل بن حنا الرزي (٣١ اذار ١٥٦٧ - ٢١ ايلول ١٥٨١)

(٢٠١) ضرر

هلاكه وهو معلق على اذناب الخيل . وكان ذلك في سنة ١٥٧٠[٢٠٢] .
وبعدما قتل المقدم رزق‌الله في مدينة طرابلس سارت منها الشواني[٢٠٣]
في الركبة على جزيرة قبرص[٢٠٤] .

بعد مقتل رزق‌الله تولى المقدمية اخوه داغر وعساف ابن اخيهما موسى .
فقبض المقدم داغر على داوود وموسى ولدي شلنده وقتلهما قايلاً انهما دبرا
على قتل المقدم رزق‌الله زوج اختهما . واما اولاد شلنده الذين تبقوا في الحياة
وقرايبهم قدموا السعاية في المقدم داغر وفي ابن اخيه الى الامير منصور
ابن عساف الذي كان قاطن في اغزير وضابط هذه المقاطعات من قبل
نايب الشام . فارسل على مجرى العادة شوباصيا الى بشراي بسبب جمع
المال . وعند حصوله[٢٠٥] ركب الشوباصي حصانه وطعن المقدم داغر في
الرمح فقتله . ولم يكن له في المقدمية الا ثمانية شهور . ثم ان الامير
منصور عامل [٢٢٨] ايضاً على مقتل عساف بن موسى ونقل حكم
الجبة من اولاد حسام الدين الى الشيخ ابو سلهب القريعي[٢٠٦] .

فما حكمها الا سنة ونصف بسبب ان اهالي الجبة كلها موارنة
والقريعية مسلمين من اهالي فاريا . والشيخ ابو منصور يوسف ابن حبيش
الذي كان متكوخن[٢٠٧] قدام الامير منصور ما هان عليه بان جماعته
تكون تحت عبودية الغربا وكان دافع عنهم دفوع شتى امام الامير
ولكن ما استمال الى كلامه حتى انه علّم اولاد البلاد يعاصوا لابي
سلهب ويقابحوا فعله كما صار . فقتل اثنين من اهالي بشراي تحت بقعكفرا .
وتقدمت فيه الشكايات الى الامير منصور في سنة ١٥٧٣[٢٠٨] حينئذٍ
امره يترفع من حكم البلاد وصرف فيه المقدم مقلد ابن المقدم الياس
العنحلاني والشدياق خاطر الحصروني . فالمقدم مقلد تزوج من اهدن وخلف

(٢٠٢) الدويهي ص ١٧١ (٢٠٣) جمع شونة اي مركب
(٢٠٤) الدويهي ص ١٧٢ و١٧٣ (٢٠٥) على المال الدويهي ص ١٧٤
(٢٠٦) جرت هذه الحوادث سنة ١٥٧٣ كما جاء في تاريخ الدويهي ص ١٧٤
(٢٠٧) كان كاخية الامير منصور اي كاتب اسراره ومستشاره
(٢٠٨) الاصح ١٥٧٤ كما جاء في تاريخ الدويهي ص ١٧٤

جمال الدين يوسف وست البنات . والشدياق خاطر ابن شاهين[٢٠٩] من بيت مشروق تزوج من بنات ضيعته خلف اربع بنين وهم رعد ونعمه وداود وجرجس . وكان المقدم مقلد والشدياق خاطر يستوفيان مال الجبة على القاطعين ما خلا اهدن كانوا يتكلموا عليها ثلاث شمامسة بامورات شريفة والجميع يوردون المال الى اغزير ليد الامير محمد والبلاد في امان وطمان .

والامير محمد ابن عساف صار له سطوة عظيمة وجاته من نايب الشام امورة شريفة ليست فقط في كسروان وجبيل بل في حماة وحمص وساير ايالة طرابلوس . وكانوا المتكلمين قدامه الشيخ ابو منصور يوسف[٢١٠] واخوه الشيخ ابو يونس سلمان ولدي الشيخ حبيش من يانوح . ولكن بسبب ان اعيان المقاطعات كانوا مضاددين [٢٢٧ق] له في الحكم مثل عبد الساتر الكريدي شيخ البترون ، وغادر شيخ جبيل ، وامارة بيت الحنش في فتقا ، وابن شعيب نايب طرابلوس وغيرهم ، فعامل الامير على هلاكهم . لاجل ذلك تقدمت فيه السعاية الى الباب الاعلا فرفعوا يده من ايالة طرابلوس واعطوها ليوسف باشا ابن سيفا التركماني في سنة ٩٧٩ للهجرة الموافقة لسنة ١٥٧٩ مسيحية وصارت طرابلوس باشاوية من ذلك الوقت[٢١١] .

٣ ـ في مقدمية بيت الحبشات (١٥٧٩ ـ ١٦٣٣)

وعندما تقلد يوسف بن سيفا ايالة طرابلوس نادى على القواسة الذين تبعوا الامير ابن عساف وعلى الذين من حوفهم[٢١٢] لاجل ذلك المقدم مقلد اخذ اولاده وفرّ بهم الى بلاد الشوف[٢١٣] والشدياق خاطر الى بعلبك . ولكن بعث يوسف باشا مكاتيب الامان الى الشدياق خاطر واعاده الى

(٢٠٩) جاء في اللائحة المنشورة في ذيل هذه الوثيقة « ابن غادر بن شاهين » الذي نزح الى لبنان سنة ١٤٧٠ (الدويهي ص ١٤٠) . لان خاطر توفي سنة ١٦١٢ فلا يعقل ان يكون ابن شاهين بل حفيده. (٢١٠) توفي سنة ١٥٨٣ . ويقول عنه الدويهي (ص ١٧٧) انه كان ذا سطوة وغيرة عظيمة وخلفه في منصب الاستشارة اخوه الشيخ ابو يونس سلمان . (٢١١) الدويهي ص ١٧٦ (٢١٢) حزبهم

(٢١٣) ومات هناك عن صبي وبنت هما جمال الدين يوسف وست البنات (الدويهي ١٧٦)

جبة بشراي وادخل معه في الحكم الشدياق باخوس ابن صادر من قرية حدشيت . فدام المذكور الى سنة ١٥٩٤ . وتخلف بعده ولده الشدياق ابو صادر فرج . وكذلك استمر الشدياق خاطر الى سنة ١٦١٢ وتخلف بعده ولده الشماس رعد . وكان تزوج ست البنات بنت المقدم مقلد . ولكن ما طالت مدته لان في تلك السنة مات مسموماً(٢١٤) . وكذلك مات معه جمال الدين يوسف ابن المقدم مقلد . وفي هذا جمال الدين انتهت مقدمية اهالي عين حليا(٢١٥) . ثم ان ست البنات اوقفت رزقها لقنوبين وتزوج بها الشيخ ابو عساف موسى البشراني وسار بها الى مدينة حلب وخلفت له ولداً تسمى عساف . فلما انتشا دخل الى بلاد النصارى وقضى اجله في الرهبنة .

ثم ان يوسف باشا قدّم على جبة بشراي ابو عاشينا ابن حسام الدين المنحلاني(٢١٦) . خلف ثلاث بنين وهم عاشينا وحنا ومخايل . ولكن بسبب ان اولاد الشدياق خاطر كانوا يعارضونه في الحكم ويتزايدوا عليه في الضمان توامر عليهم المقدم ابو عاشينا مع الحاج سليمان الملكي كاتب ديوان يوسف باشا . حتى ان الباشا بعث قبض على نعمه واخيه داوود وحبسهما في دار الست اصيل وفي المواعيد المزوّرة انه يرد لهما الحكم استجر منهما اموال كثيرة كان خلفها والدهما الشدياق خاطر . ثم حمّلهما ليلاً على الدواب الى قبور الغرباء وهناك خنقهما والقاهما في البير الازهري . وكذلك قبض المقدم [شلهوب] ابو عاشينا على اخيهما جرجس فغرّقه في الماء عند راس النهر تحت المدينة(٢١٧) . وما زال حُكم الجبة بيد المقدم شلهوب

(٢١٤) وضعت له زوجته ست البنات سماً في دجاجة فاكلها مع اخيها جمال الدين وماتا معاً (الدويهي ص١٩٣)

(٢١٥) وفي تاريخ الدويهي ص ١٩٢ «وانقرضت به ذرية المناحلة» . وفي النسخة الاصلية من تاريخ الازمنة ورقة١٣٦ نجد العبارة عينها . وهذا ينفي ما ادعاه الفيكنت طرازي(٢ : ٦٧) بان آل الحلو وكيروز ورحمه وغيرهم من الاسر المارونية متسلسلون من المقدمين المناحلة .

(٢١٦) من بيت الحسينات كما في لائحة النبذة

(٢١٧) وكان الدويهي ذكر موت رعد مسموماً بيد امرأته(ص١٩٢من المطبوع) فانقرضت بهم ذرية شاهين المشروقي . وهذا ينفي ما ادعاه الفيكنت طرازي (٢ : ٧٦) بان السماعنة وآل دواد ومسعد وشدياق وفرحات ومطر والحاج وغيرهم متحدرون من شاهين المشروقي . اما النص المنشور في تاريخ الدويهي المطبوع ص ١٩٣ فجاء محرفاً ومخالفاً للواقع كما سيأتي شرحه

واولاده الى سنة ١٦٢٠ التي بها وقع الحرب بين الامير فخر الدين آل معن وبين يوسف باشا ابن سيفا . فقدم مصطفى اغا من قبل الوزير الاعظم حسين باشا البستينجي في امورة شريفة الى الامير فخر الدين انه يتحوّل على يوسف باشا بطلب المال . وجمع الامير عسكره وفي ثمانية خلت من شهر رمضان نهار الاربعة[٢١٨] حاصر مدينة طرابلوس ودخلها . وكان كاخيته الشيخ ابو نادر ابن ابو سقر ابن الخازن . وفي السنة الثانية انعزل يوسف باشا عن أيالة طرابلوس ودخل عمر باشا ففوّض حكم البر الى الامير فخر الدين . والشيخ ابو نادر ولى اخاه الشيخ ابو صافي على حكم جبة بشراي . وكثر الامان والعدل في الجبة وفي كل ايالة طرابلوس . لان الامير فخر الدين حرّر على راس الفلاح اثني عشر قرش ونصف . ومثلها على الفدّان واما على ماية التوت جمل في معاملة [٢٢٦ق] طرابلوس قرشين . وفي كسروان قرش ونصف الربع[٢١٩] . والجالية على راس الغريب قرشين ونصف الربع . ومثلها على ماية المعزة . وعلى حجر الطاحون وعلى دولاب الحلالة . وان الديوره تعطي نصف خراج لا غير . وكان مال الجبة اربعة الاف يورَّد مع مال بلاد جبيل والبترون الى الشام لمصرف الحاج[٢٢٠] . وفي بدو حكم الشيخ ابو صافي حدث ان عاشينا ابن المقدم شلهوب قتل القس دانيال في دير مار توما بارض حصرون لجهله ورغبته بطلب المال فعرف به الشيخ ابو صافي وقرَّره ثم اخذه الى قلعة سمرجبيل ومن هناك قتله وقبره عند جسر نهر المدفون . وبسبب ان ابوه شلهوب كان يحتج عنه ويتغلّب على حكم الجبة بعث قبض عليه وحبسه مدة في قلعة سمرجبيل ثم القاه في نهر المدفون[٢٢١] . ودام الشيخ ابو صافي في حكم الجبة الى سنة ١٦٣٣ التي بها صارت الركبة على الامير فخر الدين فقبض عليه الدولة وقتلوه في اسطنبول[٢٢٢] والشيخ ابو صافي رجع هارباً الى بلاد كسروان .

(٢١٨) ٧ آب ١٦٢٠ (الدوجي ١٩٦ و ١٩٧) (٢١٩) لانه كان يرمي الى عمار كسروان

(٢٢٠) اي لنفقة الحج (٢٢١) فكانت مدة ولاية المقدم ابي عاشينا تسع سنين (الدوجي ص ١٩٨) اي انه حكم من السنة ١٦١٢ الى السنة ١٦٢١

(٢٢٢) الدوجي ص ٢٠٤ و ٢٠٥

٤ — في دخول جبة بشراي تحت حكم الغرباء (١٦٣٣ — ١٦٩٠)

من كثرة الحروب التي جرت بين يوسف باشا وبين الامير فخر الدين صار ان ضعفت خلايف بيت سيفا ورجعت مدينة طرابلوس تحت يد الضمانة . والذين كانوا تبقوا من نسل مقدمين بشراي من مظالم بيت سيفا ومن جور الدهر البعض طفروا الى نواحي صيدا والبعض رقت احوالهم وافتقروا . لاجل ذلك وقع حكم الجبة بيد المشايخ الذين يضمنوها من باشاوات طرابلوس . وبعد ما انعزل الشيخ ابو صافي صار ان في سنة ١٦٣٥ تولى ايالة طرابلوس مصطفى ابن النشقنجي فاعطى حكم الجبة الى الشيخ ابو كرم يعقوب الحدثي[٢٢٣] والى الشيخ ابو جبرايل يوسف الحدناني . [٢٢٦] وبقية المقاطعات الى الامير علي ابن سيفا ولقرايبه . وكان الباشا يرسل شوابصه[٢٢٤] الى البلدان تستوفي المال على يد الضمانة ديوس . فيبقوا نصف الغلال لاصحاب المُلك والنصف يأخذوه للسلطنة والمظالم . فطال ذلك الى سنة ١٦٣٩ التي بها تولّى ايالة طرابلوس محمد باشا الارناووط . فخرها وجعل ضمانها من الباب الاعلا بثلاث كرات ونصف . وبسبب ان الشيخ ابو كرم ما نزل حضر عليه مع مشايخ البر امر ان الامير اسماعيل الكردي والشيخ علي ابن ابو قانصوه حماده . والمقدم علي ابن الشاعر يجمعوا الرجال ويركبوا عليه . فما قدروا يمسكوه بل نزل حضر من ذات نفسه فامر بقتله على الكلاب[٢٢٥] . وحكم بعد منه

---

(٢٢٣) ابن الريس الياس (الدويهي ص٢٠٧) (٢٢٤) جمع شوباصي

(٢٢٥) لما رأى ابو كرم العسكر الغريب يعبث فساداً في البلاد بحجة التفتيش عليه نزل من ذات نفسه الى طرابلوس وحضر امام الباشا . قال الدويهي في تاريخه المختصر (و٢١٤) «فعرض عليه الاسلام ليخلص فابى . فوضعوا في قفاه شاميات مشمولة بنار . فاصر على دينه . فعلقوه على الكلاب من خاصرته، حيث بقي يومين . ثم اسلم روحه سنة ١٦٤٠» . وقد حضر استشهاده الاب بريسيوس الكبوشي و كتب عنه الى المجمع المقدس تقريراً بالطليانية نشرناه في مجلة المصوّر الفاتيكاني في عدد ١٦ – ٣١ اذار سنة ١٩٣٥ . فاعاد نشره بامر غبطة بطريركنا الجالس سعيداً الاب ابراهيم حرفوش في كراسة عنوانها «مستندات تاريخية في شأن بعض الشهداء الموارنة . مطبعة المرسلين اللبنانيين في جونيه ١٩٣٧ ص ١٣ – ١٩ . راجع ايضاً الدويهي ص ٢١٣ و ٢١٤ والازمنة و ١٦٢٣

الشيخ ابو جبرايل ثلاث سنين ثم مات[٢٢٦] . وتخلف بعده في حكم الجبة اخوه الشدياق حنا ابو ديب . وفي موامرة مشايخ بيت حماده قتله في الغدر محمد العراك في مدخل سنة ١٦٤٣[٢٢٧] وبوصاطة مصطفى بيك ابن الصهيوني الذي كان المتكلم قدام محمد باشا الارناووط تسلم حكم الجبة المقدم زين الدين ابن الصوّاف اليمني برفقة الشيخ ابو عون ابن القمه من اهالي بكفيا[٢٢٨] .

وعندما انعزل الارناووط واخذ حكم الايالة في سنة ١٦٤٤ حسن باشا قدّم على جماعته الشيخ ابو رزق البشعلاني . فحظي بعز عظيم وبعلوفة من الباب الاعلا وكانت تدق له النوبة في المدينة ويوزع المقاطعات . فاعطى مشيخة الجبة لاخيه الشيخ ابو صعب بسبعة الاف . وما زال متولي سياستها الى سنة ١٦٥١ التي تولى بها الوزرنة العظمى بشير باشا . ومن قبل ما يدخل اسطنبول بعث قبض على الشيخ ابو رزق وقتله في قونية لانه كان في الميل الى ناحية ابن معن واخوه الشيخ ابو صعب كان في رفقة المعنية في وقعة [٢٢٥ق] وادي القرن . وفي تلك السنة ضمن الجبة الشيخ ابو شاهين علي ابن العجال من مسلمين بشناتا . ثم ضمنها بعد منه الشيخ ابو نوفل ابن الخازن بثمانية الاف . ثم ان الشيخ احمد ابن محمد عياده بن قانصوه دفع في ضمانتها اثني عشر الف في سنة ١٦٥٣ . وكذلك في السنة التي بعدها . واما في سنة ١٦٥٥ ضمنها المقدم مراد ابن ابا اللمع[٢٢٩] ثم ولده المقدم فارس[٢٣٠] . ثم الشيخ احمد سنة . ثم الشيخ ابو قانصوه فياض ابن الشيخ ابو نوفل سنة . ثم استردها الشيخ احمد ودام في حكمها

(٢٢٦) بعد ان تولى حكم جبة بشراي عشر سنين (الدويهي ص ٢١٤)

(٢٢٧) الدويهي ص ٢١٤

(٢٢٨) هكذا وردت ايضاً في مخطوطة تاريخ الازمنة الاصلية (و١٤٣) وفي مخطوطة المختصر (و٢٠٥) اما في المطبوع (ص ٢١٥ فجاءت « ابن جمعه » وهو خطأ

(٢٢٩) كان من اصهار الامير فخر الدين المعني. نشرنا له في كتابنا « الامير فخر الدين (٢ : ٣١٢) رسالة بالعربية الى فردينان الثاني غراندوق تسكانا مؤرخة في ٧ نيسان ١٦٣٦ اي بعد مقتل الامير فخر الدين بسنة . وقد اشترك في محاربة الامير علم الدين الذي تولى الشوف بعد مقتل الامير فخر الدين (الدويهي ص ٢٠٩) .

(٢٣٠) تولى على عكار سنة ١٦٥٨ (الدويهي ص ٢٣٢)

من سنة ١٦٦٠ الى سنة ١٦٧٣ التي بها قبض عليه حسن باشا وقتله . ثم انه تسلمها من قبل الدولة الشيخ ابو كرم ابن بشاره الهدناني ثلاث سنين[٢٣١] حتى انعزل حسن باشا وتولى ايالة طرابلس محمد باشا في سنة ١٦٧٩ فاعطى حكم الجبة الى الشيخ حسن ابن احمد ولم يزل يحكمها الى سنة ١٦٩٠ التي بها تسرسب عقله وحكم بدله اخوه الحاج موسى ابو حسن .

﴿ في مقدمين جبة بشراي ﴾

تنبيه وجدنا هـذه اللائحة ملحقة بنبذة الدويهي . وازاء اغلب اسماء المقدمين ارقام سني حكمهم بالافرنجية فتركناها كما هي وان كان فيها بعض الالتباس :

[٢٢٥ق] الشدياق يعقوب بن ايوب البشراني[٢٣٢] ١٤٠٥
زين وهو سيفا بن يعقوب ١٤٤٠
جمال الدين ابن الزين
رزق‌الله ابن جمال الدين[٢٣٣] ١٤٨٠
عبدالمنعم ايوب بن عساف الذي خالف[٢٣٤] ١٤٩٥
[٢٢٥] كمال الدين ابن عبدالوهاب بن عجرمه الايطوني ١٥٠٥
عبدالمنعم حنا بن عساف ١٥٣٧
رزق‌الله بن عبدالمنعم ١٥٤٧
حسام الدين بن عز الدين بن جمعه من عين حليا[٢٣٥]
رزق‌الله بن حسام الدين[٢٣٦]
داغر بن حسام الدين ١٥٧٠

---

(٢٣١) راجع عنه الدويهي ص ٢٤٦ و٢٤٥
(٢٣٢) توفي سنة ١٦٤٤ . الدويهي ص ١٣٧ (٢٣٣) توفي سنة ١٤٧٢ . الدويهي ص ١٤٠ (٢٣٤) مات سنة ١٤٩٥ يعقوبياً وخلفه ولده جمال الدين يوسف الذي تمسك بمذهبه الماروني . (الدويهي ص ٤٢٥) وتولى بعده المقدمية ابنه عساف حتى السنة ١٥١٩ التي توفي فيها كما جاء في هذه النبذة . وقد سقط اسما هذين المقدمين من اللائحة . راجع الدويهي ص ١٤٣ (٢٣٥) جاء في النبذة ان والدها حسام الدين بن عز الدين بن جمعه خلف عبدالمنعم حنا في المقدمية . فاصبح رأس المقدمين المناحلة .
(٢٣٦) قتل سنة ١٥٧٠ راجع عنه الدويهي ص ١٧٤

وعساف بن موسى بن حسام الدين ١٥٧١
ابو سلهب القريعي ١٥٧٣
مقلد بن الياس العنحلاني والشدياق خاطر بن شاهين[٢٣٧] ابن الشدياق
غادر الحصروني ١٥٧٣
الشدياق خاطر والشدياق باخوس بن صادر الحدشيتي[٢٣٨] ١٥٩٤
الشدياق رعد بن الشدياق خاطر[٢٣٩]
ابو عاشينا شلهوب من بيت الحسينات[٢٤٠] ١٦١٩
الشيخ ابو صافي ابن الخازن ١٦٢١
ابو كرم يعقوب الحدثي[٢٤١] وابو جبرايل الهدناني ١٦٣٥
ابو جبرايل الهدناني ١٦٣٩
الشدياق ابو ديب حنا اخوه ١٦٤٢
المقدم زين الدين بن الصواف اليمني وابو عون ابن الغمه من بكفيا ١٦٤٣
ابو صعب البشعلاني ١٦٤٤
ابو شاهين علي ابن العجال من بشيناتا ١٦٥١
ابو نوفل ابن الخازن ١٦٥٢
احمد بن محمد بن قانصوه حماده ١٦٥٣
[٢٢٤ق] المقدم مراد ابن ابا اللمع ١٦٥٥
المقدم فارس بن مراد ١٦٥٦
احمد بن محمد ابن حماده ١٦٥٧
ابو قانصوه فياض ابن ابو نوفل ١٦٥٨
احمد بن حماده محمد ابن حماده ١٦٥٩

(٢٣٧) اكبر الظن ان الشدياق خاطر هو ابن الشدياق غادر بن شاهين المشروقي كما قلنا سابقاً لان شاهين هو الجد وقد قدم الى لبنان سنة ١٤٧٠ فلا يعقل ان يكون خاطر ابنه بل حفيده .

(٢٣٨) لا يبعد ان يكون آل صادر الحلبيون خارجين من حدشيت كما نزح منها الى حلب آل قرألي . اما الشدياق باخوس فتوفي سنة ١٥٩٤ كما جاء في هذه النبذة .

(٢٣٩) توفي مسموماً سنة ١٦١٣ . الدويهي ص ١٩٢ (٢٤٠) سهفه جمال الدين بن المقدم مقلد الذي توفي مسموماً سنة ١٦١٣ وبه انتهت ذرية المناحلة . الدوجي ص ١٩٢ (٢٤١) استشهد في طرابلس سنة ١٦٤٠ كما سبق القول

ابو كرم بن بشاره من اهدن	١٦٧٦
حسن بن احمد ابن حماده	١٦٧٩
الحاج موسى ابن احمد	١٦٩٠

الملحق الثاني

اليعاقبة في لبنان

١٤٧٠ – ١٤٩٦

١ – التاريخ المختصر

جاء في النسخة الخطية من التاريخ المختصر للبطريرك اسطفان الدويهي المحفوظ في المكتبة الفاتيكانية تحت الرقم ٦٨٣ من مخطوطاتها العربية في الورقات ١٣٨ – ١٤٣ ما يلي :

[١٣٨] سنة ١٤٧٠م قدم من القدس الشريف الى جبل لبنان ديوسقوروس اسقف اليعاقبة يعرف بابن ضو النبكي فانعكف اليه نوح البقوفاني وتوطن عنده في القدس وتعلم منه القراية والارطقة وعند عودته لبّسه اسكيم الرهبنة وسامه قسيساً .

ومن اخبار هذا الجبل نستدل ان في دولة المقدمين واحكامهم العادلة استراحت اهل جبل لبنان وعُمرت المدارس والكنايس حتى ان في قرية حدشيت انعدوا عشرين كاهن وفي كنايس بشري ٠مذابح على عدد ايام السنة. وفي الحدث ستماية فدان[٢٤٢] وفي اهدن في حارة الفوقا سبعين بغل[٢٤٣] . وضبطنا اسامي النساخ الذين وقفنا على كتبهم ينوفوا عن ماية وعشرة في

(٢٤٢) اي زوج بقر. جاء في مخطوط تاريخ الازمنة للدويهي المحفوظ في المكتبة الفاتيكانية تحت رقم ٢١٥ من مخطوطاتها السريانية صفحة ٩٢ ق « وكانت قرية الحدث وكل البلاد في عز وطمان حتى ان في يوم خميس الاسرار لما اندق الناقوس لسماع القداس الطاهر ومناولة الاسرار الالهية انضبطوا خمساية مساس الفلاحة على باب هيكل مار دانيال من الذين كانوا يحرثوا ارض الحدث » مع العلم بان القداس في اثناء الصوم الكبير كان يقام عند غروب الشمس (٢٤٣) في تاريخ الازمنة ص ٩٤ ق « وكانوا يسافروا الى مدينة دمشق . وكان فيها خمسة عشر قوّاس ياكلوا علوفة من مدينة طرابلوس يخفروا القفل ويطعموم قضيب المستحبة » .

الجايل القـادم وحده[٢٤٤] . فهملوا في الخط [١٣٨ ق] الاصطرنجالي المربع وامسكوا بالسرياني المدور[٢٤٥] . وكانت الناس تقصد السكنه فيه من بلدان بعيدة . مثل اولاد جمعه تركوا عين حليا[٢٤٦] واخذوا السكنه في بشري . واولاد شاهين رحلوا من صدد الشرق واستوطنوا بقرية حصرون والخوري حنا والقس اليا واخوهما الشدياق جرجس اولاد حسن انتقلوا من نابلس الى حدشيت[٢٤٧] . والقس يعقوب والرفاق الذين معه من بلاد الحبشة قصدوا الرهبنة بدير مار يعقوب اهدن . فتلقب بدير الحباش بالنسبة اليهم .

في سنة ١٤٧١ م كان دخول جبرايل بن بطرس المعروف بابن القلاعي من قرية لحفد الى القدس الشريف . فلبي علـى رهبان الفرنج ومنهم لبس اسكيم مار فرنسيس ومن هناك دخل رومية وتأدب في العلوم الرياضية والالهية .

في سنة ١٤٧٢م كانت وفاة المقدم رزق الله ابن جمال (الدين) ابن سيفا ابن المقدم يعقوب وتخلف بعده ولد اخوه المقدم عبد المنعم ايوب بن عساف بن جمال الدين . وكان مترايس على دير مار انطونيوس قزحيا القس جرجس الهدناني فسيم خوري برديوط .

في سنة ١٤٧٣ م (و ١٣٩) توفي بطرس اسقف اهـدن وسيم عوضه

(٢٤٤) الجيـل القادم اي القرن السادس عشر (٢٤٥) لانه اسرع

(٢٤٦) بالقرب من دمشق وكانت مأهولة باليعاقبة والملكيين . ولعل بعض الاسر المارونية استوطنت فيها لمجاورتها لهذه المدينة حيث كان للموارنة عدد غفير . وقد قال الدويهي في الملحق السابق بان الشيخ جمعه جد المقدمين المناحلة كان ملكياً .

(٢٤٧) يقول الدويهي عنهم في مخطوطة تاريخ الازمنة (و٩٧) «انهم ادخلوا ضرراً عظيماً على بيعة الله وفي الخاصة بيت الحاج حسن الذين منهم خرج الخوري حنا . وكان حسن الخط في السرياني فصار يغير في الكتب المقدسة ويزرع فيهم الزوان على قول ابن القلاعي

ابن حسن كان من حدشيت واطفى لاهـل كفرباشيت
كتب وغيّر في البواعيث بدستور حاكم علماني

ووجدنا للمذكور في مكتبة الدويهي بدير قنوبين كتاباً للقداس الماروني انجزه سنة ١٥٠١ حاول فيه ان يزج الرتبة اليعقوبية بالمارونية . فنقلناه سنة ١٩٢٣ الى خزانة بكركي حيث رتبناه تحت الرقم ١١٥ من مخطوطاتها .

الاسقف يعقوب بيت الريس في اهدن[٢٤٨] واخذ السكنه بدير مار سركيس راس النهر . وتوفا ايضاً يعقوب اسقف بشري وترأاس بـدله الاسقف حزقيال الذي كان ريس دير سيدة حوقا . وجاه بذلك منشور من البابا كسوسطوس الرابع بتحرير سنة الف واربعماية واربعه (وسبعين) في الحادي عشر من شهر ايار[٢٤٩]

في سنة ١٤٧٥م في الثاني عشر من شباط ارسل البابا كسوسطوس الرابع سجل ثابت الى ريس الرهبان الصغار الذين داخل الجبل[٢٥٠] ان في كل عام يختار كاهن ام اثنين من رهبانه يكون ذا علم وحسن السيرة والسريرة ويرسله الى زيارة طايفة الموارنة حتى اذا اعتازوا شي من علم ام غيره مما يخص امور الذمة يقنعهم بمعرفته ام يرسل يعلم صاحب الكرسي الروماني لكونهم مبتعدين عنه براً وبحراً . فهم لشدة عبادتهم استمدوا منه ذلك بمكاتيب عديدة .

(و ١٣٩ق) في سنة ١٤٧٨ قوي عزم المستراحية في المنيطرة وعزلوا اولاد قصاص من المشيخة . والاسقف سمعان ابن ظريفة انتقل الى العاقورة من جورهم لانه كان ساكن بقرية المنيطرة

(و ١٤٠) في سنة ١٤٨٧ وقع الشقاق في جبل لبنان بسبب المقدم عبدالمنعم ايوب وذلك ان هذا في دولة عمه المقدم رزق‌الله تعلم القراية على يد قسيس كان يعقوبي . وعندما توفي عمه وتولى المقدمية موضعه كان يرتد (يتردد) عنده في المتجر موسى ابن عطشه الذي كان على راي طبيعة واحدة في ربنا . ونظراً ان المقـدم كان ضعيف الديانة بعث له هدايا مع قسس يعاقبة[٢٥١] لحضروا عـلى عرسه وجادوا له في النقوط فاستحبهم وبنا لهم

(٢٤٨) راجع الدويهي (ص ١٤٦) حيث يذكر وفاته سنة ١٥١٣ بعد ان قضى في المطرنية خمسين سنة . وهو الذي طرد اليعاقبة من اهدن سنة ١٤٨٨ ودبر هزيمة مقدمي الضنيه لما هاجموا اهدن كما سيأتي شرحه . (٢٤٩) تجد اصل هذه البراءة محفوظاً في خزانة بكركي (٢٥٠) راجعه في مجموعة البراءات المارونية للعنيسي ص ١٩ واسم الدير San Pietro in Montorio . وكان البابا المذكور من الرهبانية الفرنسيسية .

(٢٥١) يقول الدويهي في مخطوطة تاريخ الازمنة (و٩٧) انه « ارسل اليه ايضاً كتاباً بالسرياني والكرشوني ملاناً من البراهين الفاسدة والتعاليم المزورة ان السيد المخلص ذو طبيعة واحدة » .

كنيسة بقرب داره على اسم برصوما . ثم حكم ان بذلك المحل قدم من القدس القس نوح البقوفاني[٢٥٢] . فاخذ السكنه في الفراديس بارض بان وجذب اليه بعض ناس أميين في اراء الايمان طالبين اكتساب العلم والرهبنة . مثل عيسى ابن شعبان من قرية حردين[٢٥٣] وموسى واخوه حنا ولدي ابرهيم ابن الحاج موسى البقوفاني وسميا وابنه جرجس من لحفد وموسى من قرية موسى وامثالهم . فبخّ في اذانهم سمّ الارطقة ورهبهم وقسسهم قسوس على يد معلمه ديوسقوروس اسقف بيت المقدس . فصاروا يصلبون باصبع واحد ولم يذكروا في شملاية الابا الا ثلاث مجامع . فوصل خبرهم (و ١٤٠ق) الى البطرك بطرس[٢٥٤] فارسل لهم كهنة وروسا كهنة تنهيهم عن طغيانهم . فاحموا جانبهم في المقدم الضال وفي الغُرب الذين قدموا من صدد ومن نابلوس والحبشة . وكانوا على مقالتهم . وكثر الشقاق في كل البلاد حتى ان للمقدم جزم على كل من اعترض عليهم بانه ينفا من حكمه ويساب رزقه .

في سنة ١٤٨٨م كان تشتيت اليعاقبة من جبة بشري . وكان ذلك ان حين الاسقف يعقوب واكابر اهدن علموا وتحققوا ان القس يعقوب والاحباش القاطنين بدير مار يعقوب خانوا الديانة انذروهم دفوع شتى ان يحترموا الديانة واذ لم يعتبروا قسموا القس ابرهيم ابن حبلص اسقفاً وانزلوه عليهم في الدير . واذ لم يحتملوه يحكم فيهم[٢٥٥] رحلوا من هناك الى وادي حدشيت تحت حماية الشدياق جرجس ابن الحاج حسن وسكنوا بدير مار جرجس وتكنا بدير الحباش نسبة اليهم . فصعب امرهم على الشدياق

(٢٥٢) جاء في مخطوط الازمنة (و٩٤) ان « نوح تبع ابن ضو كما شهد على ذاته في كتاب الانجيل الذي نسخه سنة ١٧٩٤ يونانية (١٥٨٣ م) وهو يومئذ موجود في جزيرة قبرس في قرية تدعى الكليبين . وانسام اسقفاً على بلد فونيق وتسمى قوريلوس . وارتسم ايضاً بطركاً على اليعاقبة وثبت في البطركية عشر سنين »

(٢٥٣) في مخطوطة الازمنة (و٩٤) ان « ابن شعبان كان رومي المذهب وصار مارونياً واستحبس في الفراديس » . وعلمنا من حاشية معلقة على احد المخطوطات السريانية المحفوظة في مكتبة باريس الوطنية رقم ١٤٣ من مخطوطاتها السريانية ان الملكيين كان لهم في حردين كنيسة على اسم مار توما . راجع مجلة المنارة في سنتها الرابعة ص ٣٣٩

(٢٥٤) بطرس بن حسان (١٤٥٨ – ١٤٩٢)

(٢٥٥) هذا ينفي ما ادعاه الفيكنت طرازي (٢ : ٨٤) ان هذا الاسقف كان من اصل يعقوبي

جرجس الذي كان شيخ حدشيث وعلى المقدم عبد المنعم الذي كان يقتدي في قولهم . واذ لم يكن لهم مقدرة على مفاقسة اهالي اهدن استمدوا النجدة من اولاد زعزوع مقدمي بشناتا . فجمعوا هولاي (و١٤١ق) رجال الضنية وقصدوا اهدن في صباح الاحد . فاخذوا خبرهم اهل اهدن ووضعوا لهم الكمين في حمّينا . وعندما الضنانوة نزلوا من الجبل وثب عليهم الكمين واهلكهم في مرجة تولا . وحين اخذوا خبرهم اليعاقبة ضربهم التشتيت لشدة الفزع ففر البعض منهم الى حردين والبعض الى كفرحورا . والبعض الى قبروس وهربوا في البحر . واما القس يعقوب ورفاقه رحلوا الى دير مار موسى في البرية .

في سنة ١٤٩٢م انتقل الى رحمة الله بدير قنوبين في الثاني عشر من تشرين الاول البطرك بطروس بن حسان . وفي نهار تاسعة ارتقى رياسة الكرسي الانطاكي ابن اخوه البطرك شمعون . وهو ابن داوود بن يوسف بن حسان الحدتي . وهو الثالث من البطاركة الذين ارتسموا بدير قنوبين . وكانت مدة رياسة البطرك بطروس اربعة وثلاثين سنة وسبعة شهور وخمسة وعشرين يوماً .

في سنة ١٤٩٣م كانت عودة القس حنا الماروني وجبرايل ابن القلاعي من بلاد النصارى وكانا لبسا اسكيم مار فرنسيس وتأدبا في العلوم ولهما الغيرة والحرص على حفظ الديانة الارثوذوكسية . فالقس حنا قصد القدس الشريف وقبل ان يصال غرق في البحر . واما جبرايل صار يخاصم في الفم وفي الرسايل المقدم عبد المنعم والذين كانوا امين في قواعد الايمان . (و١٤٢) وفي سنة ١٤٩٤م ابن القلاعي اظهر كتاب حقق فيه اتحاد الملة المارونية مع الكنيسة الرومانية من زمان قديم طعناً في الذين كانوا يزعمون ان الموارنة فرقة من اليعاقبة . وسمى كتابه مارون الطوباني وانفذه الى حضرة البطريك سمعان ومطارنته وجلاس ديوانه . وهم الاسقف جرجس صدقني من مزرعة الحدث ويعقوب الهدناني وابرهيم ابن حبلس ويوسف البشراني وداوود الحدشيتي ويحنا الملقب بالفرنجي وتادروس العنتاري ويوسف القبروسي من الكيزفانة مع بقية الروساء وعلما الطايفة

ليفحصوه وينادوا به امام المخالفين .

وفي سنة ١٤٩٥ كانت وفاة المقدم عبد المنعم ايوب بن جمال الدين بن سيفا البشراني . فزاغ عن امانة والديه وانقصف عمره وتولى المقدمية بعده ولده جمال الدين يوسف . وكان مستقيم الديانة[٢٥٦] وبجتبيه زوجة المقدم اصلحت كنيسة مار حوشب في بقعكفرا عندما خربت حينئذ .

وفيها القس بركة البقوفاني عمر محبسة مار ميخايل بقرب قزحيا وكانت سابقاً قطين معزة فاستحبس بها الى نهاية حياته الطاهرة .

وفي سنة ١٤٩٦ ابن القلاعي سيم قسيس فرنجي . وسكن بدير الصليب في الافقسية بقبروس .

٢ – تاريخ الازمنة

واليك ما سجله الدويهي عن اليعاقبة في لبنان في كتاب « تاريخ الازمنة » ننقله عن النسخة الاصلية المحفوظة في خزانة مكتبة الفاتيكان تحت رقم ٢١٥ من مخطوطاتها السريانية :

في الورقة ٩٧ وصف هجوم مقدمي الضنيه على اهدن سنة ١٤٨٨ . فقال :

(٩٧) ان مقدمي الضنيه لما رأوا النصارى مفتونين مع مقدمهم طمعوا في امتلاك جبة بشري كما امتلكوا الضنيه في بدو الفتح فخربوا ديورتها وكنايسها وطردوا منها النصارى ... فلم اختفى امرهم[٢٥٧] لجمع المطران يعقوب[٢٥٨] المشايخ وكشف لهم قصد الضنانوه فاتفقوا كلهم بكلمة واحدة ان يبذلوا باجمعهم نفوسهم في استجاب دين المسيح . فاستنجدوا في المقدمين

(٢٥٦) يقول الدويهي في « رد التهم » ص ٤٣٥ ان عبدالمنعم قبل ان يموت اوصى ابنه ان يحسن معاملة اليعاقبة . غير انه لم يعمل بوصية ابيه بل اطاع الكنيسة المقدسة . وكذلك اتباع ابيه رجعوا عن بدعتهم واحسنوا سيرتهم .

(٢٥٧) سمعنا من شيوخ اهدن ان صبياً مسيحياً كان خادماً عند احد مقدمي الضنيه نبه اهالي اهدن الى ما دبره هؤلاء عليهم .

(٢٥٨) سمعنا من المرحوم الخوري مخائيل يمين الاهدني ان المطران يعقوب كان من آل يمين وانه ذبح بيده القائد المتوالي على البربريسة النابتة امام بيتهم .

فلم رادوا ينجدوهم . عنـد ذلك انضم اليهم بعض من الضياع القريبة وصعدوا في السلاح الى سيدة الحصن وقـدموا الطلب لله ولوالدته . وانقسموا اربع قسمات فوقفوا الواحدة عند البويب وامروها بالهزيمة امام العدو واكمنوا في القسمة الاخرى تحت سيدة الحصن بين الشرق والقبلة . والقسمتين اكمنوا ورا التلة التي بين اهدن ومرجة تولا . فلما جردوا الضنانوه العسكر على افقا ووصلوا الى حدود اهدن قاتلهم القسم الذي كان في طريقهم عند البويب . وبعد قتال يسير انهزموا الى ورا حتى وصلوا الى المرجه والعدو قايم باثرهم بشبه الفراعنة ضد الايسرايليين فلما وصلوا الى المرجه عنـد ذلك قامت عليهم الرجال من الجبلين وقتلوهم كلهم في وسط المرجه . ولم يخلص منهم الا اثنين اللذين عطيوا الخبر في طرابلوس والضنيه . عند ذلك اجتمعوا النصارى والقوا القتلى وخيلهم واثرهم في مغارة قريبة وطموا بابها ونقلوا العين من مرجة تولا الى الطريق السالك ثم حرثوا المرجة وقلبوها عن آخرها فلم يبقى للقتلى أثر واضح . ولما كان اليوم الثالث صعدوا الكشافة من طرابلوس واذ لم يوجدوا لهم اثراً ارتضوا معهم بالمال وعاودوا لان التعدي كان من الضنانوه[٢٥٩] .

وكتب الدويهي على هامش الورقة ٩٧ من تاريخ الازمنة :

وفي السنة ١٤٩٤ مسيحية في ٢٣ تشرين الثاني البادري فرنسيس سوريانوس ارسل رسالة الى حضرة البطرك شمعون في طلب التثبيت مع الراهب جبرايل ابن القلاعي . فاخذ المكتوب من يده وجا الى لبنان فوجد النار مشتعلة فيه والاراطقة ينتشوا بيعة الله كالذياب الخاطفة . فبعد ما قبل يد السيد البطرك وانكتبت رسايل الطاعة الى رومية صار يجادل المنيدين

(٢٥٩) قال الدويهي في رد التهم (ص ٤٤٠) ان « اهل بقوفه القاطنين في الحارة السفلى مالوا الى اليعاقبة . فوثب عليهم اهالي اهدن (على اثر انتصارهم على مقدمي الضنيه) وهزموهم ودكوا منازلهم مع دير القوبه كرسي مفرياتهم (نوح البقوفاوي) الى الارض . واوجبوا الحرم على كل من يرجع فيبنيها . واما بيت الرز الساكنون في الحارة العليا فقد صانوا نفوسهم عن التعاليم الغريبة . انما اضطروا الى مهاجرة القرية المذكورة ورحلوا الى قرية كفرحورة لسبب ما كان يدهمهم من الحوادث . وما زالوا مستمرين على ديانة آبائهم المهذبة الى يومنا هذا .

ويبكتهم على افترائهم ونكران امانة ابائهم المهذب رأيها .. وفي الرسالة التي كتبها من دير قنوبين الى ابن عمه القس جرجس الذي كان من جملة الضالين يذكر انه كتب اربعماية وستة وخمسين رسالة للمخالفين ثم ان ابن القلاعي نظر ان اصل المرض كله من عبدالمنعم المقدم وان هو زرع الزيوان بين الموارنة وكان بالسيف يحامي للاراطقة وينتقم من الذين يضاددوهم ولان ابن القلاعي كان كثير يلدعهم ويوبخهم في رسايله جزم على قتله. فهذا البار من حمية غيرته وحدة امانته احتقر تهديد المقدم وتوعيده وطلع الى عنده هو بنفسه وصار ينذره في براهين الايمان حتى ان المقدم استقر ان ذلك الاعتقاد ما كان منه بل من الكتاب الذي ارسله ابن عطشه الى عمه المقدم رزق‌الله . وانه هو كان عامي غير فاهم ولا فاحص امور الاديان حتى يجادله عنهم . فطلب منه ابن القلاعي الكتاب ليفتشه فاتاه بالكتاب وكان سرياني وكرشوني ملان كله زور وبهتان . ثم ان اتاه بالغداة وترحب فيه واخذ منه الكتاب فخبأه داخل البيت . فبعد الغداة طلبه منه ثانياً حتى ياخذ يقراه ويكتب ضد البداع والارطقات الكاينة فيه فما امكنه . عند ذلك ابن القلاعي زاد غيرة فصار يكتب رسايل ومصنفات مختلفات عن الايمان القويم . وولف الكتاب الذي كناه « مارون الطوباني » حيث يبرهن ان الموارنة من الزمان القديم متحدين مع كنيسة الله المقدسة الرومانية وارسله الى الخوري مارون الحصروني والخوري ابراهيم ابن دريع الذي كان تعلم منه اللغة السريانية والخوري ابرهيم ابن الخريطة الباني ليقروا الكتاب ويفحصوه ويحرروه بخطوطهم انكان قوله عن اعتقاد الموارنة المستقيم صادق ام كاذب . ومثل ابن الطاعة السالك مستقيماً اخضع ذاته وجعل ان كتابه يكون موضوع تحت اقدام السيد البطرك شمعون بن حسان الرابع ومشهور بامره . وامر (البطريرك) المطران جرجس صدقني والمطران يوسف البشراني والمطران يحنا المكنى بالفرنجي على العاقورة والمطران داوود الحدشيتي والمطران تادروس العنتاري والاسقف يوسف القهبسي وروسا الملة المارونية وعلمائها ليفحصوه وينادوا به امام المخالفين »

وبعد ان ذكر الدويهي موت المقدم عبدالمنعم اردف يقول ان ابن القلاعي كتب عنه ما يلي :

سقط تحت حروم المجمع ولم راد لعقله يرجع
قبل ان يصل لعمر مزمع قتله العالي الفوقاني
ولا تذكار صار له معنا لانه انكر مجمعنا
وكمانا ليس يرفعنا فسكن يعقرب وسطاني
وصا فيه لجمال الدين عطاه الكنايس مع حردين
فصاروا في زي الشياطين يطغوا لمن هو روحاني(٢٦٠)

القسم الرابع

الرد على الرد

واليك الآن ما اجبنا به حضرة الفيكنت على ردوده في جريدة البيرق عينها . (البيرق عدد ٣٠ آب سنة ١٩٤٨)

١ ــ التحامل والتناقض

نشرنا في عدد هذه الجريدة ، الصادر في ٢٦ تموز المنصرم ، كلمة في الابرشيات المارونية ، التي حولها حضرة الفيكنت طرازي الى يعقوبية . ثم طالعنا ، في عدد اليوم الثاني من آب الحالي ، جواباً لحضرته على هذه الكلمة . فالفيناه ، بدلاً من ان يقرع الحجة بالحجة تفنيداً لاقوالنا ، يتهرب من الرد علينا في موضوع الابرشيات ، ويتناول موضوع الاسر المارونية ، الذي عالجناه في مجلة المنارة ، واحلناه والقراء اليها . ومع انه يجهل ادلتنا في هذا الموضوع ، لان عدد المجلة لم يصدر

(٢٦٠) راجع الفصل الرابع عشر من كتاب « رد التهم » ص ٤١٢ - ٤٢٥ حيث تجد ما كتبه الدويهي باسهاب عن ابن القلاعي .

حتى كتابة هذه السطور فقد ملأ بصدده اربعة اعمـــدة من البيرق .

بيد ان هذه المداورة لا تخفى على اللبيب . فقد اعيته الحيلة في موضوع الابرشيات ، وكان لا بد له من ان يقول شيئاً في جوابه ، فعمد الى الموضوع الآخر لا تفنيداً لاقوالنا ، لانه ما زال يجهلها ، بل لينال من كرامتنا بالقدح والتشنيع والتشهير فكال لنـــا بغير حساب التهم الباطلة والكلام الجارح ، ناسباً الينا « التهويش وتجسيم الامور ومغالطة النصوص واختلاق الاقوال . وادعى اننا اقمنا عليه الدنيا واقعدناها ، لا خدمة للعلم والتاريخ بل لتهييج الافكار وتشويش الخواطر ، وتهشيم كتابه ونفث السموم على صفحات الجرائد وبث الضغائن بطرق غير رشيدة لا تليق بخدام المذبح ، ولعلها جرّت الى مشاغبات وفتن زقاقية » .

فكانت عاصفة في فنجان ! مع ان مقالنا في البيرق لا يحمـل بصدد الاسر المارونية سوى هذه العبارة الوجيزة التي صدرناه بهـــا « ارسلنا الى مجلة المنارة الغراء كلمة ابدينا فيها بعض الملاحظات على ما ورد في الجزء الثاني من كتاب حضرته . وبينا فيه ان غرضه من نشر هذا الجزء هو البرهان على ان جميع الاسر المارونية المعروفة متحدرة من اجداده اليعاقبة . فرددنا عليه من عين كلامه واسانيده » . ابهذه الاشارة البسيطة قد اقمنا الدنيا عليه واقعدناها ، واستحققنـــا لاجلها كل هذه الشتائم ؟

ولم يكتف حضرته بكل ما تقدم ، بل اتهمنا بخيانة معروفه في قضية اشار اليها اشارة توهم اننا ارتكبنا امراً شائناً بكرامتنا ، فدافع عنا . وذهب الى تجريدنا من رتبتنا الخوراسقفية ، ونبه رؤساءنا اكثر من مرة الى ان ردنا عليه لا يليق بثوبنا الكهنوتي لعلهم يجردوننا منه ايضاً .

فنحن نقر بعجزنا عن النزول معه الى ميدان الشتائم والتقريع وان نستخدم مثله سلاح ضعيف الحجة . وذلك حرصاً على كرامتنا لا على كرامته ، لانه امتهنها بلجوئه الى هذا النوع المنكر من النقد . وكنا نود ايضاً ان نترفع عن الرد على تهمه ومزاعمه ، لولا خوفنا من

ان يعلق شيء منها في اذهان القراء .

افتتح حضرته جوابه على ردنا في موضوع الابرشيات بقوله « لما كان هذا الرد والنقد علينا يقتضي له بحث خاص خارج عن نطـــاق هذه الجريدة فقد عولنا بحوله تعالى على وضع كتاب يتناول البحث المذكور الذي سننشره في حينه » .

وحضرته قضى خمسين عاماً في اعداد كتابه المشهور وملأ منه زهاء مئة وخمسين صفحة ليبرهن على ان جميع الابرشيات المارونية في لبنان كانت يعقوبية . وهو الآن يطلب الينا ان ننتظر خمسين عـاماً اخر ليرد علينا . فنحن عملاً بوصية السيد المسيح - باركوا من يلعنكم وصلوا على من يبغضكم - نطلب الى الله ان يمد بحياته خمسين سنة اخرى ، وان يسعده في اثناء هذه الحقبة الطويلة بالعثور على مصادر جديدة تمكنه من معارضة كلمتنا هذه . وفي الآن عينه لا بد لنا من ان نبتهل اليه عز وجل ان يمد ايضاً بحياتنا وحياة اصحاب هذه الجريدة وقرائها خمسين سنة اخرى ليتسنى لنا الاطلاع على تحفته المنتظرة غير ان ملاحظتنا على تزييف ادلته بصدد الابرشيات المارونية لم تستغرق منا سوى خمس دقائق ، صرفناها في مراجعة فهرس تاريخ ميخائيل الكبير ، الذي استند اليه حضرته . فالجواب على ملاحظتنا - اذا كان لديه جواب - سوف لا يشغل من وقته الثمين اكثر من ربع ساعة ومن اعمدة هذه الجريدة اكثر من عشرة اسطر . وقد ملأ منها اربعة اعمدة قدحاً وطعناً فينا . فلماذا يتكبد مشقة العمل ويكبدنا مشقة الانتظار نصف قرن آخر ؟

وقد رشقنا بسهام حادة بحجة اننا خرجنا على قواعد « المناقشة العلمية الصرفة » بتهكمنا عليه وعلى اجداده . فراجعنا مقالنا ملياً من اوله الى اخره ولم نجد فيه كلمة خارجة عن اللياقة . بل الفيناه كله ادب ورصانة وادلة تاريخية اصيلة ، استند هو نفسه اليها ، او اهملها عمداً ام سهواً ، فحولناه اليها . وكل ما هنالك اننا استعملنا لفظتي « مغالطة » و « يعاقبة » .

فنحن قد اثبتنا مغالطاته « ببينات تاريخية عادلة لا تقبل تأويلا او تعليلا » تمشياً على القاعدة التي رسمها حضرته في اصول النقد العلمي . بيد ان ضميرنا ما زال يتعبنا لاننا لم نسم الاشياء باسمائها ، مجاملة له . فقد استعار من تاريخ ميخائيل الكبير لوائح اساقفة يعاقبة لابرشيات واقعة في قيليقية وما بين النهرين ، على بعد الاف الاميال من لبنان وصرح انها لقرية الحدث في الجبه ولبلدتي عرقا والكنيسي في عكار ، ليجعل موارنة هاتين المنطقتين متحدرين من اصل يعقوبي وكنائسهما واديارهما القديمة ، مع اوقافهما وارزاقهما ، ملكاً لاجداده اليعاقبة . هذه الحيلة التي لجأ اليها للوصول الى غرضه تسمى في عرف الشرع « تحريفاً وتزويراً في الوثائق الاصيلة » . فلكي نخفف عنه وطأة هذه الجريمة الشنعاء ، نعتناها للقراء بلفظة « مغالطة » . فكان جزاؤنا على هذه « الشهامة والفطنة » انه لطخ صفحات هذه الجريدة بالشتائم فينا .

وسخط ايضاً علينا السخط كله لاننا لقبنا اجداده « باليعاقبة » . فقال « كيف اقدم الاب بولس قرألي على تدوين امور نسبها الينا ولا اصل لها في كتابنا . مثلاً لفظة « اليعاقبة » فمن اين ابتدعها وجاء بها ونحن لم نسردها الا مرة واحدة في كتابنا ذي الـ ٩٠٠ صفحة . وذلك على سبيل الاستشهاد بكاتب ماروني » . فليحلم علينا حضرة الفيكنت ويهدىء من فورات غضبه . لاننا لم نبتدع هذه اللفظة بل جئنا بها من عين كتابه . فقد دلنا عليها في الصفحة ٥١ من الجزء الاول ، حين علق على كلام الادريسي في يعاقبة جونيه ، والادريسي كما يعلم مسلم لا ماروني . وهاك ما كتبه حضرته بحرفه « هكذا سبق السريان المنوفيزيتيون اي اليعاقبة فاستقروا في ثغر جونيه قبل ان يسكنها غيرهم من النصارى » . وسندل القراء على اماكن عديدة ذكر فيها اجداده بهذا الاسم .

وحضرته متضلع من تاريخ التلمحري ، الذي روى ان اليعاقبة اتخذوا لانفسهم هذا اللقب في اواخر القرن السادس ليتميزوا به عن المنوفيزيتيين الشرقيين ، لما اختلفوا معهم على التقديسات الثلاثية . ثم ان جميع المؤرخين من شرقيين وغربيين لا يذكرونهم الا بهذا اللقب

فنحن اذاً لم نبتدعه . وهل يريد منا ان نبتدع غيره للدلالة على اجداده؟

ومهما كان الامر فاذا كان هذا اللقب شريفاً ، كما تبين حضرته في جوابه علينا ، فلماذا يغضب اذا نسبناه الى جدوده ؟ واذا كان عاراً فلماذا ينسب اليه جدودنا ؟

وعمد حضرته الى الكلام في الاسر المارونية ، التي نسبها الى اصل يعقوبي ، فثار علينا ثورة بركانية واخذ يقذفنا بحمم التهم والتقريع والتشهير . فنحن نضن بوقتنا ووقت القراء وباعمدة هذه الجريدة عن تكرار ما كتبناه بهذا الصدد في مجلة المنارة ، ونقتصر على لفت انظارهم اولاً الى ان حضرته غضب على الاب بطرس كرباج بدعوى انه نقد شخصه لا كتابه . وها هو يسقط في العيب عينه . ثانياً : واملى علينا قواعد « المناقشة العلمية الصرفة » ، وقد خالف بنفسه هذه القواعد.

ونلفت انظارهم ثالثاً الى التناقض الغريب في اقواله بهذا الموضوع. فقد كتب في جوابه ما نصه « هكذا اقام الاب قرألي الدنيا واقعدها ليفهم الموارنة اني تجاسرت على القول بأن « بعض » اسرهم تتحدر من اصل يعقوبي . فهذا القول اختلاق فاضح واعتداء صريح . ولو افترضنا كما ادعى حضرة الاب بولس قرألي اني انزلت « بعض » الاسر المارونية من اصل يعقوبي – وهذا قول مردود من اساسه – فهل في ذلك جريمة عظمى ؟ اتستطيع ايها الاب الوقور الانكار ان « الوفا » من الاسر التي هربت من اضطهاد الفاتحين ثم لجأت الى لبنان من النبك والقريتين وغسان والقنية وزغبة والرها وما بين النهرين والموصل واليمن وغيرها انما هي يعقوبية المذهب قاطبة وليس اثر للموارنة قديماً وحديثاً في جميع تلك الامصار ؟

فحضرته بعد ان ينكر بتاتاً مـــا نسبناه اليه من تحدير الاسر المارونية ويعده اختلاقاً منا واعتداء صريحاً يتحول حالا الى الإقرار بانه نسب بعض الاسر المارونية الى اجداده اليعاقبة . ثم لا يلبث هذا « البعض » ان يصبح « الوفا » من الاسر اليعقوبية المهاجرة الى لبنان في عصر لا يذكره ولا يذكر مرجعاً لقوله .

ينكر حضرته بكل جسارة على صفحات الجريدة ما دوّنه في كتاب مطبوع تتداوله الايدي وزعه في جميع الامصار وقد شحن زهاء مئتين وخمسين صفحة منه باسماء الاسر المارونية المعروفة ونسبها الى اصل يعقوبي دون ان تفته منها واحدة . فما حيلتنا، ايها القراء الكرام، في رجل ينكر ما كتبه بيده ونشره على رؤوس الملا ؟

وهو يستند لدعم زعمه هذا الى البطريرك الدويهي «إمام المؤرخين» مع ان الدويهي لم يذكر من هذه الالوف سوى اسرتين « شاهين من صدد وجمعه من عين حليا » . وذكر ايضاً المطران ديوسقورس ضو مع بعض الرهبان . وهؤلاء غير متزوجين فلا خوف ان يملأوا لبنان من نسلهم . على ان الدويهي ينبهنا الى ان اولئك الغرباء قد طردوا من لبنان بعد قليل . فاذا كان هذان النازحان يعقوبيين فقد طردا مع بني مذهبهما . بيد ان حضرة الفيكنت جعلهما اجداداً لجميع الاسر المارونية دون ان يفسر لنا كيف تمت هذه العجيبة ، وكيف اختفت الاسر الاصلية التي كان لبنان يغص بها في اواخر القرن الخامس عشر عند نزوح هذين الجدين اليه . فمن منا يتعمد تجسيم الامور ، ومغالطة النصوص ؟

ولنقفلنّ هذا الباب لاننا عالجناه في مجلة المنارة ، ولننتقل الى الرد على بقية التهم . واهمها خيانتنا لمعروفه . فقد كتب في هذه القضية يقول « ولعل الاب بولس قرألي اراد بهذا التهجم المستنكر ان يقابلنا على دفاعنا الشريف عن كرامته في قضية لا تخفى عليه . فنحن قد استعملنا الفطنة والشهامة في ذلك الموقف الدقيق عملاً باصلنا ومبدأنا . لا نقول ذلك تشفياً بل استغراباً لتحامله علينا وعلى كتابنا » . ولا يخفى على القراء انه بوهمهم بهذا الكلام اننا ارتكبنا امراً شنيعاً دافع فيه عنا . فنقر معترفين ان حضرته قد « عمل باصله » في ذلك الموقف الدقيق . فقد كان يتظاهر لنا بالصداقة والاخلاص حتى حملنا على ان نهدي اليه جميع مؤلفاتنا ومطبوعاتنا ، منها مجموعة مجلتنا التي يستشهد بها مراراً وكانت نسخها قد اشرفت على النفاد . وتفارقنا قبل سفرنا

الى رومية ، سنة ١٩٣٣ ، ونحن على احسن حال . وما استقر بنا المقام هناك حتى بعث الينا غبطة بطريركنا المبجل بشكوى قدمها علينا اولاد اخي المرحوم القس بطرس بدر حبيش باننا بعنا الحكومة اللبنانية مخطوطة سلمها الينا للنشر . واسندوا دعواهم الى شهادة سلحهم بها ضدنا حضرة الفيكنت صديقنا الحميم ، وحرضهم فيها على مقاضاتنا . فاستغربنا هذه الخيانة واجبنا غبطته نطلعه على الحقيقة ونطمئنه بان لدينا وثيقة من الحكومة اللبنانية نفسها تنفي عنا هذه التهمة ، فضلاً عن شهادتي الدكتور اسد رستم ، الذي كان الوسيط بيننا وبين الحكومة المذكورة ، وحضرة خليل بك تقي الدين ، الذي كان وكيلا لمدير المعارف . ولما عدنا الى بيروت في اوائل السنة ١٩٣٧ ، واجهنا برفقة الاديبين المذكورين صبحي بك حيدر مدير المعارف عهدئذ واطلعناه على شهادة الفيكنت الذي كان مديراً للمكتبة الوطنية . فاستشاط غضباً واتصل به حالاً بالهاتف ووبخه توبيخاً مراً على تسليمه تلك الشهادة دون استئذانه واتهمه بالارتشاء من المدعين علينا . وهم لما وقفوا على الحقيقة اعتذروا الينا وصرفوا النظر عن الشكوى . واذا انكر حضرة الفيكنت قولنا فنحن ما زلنا محتفظين بنسخة رسمية من شهادته سننشرها متى شاء . فضلاً عن ان الادباء المذكورين احياء يرزقون ويشهدون على صدق روايتنا .

هذا هو المعروف الذي اسداه حضرته الينا . اي انه بدلاً من ان يدافع عن كرامتنا كما ادعى ، قد طعننا في ظهرنا في اثناء غيبتنا ، وذلك « عملاً باصله ومبدأه وشهامته . »

وارشدنا حضرته الى طريقة النقد الصحيح بقوله « ان الناقد المنصف يذكر حسنات الكتاب بجانب سيئاته ... واي متى كان الحق ينال بالتهويش والتهييج ؟ ثم يعدنا بنشر تقاريظ الرؤساء الموارنة الروحيين وعلمائهم لكتابه .

فنحن نصرح بغاية الاسف اننا لم نجد في كتابه حسنة نذكرها ، ولا يسعنا تقبل ضميرنا بتقريظ مصطنع او مأجور . ونؤكد له عن

رؤسائنا ان واحداً منهم لم يطالع كتابه بل كلف كاتب امراره ان يشكر له هديته بخطاب مجاملة . اما اهل العلم الذين سينشر تقاريظهم فليسوا باهل علم ، لان جميع ما تضمنه كتابه تلفيق لا يثبت على النقد، بل ينهار امامه كقصور من ورق . وقد خبر ذلك من مقالنا الاول في هذه الجريدة .

بقي علينا ان نجيبه على ما عزاه الينا من التهكم على شخصه وعلى اجداده . فقد بينا له اننا لم نمس شخصه بكلمة خارجة عن اللياقة والادب . واذا كان قد شم في كلامنا رائحة التهكم على اجداده فلان مخيلته قد اختلقتهم ليجعلهم اصلاً لجميع الاسر المارونية . ولا يسع العاقل ان يقدم الاحترام للاوهام والتخيـــلات . وهب اننا حقرنا شخصه واجداده فيكون هو المسؤول عن تعريض نفسه وتعريضهم للتحقير . ونكون قد قابلناه بالمثل . فقد صرف خمسين سنة « ينبش الدفائن » لهدم صرح تاريخنا ومحو امجادنا الدينية والمدنية ، وليجعل طائفتنا سخرية بين زميلاتها . وبينما يدعي ان طائفته اصيلة في لبنان وصاحبة الحق فيه وانها سيطرت عليه حتى القرن الثامن يصور طائفتنا دخيلة عليها وعبدة تعيش من فضل اجداده ، بل غاصبة لارزاقهم ومواشيهم . وقد « سخوا عليها بالاوقاف » التي نعم بها بطاركتنا حتى اليوم . كما سنبينه في خاتمة مقالنا في هذه الجريدة ، وفي الرد الذي سينشر في مجلة المنارة .

وحضرته حافظ جيداً الامثال العامية القائلة « من يقرع الباب يسمع الجواب . ومن كان بيته من زجاج لا يراشق الناس بالحجارة » . وما قاله السيد المسيح « بالكيل الذي تكيلون به يكال لكم وازيد» . فهو الذي قد هاجم ونحن دافعنا . « والبادىء بالشر اظلم » . واذا ادعى اننا اسأنا فهم غرضه من كتابه فجميع الذين طالعوه قد اجمعوا على انه طعنة سددها الى صدر طائفتنا ولا يسعنا الا ان نردها عنها، كما صرحنا له في كتاب الشكر الذي وجهناه اليه على هدية كتابه . ومنهم من جاهر بذلك على صفحات الجرائد ، كحضرات الاباء بطرس

كرباج واسطفان البشعلاني واغناطيوس طنوس ، على صفحات هذه الجريدة ، والاب الياس تابت في جريدة صدى الاحوال ، والخوري انطون قرطباوي في جريدته « الشراع » . وقد رذل ايضاً كتابه رؤساؤه الروحيون ونصحوه بالتوقف عن نشره لانه مثير الضغائن والحزازات القديمة . فلم يعتبر ظناً منه ان غرضه ينطلي على ابناء طائفتنا لما احاطه به من مظاهر العلم الصحيح . ولما خاب ظنه عمد الى طريقة القدح بكل من تعرض لكتابه ليسكته ويعتبر به غيره. بيد ان هذه الطريقة الغير الرشيدة ذهبت بما بقي له في الاذهان من قيمة واحترام .

اما مفاخر اجداده التاريخية فقد اشدنا بها مراراً في مجلتنا ومؤلفاتنا ولنا بين بني امته اصدقاء كثيرون من احبار وكهنة وعلماء واعيان. وقد صاهرت اسرتنا بعض وجوههم . فليحذر من القاء النار بيننا . وهو يعلم في قرارة نفسه اننا ابعد الناس عن التعصب الذميم وابغضهم لهذه الآفة التي هدمت الشرق . انما لاحظ الكثيرون ان الفئة الغير الكاثوليكية من امته قد تحاشت في القرون الاخيرة التعرض لطائفتنا بسوء . اما السريان الكاثوليك — الذين ينتمي اليهم والذين لجأوا الينا منذ قرنين ، وما زالوا نازلين ضيوفاً علينا — فقد جعل بعضهم ديدنه، لاسيا ، منذ خمسين سنة ، التحامل على طائفتنا ومسخ تاريخها . وفي مقدمتهم المطران يوسف داود رحمه الله ، وفي مؤخرتهم حضرة الفيكنت طرازي تلميذه وناشر كتابه « جامع الحجج الراهنة في ابطال دعاوى الموارنة » . فليصن لسانه عن الشر لان ذلك اشرف له وابقى على حرمة شيخوخته .

٢ — المطران ديوسقوروس ورهبانه

(البيرق عدد ١١ كانون الاول ١٩٤٨)

استدراك — حذّرنا القراء في صدر مقالنا الاخير من الركون الى النصوص التي يستخرجها حضرة الفيكنت من كلامنا ، لانه يحرفها

ليستشهد بها علينا . ووعدناهم بالرد على بعض نقاط تجاهلها ، حالما نفرغ من نقدنا كتابه . على اننا لا يسعنا السكوت طويلاً على تشويه كلامنا في رده الاخير بصدد المطران ديوسقوروس ضو ورهبانه ، لانه شائن بكرامتنا وحرمة كهنوتنا .

ادعى حضرته في كتابه ان « جماهير وافرة وعشائر غفيرة من اليعاقبة نزحت الى لبنان في اواخر القرن الخامس عشر واستقرت فيه وانضمت الى الموارنة » . فرددنا عليه في عدد هذه الجريدة الصادر يوم ٢٥ ايلول المنصرم بان البطريرك الدويهي ، الذي استند اليه ، لا يذكر من هذه الجماهير سوى شاهين المشروقي ، وجمعة العنحلاني (وقد شهد ان هذا الاخير كان ملكياً لا يعقوبياً) ، والمطران ديوسقوروس ضو مع بعض الرهبان . واردفنا بما نصه حرفياً « والمطران ديوسقوروس ضو ورهبانه لم يملأوا لبنان من نسلهم لانهم كانوا غير متزوجين » .

وهذه شهادة منا انهم كانوا متبتلين واعفاء .

بيد ان عامل المطبعة اهمل اداة الجزم « لم » وابقى فعل « يملأوا » على حاله . فانتهز حضرة الفيكنت الفرصة ، واجاز لنفسه تحريف العبارة وقلب معناها ، ليوهم القراء ، اننا اتهمنا المطران ديوسقوروس ضو ورهبانه بالزنى والفسق . ففتح لنفسه بابا للطعن فينا وفي ادابنا الكهنوتية . والى القراء ما كتبه بنصه الحرفي « وقال الخوري بولس ايضاً : والمطران ديوسقوروس ضو ورهبانه « يملأون » لبنان من نسلهم . لانهم كانوا غير متزوجين » . ثم انهال علينا بالتقريع فقال « فالى هذا الحد وصل احتقارك المقرون بالتهكم على حبر من احبار الدين المسيحي وعلى رهبانه . وذلك ان تنسب اليهم هذه التهم المستنكرة التي لا تليق بكاهن مثلك ان يتلفظ بها على صفحات الجرائد .. فهل يهون عليك يا كاهن الله العلي ان يقدم احد اليعاقبة المتهوسين — مثل حضرته — فينسب اليك والى احد احبار طائفتك ورهبانها ما نسبته انت عمداً واستهزاء الى المطران ديوسقوروس ضو ورهبانه ... » الى آخر ما طالعه القراء من حملة التشنيع فينا فضلاً عن اتهامنا « بالتلاعب باخبار

الاسر المارونية طبقاً لمرامينا الملتوية » ، لان حق هذا التلاعب وهذه المرامي الملتوية ، محفوظة لحضرته . فلا يجوز لنا التعدي على حقوقه المكتسبة ، وهو عين ما تحاشيناه .

فالقارىء اللبيب يدرك غرضه من هذه المداورة . لقد اعيته الحيلة في تفنيد نقدنا . فعمد الى تحريف كلامنا ، مع اننا نشرناه على صفحات هذه الجريدة وطالعه الالوف من قرائها بنصوصه الاصلية . وهو لم يكتف بهذا بل اخذ يحسب علينا الاغلاط المطبعية ويستثمرها لحسابه ، والتشهير بنا . فقد ادرك بلا شك ما يدركه التلميذ المبتدىء بدرس قواعد النحو والصرف ان بقاء فعل « يلأوا » في حالة الجزم ، يدل دلالة واضحة على سقوط أداة الجزم « لم » . لاسيما ان مكانها بقي فارغاً في السطر . ثم ان برهاننا على نفي كثرة اليعاقبة في لبنان يسقط لو عنينا ما نسبه الينا ولا يعقل اننا نعمد الى نقضه بنفسنا . فالمعنى المقصود منا واضح كالشمس ، لكن نيته غير سليمة . ولما كان بقاء فعل « يلأوا » مجزوماً يفضح نيته زاد عليه نوناً فاصبح « يلأون » . على انه وقع في فضيحة افظع لان الفعل اصبح يعني الحاضر مما لا يتفق مع امر وقع في الماضي منذ اربعة قرون تقريباً .

ومهما كان الامر فندعوه وندعو من شاء من القراء الى مراجعة مسودتنا في ادارة الجريدة للتثبت من الحيلة الغير المشروعة التي لجأ اليها .

ونحن في المقالات التسع التي نشرناها في هذه الجريدة لم نمس شخصه بكلمة جارحة . بل حصرنا همنا في نقد ادلته وبراهينه . ولما وجدناه يتمادى في القدح والشتائم ، عمدنا الى الدعابة والنكات المستملحة ترويحاً عن نفسنا وتفكهة للقراء وتنشيطاً لهم ليتابعوا بلا ملل سلسلة البراهين التاريخية الجافة . وقد شاهدوا بانفسهم ان شتائمه وادلته بدلاً من ان تكيدنا اثارت فينا رغبة الضحك والمرح ، وزكّت فينا قريحة الدعابة والتنكيت . لاننا لم نتمالك من الاسترسال فيها .

فليطمئن حضرة الفيكنت انه مهما تجاوز الحد في الشتائم ، فنحن لا نبادله اياها . اولاً لان لدينا وثائق اصيلة وبراهين قاطعة ننقض

بها مزاعمه . فلسنا بحاجة الى الشتائم نسدّ بها عجزنا عن الجواب . ثانياً . اننا لم نتعلم لغة الشتائم لاننا لم نعاشر الرعاع . ثالثاً . لاننا لا نريد ان نكون من الرعاع .

وهذا كافٍ الان . وسنعود الى هذا الموضوع بعد الانتهاء من نقد كتابه .

« البيرق » - يقضي علينا الواقع ان نشهد بان « لم » الجازمة انما سقطت سهواً اثناء التنضيد والتصليح ، وقد كانت مثبتة في النسخة الاصلية لمقال حضرة الخوراسقف بولس قرألي .

٣ - السريان في لبنان

(البيرق ٨ تشرين الثاني ١٩٤٨)

ولما انتهينا من نقدنا كتاب حضرة الفيكنت رددنا على ردوده باربع مقالات هاك ملخصها :

نشر حضرة الفيكنت في هذه الجريدة اربعة ردود على نقدنا جاءت متقلقلة معرورجة لا يعرف رأسها من ذنبها . ولم يأت فيها بجديد . ولدى اطلاعنا على رده الاول نبهنا اصحاب هذه الجريدة انهم ، اذا تركوا له الحبل على الغارب ، اعاد على قرائها محتويات كتابه ذي الـ٩٠٠ صفحة ، ليطالعوه بالرغم من انوفهم . وها قد صدقت نبوءتنا . اما نحن فلا يسعنا اعادة ما نقضنا به مزاعمه ضناً بوقتنا وبوقت القراء . بل نقتصر على لفت انظارهم الى الطرق المستهجنة التي سلكها لذر الرماد على عيونهم تضليلاً لهم . فهو بدلاً من ان يقنعهم بصحة اقواله بالبرهان والادلة التاريخية لجـأ الى ثلاث وسائل لا تشرّفه : الشتم والتحريف والمغالطة .

لطخ اعمدة هذه الجريدة النظيفة وآذان القراء بشتى الشتائم والالفاظ المستهجنة . حتى عددنا له في عامود واحد احدى عشرة شتيمة قصد بها الحطّ من قدرنا وقيمة نقدنا على حد قول المثل العامي « الفاجر

غلب التاجر » ولم يكتف بالشتائم بل استساغ مهاجمة آدابنا الكهنوتية فدل على انه باع ضميره في سبيل النهش من عرض كاهن دافع عن كرامة طائفته ودفع عنها فرياته . وبعد هذا يتباهى بانه « صبر على حملات المتهوسين من الموارنة متسلحاً بالحكمة وخوف الله شعار اسرته». فاذا كانت هذه هي الحكمة وهذا هو خوف الله ، فيا ويل الحكماء وخائفي الله في يوم الدين .

على ان ما يعزّينا هو ان كيده منا جاء اكبر دليل على ان نقدنا اصاب كبد الحقيقة ، حتى لم يعد يعي ما يقول . والدليل على ان شتائمه قد طاش سهمها ولم تصب هدفها منا اننا تلقيناها بانشراح الصدر والمرح . انما حطت من كرامته ومن قيمة رده لانها لغة المغلوب . فاصبحت حجته لنا لا علينا .

وزيادة في تمويه الحقيقة عمد ليس الى تحريف الوثائق فحسب ، بل الى تحريف كلامنا للاستشهاد به علينا . مع اننا نشرناه على صفحات هذه الجريدة واطلع عليه الالوف من قرائها . ولما رأى اننا سددنا الابواب في وجهه لم يتورع ايضاً عن تحريف كلامه عينه ، تهرباً من مسؤوليته .

بيد انه فطن ان اقواله مسجلة عليه في كتاب مطبوع تتداوله الايدي فلم يعد يجد وسيلة للتخلص منه الا المغالطة والمراوغة . فاخذ يفسر كلامه تفسيراً جاء وبالاً عليه من حيث لا يدري ، لانه نقض كتابه من اساسه .

ولئلا يتوهم القراء اننا نكيل له الكيل كيلين رأينا ان نثبت لهم صدقنا بالامثلة التالية :

فمغالطاته في مـــا كتبه عن السريان في لبنان تفضح تهربه من اقواله عينها وتعمده تحريفها . ولو تسنى له لمحاها محواً . بيد انه لم يجد بهذه المغالطات سبيلاً للهرب ، بل زاد في مركزه حرجاً ، وزاد في اقواله خبطاً وخبصاً .

فقد صرح في صدر كتابه انه يعني بالسريان بني ملته من كاثوليك

وغير كاثوليك . ولما كانت ملته الكاثوليكية قد نشأت في اواخر القرن السابع عشر ، فالسريان قبل هذا التاريخ كانوا هراطقة ، اي يعاقبة. وقد استعملنا هذا اللقب اختصاراً للدلالة عليهم . واستعمل هو لقب سريان في كتابه من اوله الى آخره بمعنى اليعاقبة . فقال « ان السريان سيطروا على لبنان حتى القرن الثامن الذي نزح فيه الموارنة اليه . فامتزجوا بهم وصاهروهم وآكلوهم وشاربوهم » . فالسريان اذن هم غير الموارنة . فقلنا له اننا نسلم معك بان الموارنة لما قدموا الى لبنان وجدوه مأهولاً بالسريان . بيد ان هؤلاء السريان لم يكونوا يعاقبة . فثار علينا ثورة خرقاء بدعوى اننا حرفنا كلامه مع انه كلامنا . واتهمنا بالتزييف وانهال علينا بالتقريع والتشنيع . « لاننا ندس بلا مصوغ لفظة يعاقبة في كلامه تضليلاً للافكار وتشويهاً للحقيقة » . واردف بقوله « اننا لم نقل ان سكان لبنان كانوا يعاقبة بل كانوا سرياناً بحتاً وانهم انقسموا في القرن الخامس الى سريان منوفيزيتيين (اي يعاقبة) وخلقيدونيين . وقال ان مخطوط لندن اليعقوبي الثمين المنسوخ سنة ٥٠٧ يصرح بان السريان الاقحاح ورهبانهم كانوا يسكنون في الحدث (حدث الجبة) وفي وادي الذخائر (وادي قديشا) قبل قدوم الموارنة اليه » . فبالله عليك ايها القارىء قل بصراحة ماذا فهمتَ من هذا الكلام عن « السريان الاقحاح » وعن « السريان بحتاً » الا يعني بهذا الاسم بني ملته من اليعاقبة . على كل حال فهم غير الموارنة وغير الملكيين لانه ميزهم عنهم . فمن منا المحرف والمغالط ؟

وسألناه ان يثبت لنا ان الفينيقيين كانوا فرعاً من السريان . فاجابنا « نحن لم نقل انهم فرع من السريان بل قلنا انهم من الأمة الآرامية السريانية » . والقراء يعلمون ان الاراميين هم السريان القدماء « ففسر الماء بعد الجهد بالماء » .

وهو اذا ذكر في كتابه جداً لاحدى الاسر المارونية قال انه كان سريانياً . فالسريان اذن هم غير الموارنة . وقال عن بقوفا ان نصفها كان مارونياً ونصفها سريانياً . فميز هذه المرة ايضاً الموارنة عن السريان.

ولما جاء على ذكر المطران مالك حبيس قزحيا اكّد انه «كان سرياني النحلة لانه من قرية بقوفا التي كانت في عهده حافلة بالسريان اصحاب الطبيعة الواحدة» . فهو يعني اذن بالسريان اليعاقبة .

وادعى في رده الاول علينا ان «عين حاليا كانت مأهولة بالسّريان قاطبة» . بيد انه قال عنها في كتابه ان اهلها كانوا سرياناً وملكيين. فالسريان اذن هم غير الملكيين وغير الموارنة . ولما نبهناه ان الشيخ جمعة — الذي جعله يعقوبياً وجداً لاسرة الحلو المارونية — كان ملكياً لا يعقوبياً . اجابنا «انا لم اقل انه كان يعقوبياً بل سريانياً . والملكيون سريان» . وبعد هذا يتهمنا بالمغالطة والتشويش .

وقلنا له ان بلاد غسان عند مجيء جد الحوازنة الى لبنان كانت غاصة بشتى الملل والمذاهب فلماذا جعلته يعقوبياً . فاجابنا . «قلتُ انه كان سريانياً . فان لم يكن يعقوبياً كان ملكياً» .

فمن هم اذن هؤلاء السريان الاقحاح اذا لم يكونوا موارنة ولا ملكيين ولا يعاقبة . واذا كان يعني بالسريان الطوائف السريانية الاربع اي الموارنة والملكيين والنساطرة واليعاقبة فقد نقض كتابه من اوله الى آخره . وكان عليه ان يوفر على نفسه اتعاب خمسين سنة قضاها في اعداده ليجعل اجداده سكان لبنان الاصليين واسياده ، وان يوفر علينا وقتاً ثميناً صرفناه في تحضير عشر مقالات رداً على مزاعمه .

ومن تحريفه لكلامنا ما نسبه الينا بان «الصليبيين ادخلوا اليعاقبة الى لبنان ثم اخرجوهم منه عندما انتهت حروبهم» . ونحن نرجو القراء ان يرجعوا الى ما كتبناه بهذا الصدد في هذه الجريدة وقرأوه بأم اعينهم في مقالنا الاول المنشور في عددها الصادر في ٢٦ تموز حيث يجدون ما نصه «واكبر الظن ان اليعاقبة الذين اقاموا في جونيه وطرابلس نزحوا اليها في عهد الصليبيين وخرجوا منها بخروجهم» . والفرق بين النصين ظاهر يثبت على حضرته الجرم المقصود للمرة العشرين .

بيد ان هذه المداورات والمغالطات والتحريفات لا تخفى على احد

ولا تجديه نفعاً . واذا دلت على شيء فعلى احتقاره القراء اعتقاداً منه بجهلهم وغباوتهم . فحفر نفسه بتحقيرهم . لان المثل يقول « من استغشم الناس كان اغشم منهم » . وقد دلت ثانياً على شعوره بحرج موقفه . لانه لما رآنا قد سددنا جميع الابواب في وجهه لم يجد له مخرجاً سوى تحريف كلامه عينه لانكار ما يعنيه به . على ان هذه الطريقة لم تفتح له منفذاً للخلاص بل زادت في توريطه والتضييق عليه . حتى اصبح احق بالشفقة المسيحية منه بالشماتة .

٤ – يعاقبة الحدث

(البيرق ١٥ ت٢ ١٩٤٨)

يذكر القراء ادعاء حضرته في كتابه بان حدث الجبة كانت ابرشية يعقوبية . وكيف ايد زعمه بلائحة مطارين يعاقبة اخذها عن تاريخ ميخائيل الكبير ليوهمنا انهم تولوا هذه الابرشية عدة قرون . فرددنا عليه في مقالنا الاول بان هذه لائحة مطارين يعاقبة خصها ميخائيل الكبير بابرشيتين يعقوبيتين في قيليقية وما بين النهرين تحملان اسم الحدث . وحولناه على كتاب المؤرخ نفسه والصفحة التي ذكرهم فيها . فحار في امر التملص من هذه الخديعة المفضوحة واجابنا ان الرد علينا بهذا الصدد « يقتضي له كتاباً قد عول بعونه تعالى على وضعه » . فقلنا له هذا تهرب . لانك قضيت خمسين سنة في اعداد كتابك والان تطلب منا ومن القراء ان ننتظر خمسين سنة لنعرف الرد . فرأى انه لم يعد له مندوحة من الجواب ، فلجأ الى عذر اقبح من ذنب فقال انه طالع في تاريخ ميخائيل الكبير النص السرياني الذي لا يدل على مقصود المؤلف . اما نحن فقد طالعنا النص الفرنسوي فاستدللنا منه على هذا القصد . مع ان حضرة الخوراسقف اسحق ارملة معاونه قد شهد بان حضرة الفيكنت لا يعرف السريانية . اما نحن فنعرف اللغتين . وهب ان النص السرياني غير واضح فكيف اجاز لنفسه زيادة اسم ابنان على اسم الحدث مع علمه بان اكثر من

مدينة تحمله . فضلاً عن اننا نبهناه الى ان المؤرخ يذكر هذه المدن اليعقوبية اربع مرات . وفي كل مرة يدل دلالة صريحة على انه يعنيها.

والتمس حضرته لنفسه عذراً آخر بتحريف وثيقة سريانية قدمها له رؤساؤه فاستخرج منها نتائج لا تخطر على بال . أدعى ان الحاشية المعلقة على مخطوط لندن المنسوخ سنة ٥٠٧ يثبت ان اليعاقبة كان لهم عهدئذٍ في حدث الجبة رهبانية ورهباناً وديراً أسسه القديس لاونطي وان وادي قديشا كان مزدحماً بنساكهم وكانوا يدعونه وادي الذخائر ، الى آخر ما هنالك من القصور الهوائية التي شيدتها مخيلته . وتكمش بهذه « الوثيقة اليعقوبية الثمينة » تكمش الغارق بلوحة النجاة . وقدمها لنا اربع مرات مرتين في الكتاب ومرتين في الجواب . على انه لم يتمالك من تحريفها لان هذه الصناعة امست فيه عادة تملكته فاورد نصها في كل مرة مختلفاً عن الآخر .

اوردها المرة الاولى مقتضبة في الصفحة ٥٤ من الجزء الاول تحت عنوان « الرهبنة السريانية في الحدث منذ القرن الخامس » وادعى ان الراهب يعقوب الامدي كتب هذه الحاشية في دير الحدث في عهد لاونطي رئيسه ومؤسس الدير . واوردها كاملة في الصفحة ٢٨ بالنص التالي : « انا يعقوب الراهب الامدي كتبت هذا الكتاب .. اذكروا مار ملكا ... اذكروا لاونطي المولود في حدث لبنان لانه هو كان الداعي الى نساخة هذا الكتاب وقد نسخته بين يديه . اذكروا مار حلفى الزاهد العائش في لبنان ... » واردف حضرة الفيكنت بعد ايراد هذا النص بقوله : يتحصل من قوله « بين يديه » ان يعقوب الراهب الامدي كتب هذا المخطوط في دير الراهب لاونطي الحدثي . ولا ريب في ان يعقوب انضم الى رهبان دير الحدث »

فنلاحظ على شرح حضرته لهذا النص الخالي من كل ما استنتجه منه : اولاً : اننا – ولا مؤاخذة – فقدنا الثقة بالنصوص التي يوردها لانه عودنا على ان يتناولها بالتحريف والتصحيف قبل ان يقدمها لنا . ثانياً – ان ما يضاعف شكنا ايراده هذه الحاشية اربع مرات بنصوص

مختلفة . ثالثاً — اننا لم نجد فيها ذكراً لرهبانية يعقوبية كانت قائمة في حدث الجبة ولا لدير ولا لرهبان يسكنونه ولا لنساك يملأون وادي قديشا الذي سماه وادي الذخائر — دون ان يقيم على هذه التسمية الغريبة ادنى دليل — ولا ابرشية يعقوبية تولى عليها اساقفة يعاقبة قروناً عديدة. هل ان لقب امدي « الذي حمله الناسخ اجاز له الاعتقاد انه كان يعقوبياً وهو يعرف ان في السنة ٥٠٧ لم تكن الطائفة اليعقوبية تألفت بعد لان ساويرا اول بطاركتها قام في السنة ٥١٢ وكان النصارى عهدئذ مختلطين ببعضهم على اختلاف مذاهبهم في كل انحاء الجزيرة .

وهب ان ديراً كان لليعاقبة في حدث الجبة فهل يعني ذلك انها كانت حافلة باليعاقبة هي وواديها وجوارها ؟ فالسريان الكاثوليك بنو ملته يقيمون في دير الشرفة بغوسطا منذ ٢٣٥ سنة ولا نجد حوله سريانياً واحداً بل جميع جيرانه موارنة .

ويرجح حضرته ان لاونطي هو مؤسس الدير ، لقول الناسخ ان « نسخ الكتاب تم بين يديه » . فاذا نسخ تلميذ شيئاً بين يدي استاذه هل يقضى على هذا الاستاذ المسكين ان يكون رئيس دير فيترك لاجل هذا الشرف زوجته واولاده . ورجح حضرته ايضاً ان يكون لاونطي المذكور طوباوياً . فالقديس لاونطي ظهر قبل البدعة اليعقوبية . وهو مكرم لذلك عند جميع الطوائف المسيحية . فالملكيون يدعونه لاونتيوس ، واللاتين ليونتسيوس ، والموارنة لاونديوس . وقد عرفنا عدة موارنة يحملون هذا الاسم . فكيف يجعله يعقوبياً وكيف يستنتج من ذكر اسمه في الحاشية انه كان رئيساً ومؤسساً لدير قائم في حدث الجبة وبالتالي ان هذه البلدة اللبنانية كانت « مأهولة بسريان اقحاح » ومركزاً لرهبانية يعقوبية غص بزهادها وادي قديشا ولابرشية يعقوبية عاشت قروناً عديدة . ما هذا الخلط يا حضرة الفيكنت . هل تصدق ما تحلم به في المنام ؟ واذا كانت هذه الاحلام تداعب اجفانك وتشرح صدرك وتنفخ اوداج وطنيتك اليعقوبية فهل يجوز ان تدون تفاصيلها في كتاب تدعي فيه انك اصدق من كتب في تاريخ لبنان ؟

٤ – آل مسعد والخازن

نبهنا حضرة الفيكنت ان البطريرك الدويهي يقول عن اسرة شاهين المشروقي الصددي اليعقوبي النحلة انها انقطعت بقتل اولاد المقدم يوسف خاطر . فكيف يحدر منه آل السمعاني وعواد وشدياق وفرحات والحاج ومسعد وغيرهم كثيرين ؟ فاعترض حضرته علينا بقوله وهل تعرف اكثر من البطريرك بولس مسعد الذي كان يفتخر بانتسابه الى شاهين المشروقي ؟ ونحن نسأله بدورنا هل يعرف هذا البطريرك اكثر من البطريرك الدويهي الذي كان معاصراً تقريباً لهذه الحوادث ويعرف جيداً اذا كان باقياً في عهده نسل لاسرة المشروقي .

ومع هذا البرهان ، الذي يعرفه قبل ان ندلي له به لم ننج من شتائمه وتقريعه . فنسب الينا « التزوير والكذب وبذاءة الكلام وقلة الاحترام » – لشخصه السامي ولارباب دولته العظيمة – وحكم ان « اقوالنا خالية لا من كل قيمة علمية فقط بل من كل قيمة ادبية . » واتهمنا ايضاً « بسوء النية وقلة الامانة في النقل » مع اننا لم نتشرف بالتحدر من الاسرة الطرازية الاثيلة ولا من الامة اليعقوبية الاصيلة . وكل جريمتنا الفظيعة تنحصر باننا نقلنا عن تاريخ الدويهي قوله « واستراح لبنان من اليعاقبة الغرباء » . وحضرة الفيكنت لم يصدر حكمه القاسي علينا الا بعد ان راجع كما قال تاريخ الدويهي المطبوع وجميع مخطوطاته فلم يعثر على هذه العبارة لانها لا توافق « اغراضه » . فنحن نحيله – مع القراء – الى السطر الثامن من الصفحة ٤١٧ من تاريخ الدويهي المطبوع حيث العبارة واردة حرفاً بحرف كما نقلناها .

اما عن آل الخازن فقد اقر بصواب ملاحظتنا ، دون ان يدري ، عندما اجابنا بان « جد الخوازنة ان لم يكن يعقوبياً فقد كان ملكياً سريانياً »

٥ – موسى غانم

(البيرق ٢٩ تشرين الثاني و١٣ و٢٠ كانون الاول سنة ١٩٤٨)

وادعى حضرة الفيكنت ان موسى غانم جدّ آل ضو ولحود – ومنه

الف من افرادهم - ينتسب الى الغساسنة . فهو اذن يعقوبي . وزعم انه اخذ عن حضرة السيد خليل ملحم ضعب ابي منصور ان جد اسرته كان من تباع الملك المنذر بن النعمان . فانبرى حضرته يكذبه علناً على صفحات هذه الجريدة بقوله « انه لم يعطه هذه المعلومات . وغاية ما في الامر انه اعلمه بان المقدم موسى غانم جد الاسرة الاعلى هو ابن المقدم سعاده الحفدي بطل واقعة جبيل المشهورة سنة ١٣٠٣» وهي التي وصفها ابن القلاعي في الزجلية التي نشرناها له .

وانبرى له ايضاً حضرة نصري بك لحود وانكر عليه نسبة جده موسى غانم الى ارومة يعقوبية بدعوى انه نبكي وان في النبك كنيسة يعقوبية وان ديوسقوروس ضو مطران القدس كان يعقوبياً ، وان الغساسنة كانوا قاطبة يعاقبة . وسأله لماذا لا نقول مثلاً ان اصل ضو دروز لان فئة من الدروز تلقب بآل ضو .

هذه بعض ادلتنا لنفي اليعقوبية عن آل ضو وفروعهم . ومع ذلك ادعى حضرة نصري بك باننا أكتفينا بنفي اقوال الفيكنت دون ان نأتي بدليل . وقال ايضاً عنا اننا لا نقبل بان يكون احد من الموارنة خرج من المارونية . ونحن لم ندع ذلك مطلقاً . بل نفينا مزاعم الفيكنت بان اغلبية الاسر المارونية متحدرة من اصل يعقوبي وجئنا له بادلة وبراهين تنقض كلامه ولا بطلب من الناقد اكثر من براهين النفي .

ولامنا حضرة نصري بك على قولنا بان محتويات كتابه « جامعة بني ضو » (اوهام) فنجيبه ان الناقد لا يسعه اعتبار الاوهام حقيقة ملموسة . وقال اننا هدمنا ما بناه في صرح اسرته ولم نبن مكانه . فنجيبه اننا لم نجد مواداً نبنيه بها . وقال ان الموجود احسن من العدم . فنقره على هذا القول . بل نثني على جهوده في جمع تقاليد اسرته . على ان قواعد التاريخ تقضي علينا بان نرويها بكل حذر لان المخيلة غالباً ما تلعب فيها .

وقد تناول حضرته الفيكنت وحقارتنا بالنقد . ثم حول تأنيبه

علينا وحدنا بدعوى ان ما قاله الفيكنت لا يعد شيئاً بالنسبة الى عباراتنا . فلننظر معه الى هذه العبارات لعلنا نكون مخطئين فنعترف بخطأنا كما هو متوجب على كل ناقد شريف لا يسعى الا وراء الحقيقة .

افتتح حضرة نصري بك نقده بقوله انه « مؤمن بغسانيته ومارونيته ولبنانيته . مفتخر بها وموال كل من يواليها ومعاد كل من يعاديها او يتهجم عليها او يفتري عليها - وهذا تهديد صادر من زعيم يجب ان يحسب له الف حساب - وصرح ايضاً انه « يمت بنسبه الى موسى غانم الغساني المنشأ جد اسرة غانم وضو وسعاده ومطر » .

وقال ايضاً « ليس لي الشرف بمعرفة حضرة الخوراسقف قرألي شخصياً لكنني اعرف الشيء الكثير عن اسرته (قره علي) واعرف انه كاهن ماروني جليل وعالم رصين ومؤرخ دقيق يحق له الاحـــترام . واعرف حضرة الفيكنت الكاتب العالم واحترمه . وهو صديق علي عزيز » . ثم يأسف لان « المجادلة والمباحثة بيننا خرجت عن حدود المنطق والاستنتاج الى الحدة والشتم والسباب والتهكم بالتاكيد والنفي المجردين عن الادلة والبراهين . فكان ذلك حاطاً من كرامة العلم والعلماء » .

فنلفت نظره الى ان هـــذا الكلام يجب ان يطبق على طرف واحد . لان شتيمة واحدة لم تخرج من قلمنا . وغاية ما سمحنا به لنفسنا ازاء سيل الشتائم الذي تدفق علينا بعض النكات المستخرجة من اقوال الفيكنت نفسه لانها تضحك الثكلى .

وقد اعطانا حضرة نصري بك مثالاً على ترفعه عن هذه الطريقة المستهجنة في الجدال العلمي ، فاتحفنا بمناسبة عودتنا الى القطر المصري بباقة كبيرة من زهور كريهة الرائحة ناسباً الينا « حب الظهور والحدة والغضب وقلة الروية وقصر النظر وعمى البصيرة والجهل المربع او المكعب » . فلم يعد لنا بعد انصباب مزاريب هذه الشتائم علينا الا ان نذكّر حضرته بقول الشاعر :

لا تنهَ عن خلق وتأتِ بمثله عارٌ عليك اذا فعلت عظيم

وكأنني بمؤرخي الاسر اللبنانية قد فازوا من حكومتهم برخصة رسمية تخولهم الحق في شتم كل من لا يوافق على اقوالهم او يعارضها.

ثم استنطقنا حضرته سائلاً اذا كنا اطلعنا على كراسته .

فنجيبه بكل خشوع واسف ان الحظ لم يسعدنا بالاطلاع عليها . ولم نعرف منها الا ما نقله عنها حضرة الفيكنت «صديقه العزيز» . فاذا اساء الامانة في النقل فليمسك بتلابيبه ، وليصوب عليه رشاش قذائفه . كما اننا لم نتشرف بمعرفته شخصياً . ولم نعرف انه صاحب هذه الكراسة لان «صديقه العزيز» ذكر صاحبها باسم «نصري لحود» حاف ، دون ان يشير الى وجاهته والقابه الشرفية . فاكتفينا تأدباً بلقب «السيد نصري لحود» .

ونستأذنه بعد ذلك في تبرير نقدنا لاقواله ، لا لشخصه .

فقد ادعى في كراسته ان جده موسى غانم كان من اتباع الملك المنذر بن النعمان ، وانه نزح الى لحفد في القرن الرابع عشر . فحضرة الفيكنت لفت نظره الى ان بين الملك المنذر ، الذي قتل سنة ٦٣٤ وبين القرن الرابع عشر الذي نزح فيه موسى غانم الى لبنان سبعة قرون . فسألنا حينئذ الفيكنت «كيف تستند في نسبة آل ضو وفروعهم الى كراسة يدعي صاحبها ان جده عاش اكثر من سبعمائة سنة . فكأنك تستند الى قصبة مرضوضة» . هذه هي الجريمة الفظيعة التي جلبت علينا غضب نصري بك وشتائمه .

على ان حضرة نصري بك لحود حاول في رده علينا التملص «بلباقة» من هذا الخطأ الفاضح بدلاً من ان يعتذر صراحة بالسهو كما اعترفنا نحن في صدر هذا الرد . لان العصمة لله وحده . فنسب الخطأ الى شخص وهمي سماه القس مارون البشراوي واردف بقوله «لقد اتبعنا قوله بقول محمد كرد علي بان الدولة الغسانية انقرضت سنة ٦١٣ لندل على الغلط بلباقة ولطف لا بتقبيح وعنف . فعدم تدقيق الفيكنت وتمحيصه ما قرأه في كراستنا كان سبباً للعبارات التي قذفها حضرة الخوراسقف . وقد كان اقل روية واقصر بصيرة منه» .

فنحن نسلم معه بلباقة هذا الرد. بيدَ اننا لا نعرف شأن اللطف في تدليل القراء على غلط ارتكبه رجل مات منذ ثلاثة قرون ونيف. وهل يجوز تضليله بحجة استعمال اللطف بدلاً من الصراحة المفروضة على كل مؤرخ في تمحيص الحقائق وكشف الاخطاء لئلا يعثر بهـا الغير او ينخدعوا بها. على اننا تعودنا الصراحة في ابحاثنـا التاريخية ونرجو حضرة نصري بك الا يستاء من هذه الصراحة. فاللباقة واللطف اذا كانا مقبولين في ردهة استقبال غير جائزين في ميدان الحقيقة. على ان محاولته التملص من الخطأ بالطريقة التي اتخذها، مهما كانت لبقة، لا تجوز على احطّ العامة ادراكاً فكيف تجوز على صديقه الفيكنت «العالم» وعلى حضرتنا «المؤرخ الدقيق» ؟ فصديقه قد فهمها بمعناهـا المقصود ونبهه الى خطأه. ونحن قد فهمناها كذلك واحرجنا مركز الفيكنت بسؤالنا المذكور. فاتباع القس مارون البشراوي بقول محمد كرد علي عن انقراض الغساسنة ليس الا تعقيباً منه وتعليقاً وموافقة على هذا الخطأ، لا تدليلاً عليه.

فضلاً عن ان «القس مارون البشراوي» شخص وهمي ابتدعه حضرته عمداً بدلاً من القس جرجس مارون الاهدني المؤرخ الاصيل. ولا نعرف سبباً لهذا التحريف الا رغبته في نسبة جده الى الغسانيين بلسان شخص لا يسع احد مناقضة كلامه لانه وهمي لا تطاله اليد ولا الذاكرة. والا لماذا استشهد به ؟ ولما انفضح الغلط نسبه الى الشخص عينه تضليلاً فوق تضليل لمن كشف غلطه.

فعند قراءتنا اسم «القس مارون البشراوي» استغربناه لاننا لم نسمع به قط. وسألنا عنه غبطة بطريركنا وبعض علماء الاكليروس البشراوي وعدداً من زملائنا المشتغلين مثلنا في تاريخ الطائفة فلم يفدنا احدهم عنه بشيء... فعدنا الى المصدر الذي اخذ عنه نصري بك معلوماته الخاصة بموسى غانم جد اسرته. وهي «لمحة في نسب عائلة غانم في لبنان» نشرها ابرهيم بك ابو سمرا غانم في ترجمة والده البطل ابي سمرا غانم وطبعها سنة ١٩٠٥ في مصر بالاسم المستعار «خليل

(اي ابرهيم الخليل) همام فائز . وهذه اللمحة واردة في الصفحة ٣١٥ من الترجمة حيث قرأنا ما يلي بالحرف « ورد نسب هذه العائلة في كتاب خط مجموعة فيه انساب بعض العيال في لبنان يعزى الى القس جرجس مارون الاهدني اللبناني . وضعه في القرن ١٧ نقلاً عن مجموعات خطية ولسانية ومحلية . وقد عرضتُ هذه النسبة على العلامة بولس مسعد البطريرك الانطاكي الماروني سنة ١٨٧٥ فقال انها راجحة الاسناد . وكان رحمه الله حجة المحققين في تواريخ وانساب العائلات اللبنانية . ومما افاده القس جرجس مارون المذكور في نسب عائلة غانم ان جدها الاكبر كان موسى غانم ابن المقدم سعاده اللحفدي . قد لقب بغانم نظراً لفوزه وغنمه في موقعة جبيل التي جرت بين مقدمي الموارنة والمقدمين المسلمين في اول القرن الرابع عشر سنة ١٣٠٣ فكان النصر فيها للمقدمين الموارنة . كما رواه المطران تادرس العاقوري والمطران جبرائيل ابن القلاعي اللحفدي الذي قيل انه كان ابن غوريه من بيت غانم في لحفد المولود سنة ١٤٤٩ والمتوفي ١٥١٦ » .

فموسى غانم كان اذن مارونياً اصيلا ابن مقدم ماروني صميم . وليس نبكياً ولا غسانياً ولا عربياً ولا يعقوبياً . والقس جرجس مارون الاهدني قد استبدله حضرة نصري بك بالقس مارون البشراوي . مع ان الاصيل شخص حقيقي مشهور . ارتقى الى اسقفية قبرس سنة ١٦١٤ كما روى الدويهي في حوادث تلك السنة ، واوفده الامير فخر الدين المعني الثاني اكثر من مرة سفيراً لدى الكرسي الرسولي وملوك اوربا ليجمع كلمتهم على احتلال جزيرة قبرس حماية لشواطىء لبنان من الاسطول العثماني . ووعدهم الامير بتسليمهم القدس الشريف يداً بيد ومجاهرته بالنصرانية وحمل ذويه وبني قومه على اعتناق النصرانية . وقد اوردنا للمطران جرجس مارون الاهدني تقارير في غاية الاهمية ترمي الى هذا المشروع في كتابنا « الامير فخر الدين المعني الثاني ودولة توسكانا » .

هذه هي الوثيقة التي استند اليها حضرة نصري بك لمعرفة جد

اسرته . فمن اين جاء بالقس مارون البشراوي . وكيف جاز له ان يضع على لسانه تلك الغلطة الفظيعة بان موسى غانم كان من اتباع الملك المنذر ابن النعمان الغساني وانه نزح الى لبنان في القرن الرابع عشر ؟ اذا كان التيار السياسي قد دفعه الى ذلك ليتبح لنفسه الافتخار بغسانيته وعروبته وعروبة لبنان . وليجمع حوله الوف الانصار من الامر التي من فروع اسرته . فالغرض السياسي لا يجيز له تشويه الحقائق وصب سيل الشتائم على من يعارضه . ثم ان اللمحة التي وضعها ابرهيم بك ابو سمرا غانم عن جد اسرته اساس لا بأس به لبناء صرح اسرة غانم . فابن القلاعي المولود سنة ١٤٤٩ كان اقرب من غيره الى حوادث موقعة الفيدار (سنة ١٣٠٣) وابطالها . وهو القائل عن المقدم سعادة في الزجلية التي نشرناها له :

سعادة وسركيس من لحفد اتا بحصان ابيض وحصان اسود .

فمن منا يا حضرة نصري بك اولى بان ينسب اليه « الجهل المربع او المكعب » ؟

ويختم حضرته نقده ناصحاً ايانا « بالا نعنى بعد الان بالدفاع عن اسرته اذا كان هذا الدفاع يكلفنا الحط من كرامة كهنوتنا وعزة نفسنا » فنجيبه ان الشتائم لا تحط الا من كرامة قاذفها .

ونحن لم نتعرض للكلام عن اسرته الا على سبيل تقديم المثال على مزاعم الفيكنت في يعقبة الاسر المارونية . وقد قمنا بواجب مفروض على كل كاهن للدفاع عن كرامة طائفته وتاريخها . والذي يقوم بواجب لا تخيفه الشتائم .

على اننا لا نكتم حضرته وحضرات القراء الذين تفضلوا باللحاق بنا في سراديب هذا الجدال - وقد طال امره بالرغم من رغبتنا في الاختصار - بان زيارتنا الاخيرة لبيروت اطلعتنا على المساعي التي قام بها الفيكنت لدى « اصدقائه الاعزاء » من الموارنة ليساعدوه على الخروج من المأزق الذي اوقعناه فيه ، علماً منه بانه لا يفل الحديد سوى الحديد ، والشجرة لا يلويها الا غصن منها . وقد استنجد علينا الكثيرين

فابوا بيع ضمائرهم ومارونيتهم . وافهمونا انه توصل الى ايقاع بعضهم في حبائله، وان حضرة نصري بك كان ضحيته الاولى . وقد بعث على نفقته الى بعبدات بوفد يحرّضه علينا . فوقع في الفخ . ويظهر ان الفيكنت بعد ان فاز بالمقال زاد عليه من عنده كمّية من البهار والفلفل .

ذكرتنا طريقة الفيكنت هذه بحكاية زوجين عاشا بوئام دام اعواماً عديدة حتى امسيا مثالاً يحتذى به . بيد ان الشيطان المكلف مهمة الايقاع بينهما تلقى من رئيسه لوسيفوروس توبيخاً مراً وتهديداً بالسجن طويلاً في اعمق غياهب جهنم ، ان هو لم يفلح قريباً في مهمته . فقصد الشيطان المغضوب عليه الى عجوز شمطاء كانت تساعده في مساعيه وشكا اليها امره . فطيبت خاطره ووعدته بالعمل على نيل بغيته ان هو اهدى اليها بابوجاً مزركشاً بالمقصب من مصانع الذوق الحريرية . فوعدها . فقصدت الى الرجل وكان تاجر حرائر واشترت منه منديلاً ثميناً ولما لم يكن يعرفها افهمته من طرف خفي ان المنديل هدية من جاره لزوجته . فدبت في صدره عقارب الغيرة ولعب في عبه الفار كما يقول العامة . ثم قصدت الى داره وقرعت الباب ولما فتحته الزوجة سألتها عن دار جارتها الحسناء وافهمتها ان الهدية من زوجها . فشعرت هي ايضاً بنار الغيرة تأكل اضلاعها للمرة الاولى من حياتها الزوجية .

ولما اقبل المساء بكر الزوج الى داره لعله يقع على دليل من علاقة جاره بزوجته . فقابلته هذه بوجه كئيب . وما عتم ان تحول العتاب بينهما الى شجار فانهال الزوج بالضرب الاليم على زوجته المظلومة وسمع الجيران صراخها للمرة الاولى منذ خمس عشرة سنة .

وفي الغد جاء الشيطان الى العجوز بزوج البوابيج الموعود انما خاف ان يقترب منها فقدمه لها معلقاً في طرف قصبة طويلة . ولما عاتبته صديقته على هذا الجفاء ، اجابها : اخاف ان تفتني بيني وبين رئيسي لوسيفوروس . فحذارِ يا بني قومي من دسائس الفيكنت .

٦ ـ الشطط والتقاريظ

(البيرق ١٠ كانون الاول ١٩٤٨)

قلنا في ردنا ان « حضرة الفيكنت يرمي في الجزء الثاني من كتابه الى تحدير الاسر المارونية المعروفة ، جلها ان لم نقل كلها ، من ارومات يعقوبية » فحذف حضرته من عبارتنا لفظة « المعروفة » ليتهمنا اننا نسبنا اليه تحدير جميع الاسر المارونية من اصل يعقوبي ، وان هذه احدى اكاذيبنا وتزويراتنا عليه وصرح انه « لم يحدّر سوى بعض الاسر وهي لا تتجاوز العشرين » ثم استدرك بقوله « مع قطع النظر عمن تسلسل منها مع توالي الزمان . وهو عدد طفيف جداً بالنسبة الى مجموع الاسر المارونية . فما بال الخوري يشط . وهل يجوز لمؤرخ عادل ان يتهور الى دركة كهذه من التزوير والمبالغة والتطرف ... »

ذكرنا هذا الخلط الذي يرتكبه حضرته وينسبه الينا بحكاية لص جاء يعترف الى كاهن بانه سرق حبلاً . وكان الكاهن فطناً ـ شأننا مع حضرة الفيكنت ـ فسأله عن طوله فاجابه زهاء ذراعين او ثلاثة . فسأله عما كان معلقاً فيه . فتلعثم وقال : رأس جمل . فسأله عن حمولته . فاجابه قنطاراً من الحرير . فسأله اذا كان يجرّ غيره من الجمال . فاعترف اللص انه سرق خمسين جملاً محملة خمسين قنطاراً من الحرير . فاللص سرق هذه الكمية من الجمال والحرير وجاء يعترف بسرقة حبل ، وحضرة الفيكنت يدعي بانه لم يحدر من اصل يعقوبي سوى بعض الاسر التي لا تتجاوز العشرين ثم يفرغ بقية ما في ذمته فيستدرك بقوله « مع قطع النظر عمن تسلسل منها » .

وهو يتناسى ـ ونحن لم ننس ـ ما قاله في صدر الجزء الثاني من كتابه ان « جماهير وفيرة وعشائر غفيرة نزحت من القرى اليعقوبية الى لبنان في القرن الخامس عشر وامتزجت باهله امتزاج الماء بالراح » . وما صرح به في رده الاول علينا « ان الوفاً من الاسر اليعقوبية هجرت سوريا وما بين النهرين الى لبنان في الميعاد عينه واستوطنت فيه وانضمت الى الطائفة المارونية » . وهذه الالوف لا يمكن ان نقل

عن ثلاثة الاف ليصح الجمع . وحضرته قد حدّر من جد آل ضو الغساني اليعقوبي اربعة وعشرين فرعاً يبلغون زهاء مئة الف من الافراد. وحدّر من جمة العنحلاني ، الذي جعله جداً لآل الحلو ، زهاء خمسين فرعاً يتجاورون مئة الف افراداً .

فلو فرضنا ان هذه الاسر اليعقوبية الثلاثة آلاف النازحة الى لبنان لا يتسلسل من كل منها الان سوى عشرة آلاف نفس فتصبح الانفس المتسلسلة الآن منها ثلاثين مليوناً . ولما كان في نظر حضرته هذا العدد « طفيف جداً بالنسبة للاسر المارونية » فيا سعد طائفتنا ! لقد بلغ افرادها الآن ثلاثمائة مليون او اكثر ! وبعد هذا يتساءل حضرته بقوله « ما بال الخوري يشط . وهل يجوز لمؤرخ عادل عاقل ان يتهور الى دركة كهذه من المبالغة والتطرف » ؟

وكان حضرته قد وعد القراء ، تفنيداً لازدرائنا بقيمة كتابه ، ان ينشر تقاريظ رؤسائنا الروحيين وعلماء طائفتنا . فاكدنا له مسبقاً « ان واحداً من رؤسائنا لم يطالع كتابه لانشغاله في مهام الطائفة . بل كلف كاتب اسراره ان يوجه اليه خطاب مجاملة شكراً له على هديته . اما العلماء الذين يستسيغون تقريظ كتابه فليسوا بعلماء لانه تلفيق من رأسه الى ذنبه . فهم اما مأجورون واما مغررون » .

على ان حضرته لم يعر كلامنا التفاتاً وافتتح في عدد « البيرق » الصادر يوم ١٨ الجاري سلسلة هذه التقاريظ الذهبية لعلها ترفع قليلاً من قيمة كتابه في اعين الالآف من زبائنه الموارنة الذين اخبرهم عن اصل اجدادهم ورتب لمشاهيرهم لوائح الشرف اليعقوبي ولبطاركتهم ومطارينهم اعواد المشانق اليعقوبية ليقبلوا بالشراء على كتابه . وقد دشن المعرض بتقريظ طويل عريض نفحه به صديقنا وجارنا في مصر الجديدة الشيخ نسيب وهيبه ، فوضع له العنوان الضخم « رسالة الشيخ نسيب وهيبه الخازن الى الفيكنت طرازي » . وعلق عليهـــا بقوله « هذه الرسالة هي بمثابة وثيقة ناطقة — اي بمثابة فيلم ناطق — من مؤرخ ماروني رصين . بل عظة مملوءة صدقاً وحكمة وبلاغة وذات مغاز

سامية نزفها الى حضرة الخوري بولس قرألي وزملائه - المتهوسين - الذين تحاملوا علينا لعلهم يستيقظون ويتعظون بعبر التاريخ » .

وقد راجعنا هذه المديحة فوجدناها قد شغلت اربعة اعمدة من الجريدة ثناءً ، ليس على الكتاب ، لان المقرظ لم يتسن له مطالعة الـ ٩٠٠ صفحة ، بل على جهود حضرة الفيكنت في سبيل التاريخ . والمجاهد مثله تكفيه الحمية الوطنية . سواء جاءت جهوده بحقائق تاريخية ام بسفاسف .

ولو امعن حضرة الفيكنت النظر في هذه الرسالة ، وقرأ بين سطورها ومحّص مراميها ومغازيها ، لادرك حقيقة ما عناه صاحبها في صميمه ، وتحقق انها نقدٌ لاذع ، اخفى صاحبه الابرة الحادّة بين جناحيه . فقد انتقده اولاً على تخصيصه اسم « السريان » ببني ملته من كاثوليك وغير كاثوليك . وانتقده ثانياً في ما ادعاه عن الملكة تيودورا انها كانت ابنة كاهن لا ابنة حارس وحوش الملعب . وغير ذلك مما خفي عليه او تظاهر باخفائه ، ليعتبر الرسالة تقريظاً له ، وتعنيفاً لنا .

ومهما كان الامر فتاريخ الرسالة دليل قاطع على انها لم تزف لنا ولا تعنينا . فقد كتبت في ١٩ تموز واول مقال سطرناه رداً على كتابه نشر في البيرق الصادر في ٢٦ تموز عينه . وقد تنبه حضرة الفيكنت الى هذا وحاول تأخير تاريخ الرسالة فلم يسمح له متسلمها بذلك .

٧ - صك الملكية العقارية

(البيرق ١٠ كانون الثاني ١٩٤٩)

وعاد حضرة ، او سعادة الفيكنت ، كما يشاء - لان المرء بآدابه لا بالقابه - الى تذكير طائفتنا باملاك اجداده المغتصبة . وجانا ببرهان قاطع على وجودها ، بانها لم تعد موجودة بين ايديهم . وكي لا يتهمنا القراء باننا نتعمد التهكم عليه نورد لهم كلامه بحرفه « ترى اوقاف السريان وكنائسهم واديارهم وكرسي مفريانهم وجميع مقتنياتهم قد انتقلت بتوالي الزمان الى الطائفة المارونية . ولم يبق منها حجر واحد

او شبر ارض واحد بيد السريان اصحابها القدماء . ولم يخطر على بالهم او بال من خلفهم ان يطالبوا او يدعوا بها ».

وهذا منه ومن ملته كرم اخلاق وكرم يد لا يسعنا نحن المدينين لهم بلقمتنا الا ان نحني رؤوسنا خجلاً ونرفع ايدينا شكراً على هذا الكرم الحاتمي ، وعلى هذه المروءة والشهامة . ولما اصبحنا الآن ارفق حالاً منهم « للنكبات والكوارث التي انتابتهم منا » وجب علينا من باب مكافأة المعروف بالمعروف والمروءة ومن باب التعويض ان نعيدها الى « اصحابها القدماء » دون ان ننتظر مطالبتهم بها . بيد اننا فتشنا عليها كثيراً فلم نجد لها اثراً الا في مخيلته .

غير ان حضرته متشرع ضليع في مهنته . فقد واجهنا فضلاً عن هذا البرهان ، بشهادة الدويهي وبشهادة حررناها له بخطنا عينه . فلم يعد في وسعنا الانكار والتهرب من الحق الصريح بالتهكم . على اننا لما راجعنا اقوال الدويهي في اغتصاب الموارنة أملاك اجداده وجدناه يتكلم عن هجوم الاهدنيين على بقوفا واحراقها ودك كرسي مفريانها . فيعاقبتها كانوا موارنة « مالوا الى البدعــة اليعقوبية » فلم يكونوا « يعاقبة اقحاح » جاؤوا بالاموال من بلادهم واقتنوا بها هذه الاملاك وشيدوا بها هذا الكرسي . وكان مفريانهم نفسه ماروني الاصل من مواليد بقوفا .

وعدنا الى شهادتنا بهذا الاغتصاب فالفيناه قد اوردها محرفة للمرة الثانية مع اننا نبهناه سابقاً الى هذا التحريف وجئناه بنصها الصحيح من الصفحة التي ذكرها من مجلتنا .

(البيرق في ١٧ و١٨ كانون الثاني ١٩٤٩ عدد ٤٩٣١)

وادعى حضرة الفيكنت ان اليعاقبة الذين نزحوا الى لبنان في اواخر القرن الخامس عشر كانوا عظماء وجهاء اثرياء وجهابذة علماء . عنوا بتثقيف ابناء الطائفة المارونية الاميين وفتحوا لهم المدارس وعلموا اكليرسهم اللاهوت والفلسفة والطقوس حتى عد الموارنة فرعاً من اليعاقبة

وانهم تولوا حكمهم ونشروا في بلادهم الرخاء والامن الى غير ذلك من التبجحات . واستشهد على مزاعمه هذه بابن القلاعي في الزجلية التي نشرناها له واستثمرها حضرته لاغراضه . فرددنا عليه ان ابن القلاعى يقول عن هؤلاء انهم جاءوا الى لبنان « طالبين السكنى والزاد » اي شحادين . لان الذي يهجر بلاده الى ارض غريبة ويطلب من اهلها الطعام والمبيت يسمى في عرف جميع الامم شحاداً . ولا يسعنا ان نسميه حاتماً الطائي ولا مليونيرا بحجة انه يعقوبي . على ان هذا النعت لم يرقه بل غضب علينا غضبة انتقام وقذفنا بالشتائم . ثم استشهد علينا بمقال نشره في مجلة المشرق زميلنا الخوراسقف ميخائيل الرجي وبرحلة الاب ايرونيموس دنديني قاصد الكرسي الرسولي الى الموارنة سنة ١٥٩٦

فحضرة زميلنا لا يعني بكلامه هؤلاء النازحين من اليعاقبة . وهو على كل حال ليس اعرف بهم من ابن القلاعي الذي عاصرهم وجادلهم وكتب ضدهم عدة عديدة من الرسائل .

اما شهادة الاب دنديني فقد اوردها حضرته محرفة شأنه في جميع النصوص التي راجعناها عليه . والى القراء تعريبها الحرفي نقلاً عن النص الطلياني الاصيل المدون في الصفحة ٧٣ من طبعة السنة ١٦٥٦ والفصل السادس والعشرين ، لا التاسع والعشرين ، كما ادعى حضرته : « قيل لي ان اليعاقبة جلبوا الى هذه البلاد من مدة غير بعيدة حمولة خمسين بغلاً من كتبهم » . هذا كل ما قاله هذا الرحالة في هذا الخصوص . اما حضرة الفيكنت فاورد شهادته بالنص الآتي . « صرح الاب ايرونيموس دنديني قائلا ان السريان نقلوا من بلادهم الى الكنائس والاديار والدساكر اللبنانية التي يستوطنونها خمسين او ستين حملاً من المخطوطات السريانية على ظهور البغال » . فحضرته ، بعد ان تبرع من كيسه بعشرة بغال ، وضع على لسان دنديني كلاماً زوّره عليه ليوهم القراء بان اليعاقبة اجداده كان لهم في لبنان عهدئذٍ « كنائس واديار ودساكر يستوطنونها هـذا احد صكوك الملكية العقارية التي يستند اليها لمداعاة طائفتنا المارونية باملاك وهمية كانت لأجداده في لبنان

واغتصبتها منهم . ومهما كان الامر فاستجلاب اليعاقبة هـذا العدد الكبير من المخطوطات لا يدل على انهم كانوا « علماء جهابذة » . فلو كانوا كذلك لما تكبدوا نفقات ومشقات جلبها من هـذه المسافة الشاسعة ، بل وضعوا هم ما كانوا بحاجة اليه للدعاية .

وقد كال لنا حضرته الشتائم بالارطال لقولنا عن هؤلاء اليعاقبة انهم كانوا جائعين شحادين واتهمنـا بتحقير طائفته وشكانا الى غبطة بطريركنا لعله يحرمنا مدقات الكبة .

فنجيبه اولاً ان الكلمة لابن القلاعي وليست لنا ، وغاية ما هناك انه قالها بالشعر الموزون ونحن فسرناها بالنثر « الموزون » . ثانياً نحن لم ندرك سبب غضبه علينا وشتمنا واتهامنا بتحقير طائفته . ففي كل طائفة وكل بلد نجد الشحادين في الطرق وعلى الابواب يسترحمون اهل الجود المشفقة على فقرهم . والفقر ليس بعيب ان لم يكن مسبباً عن الكسل او سوء التصرف بالمال .

وقد صارحناه وصارحنا رؤساء ملته والمنتمين اليها اننا نجلهم ولنا بينهم اصدقاء واقارب . وقـد تجشمنا في ربيع السنة ١٩٢٦ عناء السفر حتى مدينة حمص لنحظى بشرف المثول بين يدي غبطة بطريرك السريان الارثوذكس الحالي، لما كان مطرانها ، ونغترف من علومه وآدابه ، ونطلع على كنوز مخطوطاته . وقلنا ايضاً في ردنا الاول انه اذا شم في اقوالنا رائحة تهكم فعلى يعاقبة وهميين اختلقتهم مخيلته ليفرضهم علينا فرضاً . والعاقل لا يسعه اعتبار الاوهام . وفي تكرار هـذا التصريح الكفاية لتبيان موقفنا ونياتنا وكرهنا للتعصب الطائفي الذميم. فما بال حضرته يثير حفائظ ملته علينا ، وينقر على وتر النعرات الطائفية التي خربت الشرق . على اننا نشعر بكلمة عتاب تحز في صدرنا ولم نعد نطيق صبراً على كتمانها . والعتاب صابون القلوب . لاسيما بعد ما سمعنا ان رئيساً لحضرة الفيكنت كلف احد آباء طائفتنا ان يبلغ رؤساءنا بان « الطائفة السريانية الشقيقة مستاءة من كتاباتنا » كأن طائفتنا يجب ان تكون خالية من الكرامة والاحساس لقاء المؤامرة

الدنيئة التي دبرها عليها حضرته ليجعلها مهزلة للطوائف والامم . ولو كان المسؤول وحده عن هذه الاهانة لقلنا هذا طرازي من الطراز العتيق متشبع من روح التعصب الذى نفخه فيه استاذه المطران يوسف داود — غفر الله له سيئاته ووزن له حسناته اضعافاً مضاعفة —. على ان رؤساء من الاكليروس قد شجعوه على هذا العمل الشائن بل شاركوه فيه .

هذا رجل من اعيان طائفتهم قضى خمسين عاماً يعد كتاباً جعل فيه طائفته الاصلية في لبنان وسيدته ، وطائفتنا دخيلة عليها وخادمة تعيش من نعمتها هي وبطاركتها واحبارها وبنوها — بل لصة شريرة نهبت اموال مخدومتها واغتصبت املاكها . اما الاسر المارونية فليس بينها اصيل بل جميعها متحدرة من متشردي اليعاقبة . وليس بين بطاركتها ومطارنها ومشاهيرها ماروني صميم بل جميعهم من اجداد هراطقة . يقول هذا وهو يعلم حق العلم ، لمطالعته تاريخنا ، ان طائفتنا تكونت من مقاومة البدعة اليعقوبية . وقد تركت خيرات سوريا وما كان لها فيها من مؤسسات ومساكن وانتقلت الى هذه الجبال القاحلة صيانةً لعقيدتها . وان هذه الصيانة تعدها اعظم امجادها . وحضرة الفيكنت صرح بانه اطلع الابوين اسطفان البشعلاني واغناطيوس طنوس على محتويات كتابه قبل نشره — فاجابا معترفين باطلاعهما عليه ، انما وجدا الكراريس بخط حضرة الخوراسقف اسحاق ارملة . فاذا كان الفيكنت قد اطلع اخصامه على كتابه قبل نشره أيعقل انه في مدة الخمسين سنة لم يطلع عليه رؤساءه ليتباهى بما اعدّ لطائفتهم من المفاخر ولطائفتنا من المهازل ؟ ألم يبح حضرة الخوراسقف ارملة السرياني في هذه البرهة الطويلة لاحد من زملائه ورؤسائه بما يدبره حضرة الفيكنت لهم وما يدبره علينا ؟

وحضرة الخوراسقف ارملة يعتذر للابوين المذكورين بانه لم يساعد الفيكنت الا في تحضير الجزء الاول من كتابه . والكل يعلم ان هذا الجزء اساس جميع فرياته علينا . ويعتذر ايضاً بانه ساعده لجهله

اللغة السريانية . فاذا كان الفيكنت يجهل هذه اللغة فمن جاءه بعثات النصوص السريانية التي دوّنها في كتابه ؟ ومن عربها له ، وشرح له مغازيها الرامية الى الحط من كرامة طائفتنا ؟

هذه اسئلة نوجهها الى حضرات رؤسائه من كهنة واحبار ، راجين ان يتكرموا بالاجابة عليها لعلها تبدد غيوم الشك والحذر التي تلبدت اخيراً بيننا وبينهم وتطفىء مراجل الغضب والحقد في صدور ابناء طائفتنا في عصر نحن احوج فيه الى التصافي والتضامن والتحابب .

وقد انكر حضرة الفيكنت على الاب اغناطيوس طنوس انه والمثلث الرحمة البطريرك الرحماني اشتركا في نشر كتاب « جامع الحجج الراهنة في ابطال دعاوى الموارنة » الذي وضعه المطران يوسف داود وارغمه المجمع المقدس على تكذيب ما ادعاه فيه وتسليم نسخته الى البطريركية المارونية . وقد وجدناها محفوظة في خزانة بكركي . على انه لا يسعه ان ينكر ذلك علينا ونحن نعيش في مصر ، حيث طبعا الكتاب ، وشهدنا باعيننا هذه المؤامرة على طائفتنا . واذا اصر على الانكار فنحن نذكره بواحدة لعلها تسكته . لما قدم نسخة من هذا الكتاب ، الذي ينعته في رده « بذائع الصيت » الى صديقنا المرحوم جرجي زيدان ليقرظه في مجلة الهلال ، فبدلاً من تقريظه انحى باشد اللائمة على المؤلف وعلى الناشرين ، لاثارتهما النعرات الطائفية البغيضة . ولو كانت المجلة بين يدينا لنشرنا كلمته الغاضبة المشمئزة .

هذه ادلة على ان روح التعصب ما زال كامناً منذ خمسين سنة في صدور بعض اعيان ورؤساء هذه الطائفة التي لم تجد من طائفتنا حين لجأت اليها ، وفي مدة المئتين والخمسين سنة التي اقامت فيها بيننا ، الا كل عطف ومودة ومساعدة . ولولاها لما كان حضرة الفيكنت من اللاجئين الى لبنان يتعيش من خزينته .

صدق الحكيم القائل « اتق شر من احسنت اليه » .

٨ - الامجاد المارونية

البرق ٤ كانون الثاني سنة ١٩٤٩

قلنا في ردنا الاول ان حضرة « الفيكنت حاول في كتابه هدم صرح تاريخ طائفتنا وامجادها » . فشاء ان يتنصل من هذه التهمة خشية ان يعرض الموارنة عن كتابه فتكسد سوقه ، فاجابنا على صفحات هذه الجريدة جواباً استغرق اربعة اعمدة عمد فيه الى التفلسف عله يموه على زبائنه . خلاصته « ان امجاد الطائفة المارونية اما ان تكون مادية واما ادبية . فالمادية تنحصر في الكنائس والاديار والاوقاف وقد صرحت في كتابي ان الموارنة اغتصبوها من اجدادي . اما الادبية فقد وفيتها حقها اذ اني ذكرت جميع مشاهيرهم المتحدرين من اصل يعقوبي . كذب اذن الخوري بولس لما ادعى اني سلبت طائفته امجادها ومسخت تاريخها » . فالقراء يدركون بانه بدلاً من ان ينفي التهمة عنه ، اثبتها .

فقد حشر نفسه بين مؤرخينا حشراً وادعى انه اصدق منهم وانه طالع مؤلفاتهم فلم يجد فيها من امجاد طائفتنا سوى بعض مؤسسات واراضي اغتصبتها من سيدتها اليعقوبية ، وبعض مشاهير لم ينبغوا الا لتطعمهم بالدم اليعقوبي .

فاعلم ايها المتطفل على تاريخنا المتثاقل على آذاننا ان الموارنة قوم ذوو مبدأ ونشاط وثبات . امتازوا باخلاق سليمة نبيلة وعقيدة دينية قوية ووطنية راسخة ، افتدوها ويفدونها بالمال والمهج والارواح . وقد قال عنهم الاب بريسيوس الكبوشي الذي عاش بينهم عشرين سنة في القرن السابع عشر « الماروني يموت ولا يجحد » . وسماهم لامارتين « حفنة من الابطال » . وهم الوحيدون بين الطوائف السورية المسيحية الذين اوجدوا لهم وطناً خاصاً حرروه وعززوه وصانوه من كل تعد وفتحوا ابوابه لكل مضطهد في عقيدته الدينية او العلمية او السياسية . فاصبح لبنان ملجأ الاحرار . الموارنة بناة لبنان ، اقاموه طوداً في

بحر الغزاة . هاجمته امواجهم الصاخبة طيلة اربعة عشر قرناً ولم تتمكن من ابتلاعه بل كانت تنحسر عنه خائبة . لبنان مدين للموارنة بكيانه ، والشرق بثقافته ، والغرب باستشراقه .

١ - الامجاد الدينية - لما تفشت في سوريا البدعة اليعقوبية كان رهباننا اول واصلب من قاومها ، وكشف القناع عن ضلالها ومساوئها. فصانوا اتباعهم من التلطخ بهذه الهرطقة الشنيعة التي قوضت اركان الشرق المسيحي ودكت من اساسه البطريركية الانطاكية ، اقدم وامجد كراسي النصرانية ، ومزقت شمل العشرين مليوناً من رعاياها تمزيقاً لم يقم لهم بعده قائمة . حولت مدنها العامرة وكلياتها الزاهرة الى اطلال دارسة وكنائسها الفاخرة واديارها الغاصة بالعباد والعلماء والمرشدين الى اكوام خرائب ينعق فيها البوم ، وارضها الى بحر من الدماء .

بيد ان اجدادك بدلا من ان ينصاعوا للنصح المدعم بالادلة الصحيحة والبراهين الدامغة ، لجأوا الى الانتقام من ناصحيهم بالتقتيل والتدمير . استعان مطرانك بطرس المغتصب اسقفية حمص بالحكام العاتين وبزمرة من اتباعه الاشرار وهجم على القرى والمزارع المارونية المجاورة واعمل فيها السيف والنار . دك بيوتها وفتك برجالها وقتل نساءها واطفالها ثم اقتحم دير مار مارون على العاصي حيث كان ثمانمائة راهب زهدوا في العالم وتكرسوا لعبادة الله وخدمة القريب وارشاد الرعايا واسعاف المرضى والمساكين فذبح منهم ثلاثمائة وخمسين . وقاد البقية مكبلين بالاغلال الى بطريركك ساويرا . فامر هذا بقتلهم او بسجنهم .

البيرق ٢٤ ك٢ ١٩٤٩ عدد ٤٩٣٧

فازاء هذه الوحشية التي ارتكبها رؤساؤك وعلماؤك الجهابذة وقد فاخرتنا بهم قرر جدودنا ان يهجروا سهول سوريا الخصبة وكنائسهم الفخمة وبيوتهم وحقولهم وارزاقهم تخلصاً من وجه جدودك . تركوها لهم يتنعمون بخيراتها ورحلوا زرافات الى لبنان ونزلوا بين بني مذهبهم من سكانه الاصليين . اعتصموا في هذه الجبال الجرداء وطحنوا صخورها

لتغذية عيالهم . عاشوا بالفقر والشظف والقناعة والجهاد الطويل . انما عاشوا رافعي الرأس ناصعي الجبين انقياء الايمان والاداب مكتفين بسلامة عقيدتهم عن خيرات سوريا .

وما ان نظّموا شؤونهم وضمنوا استقلالهم الديني والمدني حتى حوّلوا لبنان الى معقل الكثلكة في الشرق والى ملجأ لكل مضطهد من المرتدين الى الايمان القويم . وفي اواخر القرن الخامس عشر لما قدم اليهم اليعاقبة لابسين لباس الحملان متظاهرين بقصد الترهب والتنسك والانصراف الى اعمال الصلاح والتثقيف ، رحبوا بهم ترحيبهم باخوان في الدين واللغة والجنس . على انهم لما اكتشفوا حقيقة امرهم وتأكدوا غايتهم من افساد عقائد امتهم طردوهم ودكوا قرية بقوفا مقر مغربانهم . وعمدوا الى كتبهم فاحرقوها . فعاد عن غيه المخدوع بهم من الموارنة كما صرح الدويهي الذي هتف فرحاً بصمود امته امام اغواء هؤلاء الدخلاء « واستراح لبنان من اليعاقبة الغرباء » .

اتصل الموارنة بالكرسي الرسولي بواسطة الصليبيين وتبادلوا معه القصاد والرسائل ودعوا المرسلين الغربيين للنزول بينهم وقدموا لهم المعابد والاديار . فاسرع الى تلبيتهم الفرنسيسيون والكرمليون والكبوشيون واليسوعيون . فحموا ذمارهم وساعدوهم في مهمة تبشير الطوائف المنشقة وبث العقيدة الكاثوليكية في انحاء الشرق . وحوّلوا كنائسهم في حلب ودمشق وصيدا وبيروت وطرابلس وعكا وغيرها الى مراكز دعاية للايمان المستقيم لانهم كانوا معروفين وحدهم من السلطة العثمانية بطائفة كاثوليكية مستقلة عن بقية الطوائف المنشقة .

وكانت اشهى الاثمار التي جنوها ارتداد الشاب اندراوس اخيجان اليعقوبي ابن عبد الغال سنة ١٦٤٥ الى حضن الكنيسة الرومانية في حلب . بيد انه لم يجسر على التريث فيها لئلا ينفضح امره لدى ابناء امته فهرب الى لبنان ولجأ الى قنوبين . فاحتضنه البطريرك يوسف العاقوري كالابن الحبيب . ثم جهزه مع اربعة شبان موارنة الى مدرسة الطائفة المارونية في رومية حيث ارتشف العلوم الادبية واللاهوتية

وتربى مع تلامذتها كانه واحد منهم . وفي السنة ١٦٥١ عاد الى قنوبين فرقاه البطريرك يوحنا الصفراوي الى درجة الكهنوت حسب مراسيم الرتبة المارونية . وضافه خمس سنوات .

وفي مكتبة المطران عبدالله خوري النائب البطريركي ، كتاب من الطقس الماروني نسخه اخيجان في قنوبين بخطه الجميل ، واعلن في ذيله انه « احد كتبة اسرار البطريركية المارونية » مما يشهد على انه كان يعدّ نفسه ابناً لهذه البطريركية مربيته .

ولما عاد اخيجان الى حلب نزل القلاية المارونية كأحد كهنتها وتساعد معهم على رد ابناء ملته اليعاقبة . ولم يمسه آنئذٍ المراطقة بسوء لانه كان يتظاهر بانضمامه الى الطائفة المارونية المعروفة رسمياً لدى السلطات العثمانية الحاكمة بانها كاثوليكية مستقلة عن بقية الطوائف المنشقة . وقد وجدنا له في مكتبة هذه القلاية كتابين بالسريانية نسخهما بخطه . وكتب السيد بيكت قنصل حلب الفرنسوي الى البطريرك يوحنا الصفراوي اكثر من عشر مرات لكي يوسم اخيجان مطراناً على السريان فكان البطريرك يتمنع خوفاً عليه من اليعاقبة ان هو ظهر بهذه الصفة . اخيرا نزل على الحاح الخوري اسطفان الدويهي ، البطريرك والمؤرخ الشهير ، فرسمه في ١٩ حزيران ١٦٥٦ مطراناً على سريان حلب . على انه ما كاد يبلغها حتى اصطدم باضطهاد اليعاقبة فعاد الى قنوبين هارباً . فتطوع الخوري اسطفان لمرافقته ولازمه خمس سنين مشجعاً مرشداً . حتى انه كان يكتب له مواضيع عظاته كما صرح الدويهي بنفسه . فكثر على يديها المرتدون من اليعاقبة الى الكثلكة ، حتى ان القنصل بارون الفرنسوي انتهز فرصة وفاة البطريرك اليعقوبي شمعون قمشه فسعى لدى الباب العالي وفاز منه بتعيين اخيجان بطريركاً على السريان .

ولما توفي في السنة ١٦٧٧ خلفه بطرس شاهبادين على الكرسي البطريركي . على انه اضطر ان يهرب بدوره الى قنوبين حيث رحب به البطريرك اسطفان الدويهي . فاقام لديه مدة سنتين . وكان القس

اسحاق قد سبقه الى هناك . ثم لحقهما الخوري نعمه والقس سليمان السريانيان وكتب الدويهي الى ابنائه الموارنة في حلب يأمرهم ان يقبلوا جميع المرتدين من اليعاقبة والارمن والنساطرة وغيرهم ويتلمذوهم ويقضوا مصالحهم[١] .

وفي السنة ١٧٨٤ لما لم يعد يسع بطاركة السريان الكاثوليك الاقامة بين بني ملتهم في الجزيرة او في حلب لجأ بطريركهم ميخائيل جروه الى لبنان حصن الكثلكة في الشرق . وساعده البطريرك يوسف اسطفان ومشايخ آل الخازن واعيان الموارنة على الاستقرار في دير الشرفة بغسطا ، حيث يقيم بطاركة السريان الكاثوليك حتى الآن .

مما تقدم باختصار كلي يثبت ان طائفة السريان الكاثوليك ، التي ينتمي اليها حضرة الفيكنت ومساعدوه في مؤامرته ، هي ابنة الطائفة المارونية . اولدتها واحتضنتها واسكنتها في عقر دارها . وعنيت بها عناية الام بطفلتها . وقد اخذنا اغلب هذه المعلومات عن كتاب حضرته . ايجوز له بعد ذلك في عرف الشرف ان يرفع عقبه عليها هو ومؤازروه من الاكليروس السرياني بالتحقير والتهكم والدس وشتى التخرصات ؟

وفي السنة ١٦٩٤ قدم من حلب الى لبنان للترهب ثلاثة شبان موارنة : عبدالله قرألي وجبرايل حوا ويوسف البتن . وانشأوا في دير مرت مورا باهدن رهبانية شرقية منظمة . تولى رئاستها سنة ١٧٠٠ القس عبدالله قرألي ووضع لها قانوناً مختصراً وافياً . وفتح ابوابها لجميع الراغبين في الحياة الروحية دون تمييز في المذاهب والملة . فامها السرياني الكاثوليكي واليعقوبي والملكي والارمني من كلا المذهبين حتى اليهودي .

بيد انه اشترط على كل منهم ان ينزع على باب الدير لقب اسرته وطقسه ويتمذهب بالمذهب الماروني ليكونوا جميعهم اخوة لا يعرف بينهم الغريب . فنمت الرهبانية الحديثة على يده نمواً مثمراً وقدمت

---

(١) راجع ترجمة البطريرك اسطفان الدويهي للمطران بطرس شبلي ص ٣٢ - ٣٦ و ١٤٤

للدين والعلم والطائفة والوطن خدمات جليلة ما دامت متواصلة . وقصدها من حلب كثيرون من الشبان المثقفين المنتمين الى شتى الطوائف تهذبوا على يد هذا الرئيس القديس العالم الحكيم . فساعدهم على انشاء رهبانيات خاصة بطائفة كل منهم . فتألفت في لبنان الرهبانية الارمنية في دير الكريم والملكية في الشوير . وهي التي انقسمت بعد وفاته الى حلبية وحناوية كما انقسمت امها الرهبانية اللبنانية الى بلدية وحلبية.

جميع هذه الرهبانيات اتخذت القانون الذي وضعه الرئيس عبدالله لرهبانيته . كما اتخذته ايضاً الرهبانية الانطونية المارونية التي اسسها في دير مار اشعيا برومانا البطريرك جبرائيل البلوزاوي لما كان مطراناً على ابرشية حلب . وقصدت الى لبنان من حلب بعض العذارى من الملكيين وانشأن لهن بمساعدة مشايخ آل الخازن رهبانية للنساء في قرية زوق ميكائيل ، ما زالت قائمة الى يومنا هذا . فكانت هذه الرهبانيات التي تتجاوز اديارها الآن في لبنان المئة ورهبانها الالف مناهل الحياة الروحية والثقافية ومشعل الدعاية الكاثوليكية ليس في لبنان فحسب بل في سائر انحاء الشرق . نشرت وعزّزت الدين والفكر مع اصول الزراعة والصناعة وجلبت العمران الى كل مقاطعة قامت فيها.

وتهافت المرسلون الغربيون على الاستقرار في لبنان في جباله وسواحله ومدنه حتى غص بهم . وهم من شتى الملل واللغات رجالاً ونساء . تخصصوا للتبشير والتعليم ونشر المبادىء القويمة عقيدة واخلاقاً. وانشأوا هم والرهبان الوطنيون المدارس والكليات والمطابع والجرائد والمجلات في جميع فروع الثقافة ووزعوا بالالاف النشرات الادبية والدينية والعلمية واسسوا الاخويات التقوية والجمعيات الخيرية على مختلف اهدافها سداً لمختلف الحاجات فعم ازدهار الكثلكة في الشرق كله .

وكان الحكام في لبنان من امراء ومشايخ ومقدمين قد اصبحوا اغلبهم موارنة . وبعد مذابح السنة الستين لما اجبرت الدول الاوروبية الموارنة على قبول حكام اجانب اشترطوا ان يكونوا من المذهب الكاثوليكي . فاذعنوا لطلبهم .

ولما وضع دستور الجمهورية اللبنانية الحالية وقع الاتفاق على ان يكون رئيسها مارونياً ، وخصصت للموارنة والكاثوليك المقاعد الاولى في الوزارة والنيابة والادارة ، ارضاءً للاغلبية المارونية والمسيحية التي يقوم لبنان المستقل على سواعد ابنائها . وعين يوم الاحد للبطالة الرسمية . واصبح لبنان مركزاً للبطاركة الكاثوليك الموارنة والروم الكاثوليك والسريان والارمن من كلا المذهبين فضلاً عن القصادة والسفارة البابوية في لبنان وسوريا .

فلولا الموارنة لما كانت الكثلكة في الشرق .

٢ - الامجاد الوطنية - ما احتل الموارنة لبنان حتى حولوه الى حصن للاستقلال في الشرق . فتمكنوا بيسالتهم وتضامنهم وثباتهم ان يحتفظوا طيلة اربعة عشرة قرناً بهذا الاستقلال مدافعين عنه دفاعاً مجيداً فريداً . قاوم الموارنة الامبراطورية البيزنطية بعظمتها وجبروتها . وكسروا اكثر من مرة في سهول البقاع جيوشها الزاحفة على جبلهم العزيز . فعادت عنه خائبة خاسرة . ردوا عنه غزوات العرب الذين دوخوا الشرق واحتلوا قسماً من الغرب . صدوا عنه جحافل الامويين والعباسيين والاخشيديين وعساكر الاكراد والتركمان والمماليك والاتراك ، الذين لم تصمد امامهم القسطنطينية عاصمة الامبراطورية الرومانية .

ولم يتمكن الملوك المماليك ان ينتزعوا طرابلس من ايدي الصليبيين الا بعد ان اجهزوا على مقاومة حلفائهم الموارنة . ففي السنة ١٢٨٣ زحفت جيوشهم الجرارة لافتتاح جبة بشري . فقاد الدفاع البطريرك دانيال الحدشيتي بشخصه . واوقفهم امام اهدن اربعين يوماً . ولم يتمكنوا منها الا بعد ان امسكوه بالحيلة . فكتب مؤرخهم « لقد تجبر بطريرك الحدث واستطال وتكبر . واستغوى اهل تلك الجبال وتحصن فيها وشمخ بانفه . فقصده التركمان وتحايلوا عليه فامسكوه . وكان امساكه فتوحاً عظيماً اعظم من افتتاح حصن او قلعة . وكفانا الله شره . »

وفي السنة ١٣٦٥ قبض باشا طرابلس على البطريرك المــاروني جبرائيل الحجولاوي واحرقه حياً لدفاعه عن حقوق لبنان وبنيه . كما احرقت بعدئذ القديسة جان درك لدفاعها عن فرنسا وطنها المحتل . وفي السنة ١٥٢٧ كتب البطريرك موسى العكاري الى الامبراطور شارل الخامس يدعوه لاستخلاص الاراضي المقدسة ولبنان من ايدي العثمانيين ووعده ان يضع تحت تصرفه خمسين الف مقاتل ماروني .

وفي اوائل القرن السابع عشر قسا يوسف سيفاباشا على موارنة الشمال وطغى وبغى وفتك بالامير محمد عساف صاحب جبيل والبترون وكسروان وبيروت . ولاحق كواخيه مشايخ آل حبيش الموارنة وكاد يبتلع امارة الشوف . فمد اميرها فخر الدين المعني الثاني يده الى موارنة الشمال فمدوا اليه يداً سخية قوية ، وساعدوه على سيفا باشا . وما زالوا حتى قهروه وانتزعوا منه مقاطعات الجبة وجبيل والبترون وكسروان . فتمت على يدهم الوحدة اللبنانية التي تتمتع بها الآن الجمهورية اللبنانية الفتية . واقاموا عليهم في هذه المقاطعات حكاماً من بني ملتهم وعقيدتهم . وعادوا الى استعمار كسروان فعمّروه وشادوا فيه الاديار والكنائس والقرى والدساكر . ورفعوا راية الصليب على رؤوس قممه الشامخة . ثم احتلوا المتن وزحفوا الى الشوف وانتشروا في الجنوب وسهول البقاع وعكار . ولما قتل الامير فخر الدين في الاستانة واصلوا المقاومة ضد الاتراك ليمنعوهم من ان يدوسوا جبلهم . وكان في مقدمة المقاومين ابو كرم الحدثي حاكم لبنان الشمالي واحد كبار قواد الامير المقتول . ولما لم يسع باشا طرابلس قهره انتقم من مواطنيه فاجتاح جبة بشري بالعساكر الجرارة .

فلما شاهد البطل الجيوش الغريبة تعيث فساداً في املاك بني امته قرر افتداءهم بنفسه ونزل سنة ١٦٤٠ من تلقاء ذاته الى طرابلس ووقف امام الباشا قائلاً : هاءنذا امسكني . فعرض عليه الاسلام لينجو فأبى فعلقه من خاصرته على الكلاب حتى فاضت روحه . فجاء استشهاده مثالاً رائعاً للبطولة اللبنانية والمقاومة المارونية .

وثبت الموارنة على شد ازر الامراء المعنيين وخلفائهم الشهابيين ، صوناً لاستقلال جبلهم . وحاربوا تحت رايتهم جنباً الى جنب مع الدروز الاشداء والمتاولة الاشاوس . وكانت دماؤهم في الحروب العديدة التي قاموا بها دفاعاً عن لبنان تمتزج سوية في تربته المقدسة وتنبت ابطالاً بعد ابطال يصمدون للباشاوات المجاورين في دمشق وفلسطين. فتنصر امراؤهم الشهابيون واللمعيون مدفوعين بهذه الحمية الوطنية ، وتحولت الوجاهة والامارة في لبنان الى الطائفة المارونية .

وكان اكبرهم واعظمهم الامير بشير الشهابي الكبير الذي هابته الدولة العثمانية وتسابق باشاواتها في سوريا وفلسطين الى خطب وده والاستعانة بجيشه اللبناني على احلال الامن في ولاياتهم وكبح جماح العاصين عليهم .

وحالفه محمد علي باشا عاهل مصر وقاهر الدولة العثمانية . فساعده الموارنة على احتلال فلسطين وسوريا والاناضول تخلصاً من تعسف الباب العالي وتطلباً لاستقلال لبنان . ولما عنّ لابراهيم باشا سنة ١٨٤٠ احتلال بيت الدين ونزع السلاح من الموارنة تمهيداً لتجنيدهم في النظام رأوا في عمله اعتداء على استقلال وطنهم واعتقالاً لحريتهم فوقفوا في وجهه، مع انه كان صديقهم . فحاربهم فحاربوه وما زالوا به حتى قهروا جيوشه التي قهرت الدولة العثمانية وكادت تستولي على الاستانة لو لم تقف الدول الاوربية لمنعها . هزموه واجبروه على التخلي ليس عن لبنان فحسب بل عن سوريا وفلسطين .

فرأى السلطان ان يكافئهم على دفاعهم المجيد وانتصارهم غير المنتظر فاهدى الى بطريركهم يوسف حبيش النيشان العثماني المرصع . فخشي البطريرك ان هو تقلده ان ينسب اليه الاعتراف ضمناً بالتبعية العثمانية . فبدلاً من ان يضع النيشان على صدره وضعه على الرف . فعبر احسن تعبير عن روح المقاومة المارونية لكل افتئات على استقلال لبنان العزيز .

وبعد حوادث السنة الستين المشؤومة اجبرتهم الدول على قبول

حاكم عثماني بدلاً من امرائهم . فاشترطوا ان يكون على مذهبهم الكاثوليكي . ولما كشفوا عن نيات داود باشا في التعدي على دستور لبنان هبّوا لمقاومته بقيادة يوسف بك كرم ودحروا اكثر من مرة جيوشه العثمانية في مواقع مشهورة .

ولما سلخت عن لبنان سهوله وثغوره وشلت فيه التجارة والصناعة والزراعة وحصر الموارنة في الجبال الوعرة الجرداء . ضاقت مساحتها عن استيعابهم وتغذيتهم فعمدوا الى الهجرة . لان الماروني لا ينام على ضيم . هاجروا الى افريقيا واميركا الشمالية والجنوبية واوستراليا ، والى المستعمرات الاوربية . ولم يكن لديهم من رأسمال سوى نشاطهم وذكائهم واستقامتهم ، وما عتم ان اصبحوا في اوطانهم الجديدة اعظم الجاليات ثروةً وثقافة ونفوذاً واطيبها سمعة . فتحوا المتاجر وشيدوا المصانع المزدحمة بالاف العمال والمزارع الواسعة الارجاء واسسوا لهم الكنائس والمدارس والنوادي والجمعيات الوطنية والخيرية . واقاموا المطابع العربية ونشروا الجرائد والمجلات في شتى المباحث العلمية والسياسية . وبلغوا في هذه البلاد الغريبة اعلى مناصب الحكم والادارة وبرزوا في السياسة والخطابة والاختراعات العصرية واصبحوا في مقدمة رجال الدين والعلم والطب والهندسة والمحاماة والصناعات والنبوغ .

ولم تطفىء هذه الامجاد والثروات في صدورهم الحنين الى الوطن الاصلي . بل شدوا ازره سياسياً ومادياً ورفعوا اعلامه واذاعوا مفاخره وانشدوا امجاده وجماله شعراً ونثراً كتابة وخطابة حتى اصبح اسم لبنان في اذهان شعوب الارض رمزاً للعبقرية والجمال في ابهى مظاهرها .

وفي الحرب الكبرى العالمية الاولى قررت الاستانة ادماج لبنان في ولاياتها . ورأى جمال باشا السفاح انه لا يستطيع تنفيذ هذه الفكرة الا بالقضاء على المقاومة المارونية . فعلق على اعواد المشانق الشيخين الشقيقين فليب وفريد الخازن وابن الهاني وابن عقل وخوري سن الفيل ونفى المطران بطرس شبلي رئيس اساقفة بيروت الماروني . فمات

في الغربة . وفكر في القبض على البطريرك الياس الحويك . وكاد يبلغ مرامه لو لم يتدخل امبراطور النمسا لانقاذ صديقه البطريرك . واستدعى ايضاً جمال باشا بطريركنا المغبوط مار انطون بطرس عريضه . فدافع عن نفسه وعن طائفته دفاعاً جريئاً صريحاً. فتركه وشأنه .

وما ان وضعت الحرب اوزارها وانسحبت الجيوش التركية من سوريا ولبنان حتى اقتحم البطريرك الحويك البحار مزوّداً بصك التوكيل من جميع الطوائف اللبنانية ووقف امام عظماء الارض في مؤتمر الصلح وطالبهم باستقلال لبنان بحدوده الطبيعية . وما انفك عنهم حتى انتزع منهم هذا الصك المجيد . فكانت الجمهورية اللبنانية .

فلولا الموارنة لما كان لبنان ، بل لابتلعته الدول الجبارة التي سيطرت على الشرق من اقصاه الى اقصاه .

٣ ـ الامجاد العلمية ـ في اواخر القرن السادس عشر سمع البابا غريغوريوس الثالث عشر بان في الشرق ابطالاً لم يحنوا رؤوسهم لطاغية ولم تجث ركبهم لباعال . فطلب منهم اشبالاً واسس لهم مدرسة في رومية عاصمة الكثلكة . وما ان نهل هؤلاء الاحداث الموارنة من ينابيع العلم حتى تفوقوا وبرزوا واصبحوا صلة الثقافة بين الشرق والغرب . نقلوا الى الشرق معارف الغرب الناضجة . والى الغرب كنوز المخطوطات المخزونة فيها حكمة اقدم الحضارات . فترجموها وشرحوها واستخرجوا منها النتائج العلمية والجدلية التي كان الغرب بحاجة اليها للرد على البدع الحديثة . وقد كادت تطمس معالمها . وانعكفوا على تدريس اللغات الشرقية في عواصم اوروبا : باريس وفلورنسا ورومية والبندقية ومدريد وغيرها . ووضعوا الاجروميات والترجمات والقواميس والموسوعات . وصبوا الحروف السريانية والعربية والعبرية واداروا المطابع الشرقية . واخذوا ينشرون فيها فهارس المخطوطات الشرقية ومحتوياتها في كل الفروع العلمية والمؤلفات الشرقية القديمة النفيسة . فتفتحت عيون الغربيين على الثقافة الشرقية وعلى نصوص

الكتب المقدسة والطقسية المحفوظة في الشرق . فكان الاستشراق .

وكانت العربية في الشرق الادنى قد تدنت عبارتها وخبت انوارها وذبلت ازهارها . ولما قصد في اواخر القرن الخامس عشر الى مدينة الشهباء عدد من الاسر المارونية اللبنانية انكب بعضهم على دراسة هذه اللغة التي اصبحت عندهم لغة الكلام والتفاهم . فبرعوا فيها وفاقوا ائمتهم . ولما استقر جبرئيل فرحات وعبدالله قرألي ورفقاؤهما الحلبيون في الاديار اللبنانية اخذوا ينشرون اصول هذه اللغة بين بني امتهم . فوضعوا الاجروميات والقواميس والكتب المدرسية في قواعد الصرف والنحو والمعاني والبيان . والمصنفات العربية في شتى الفروع العلمية والدينية . ونقحوا لغة الكتب المقدسة والطقسية، فعودوا الشعب على العبارة السهلة الصحيحة . ونظموا له الاناشيد الروحية والقصائد المسجدية فالفها وتغنى بها وتفهم معانيها وتشرب منها روح الكتابة السليمة .

فكانت نهضة اللغة العربية الحديثة التي شعت انوارها من لبنان ، منارة اشعاع الفكر ، الى جميع انحاء الشرق . وهتف احد ائمة الاسلام فرحاً : لقد تنصرت العربية .

وكانوا قد سكنوا في اول مجيئهم ديراً صغيراً في قصبة اهدن فرأى عبدالله قرألي احداثها متشردين اميين فاشفق على الذكاء الفطري الكابت وجمعهم في مدرسة يلقنهم مبادىء القراءة والكتابة بالعربية والسريانية مع الحساب والاناشيد الكنائسية والادبية . ولما لم يكن الدير الصغير يسعهم اختار لمدرسته شجرة جوز عظيمة قريبة منه . فاستعاض عن السقف بظلال اغصانها النضرة ، وعن المقاعد الخشبية بالاحجار وعن اللوحات المدرسية بمناظر الطبيعة الفتانة . وكان يتقدمهم الى كنيسة الدير ليقوموا بالرتب والالحان الكنائسية فيسحروا الالباب بهيئاتهم واصواتهم الملائكية .

وغارت من اهدن قصبة بشري فقدمت للحلبيين ديرها مار اليشع في وادي قديشا مع مبلغ من المال ومقدار من الاوقاف الخاصة به لقاء تعليم اولادها . واخذت القرى اللبنانية تتسابق في هذا المضمار

مقدمة الى الرهبانية الحديثة اديارها املا في تثقيف اولادها . فانضم اليها ديرا مار يوحنا ومار انطونيوس صير في رشميا ودير اللويزة في ساحل كسروان ودير مشموشة في الشوف ودير مار الياس في بكفيا ودير مار انطونيوس النبع في بيت شباب وغيرها .

ولما تولى القس عبدالله قرألي رئاسة الرهبانية اللبنانية فرض على كلّ دير ان يلحق به مدرسة اولية مجانية ، وعلى كل راهب يخدم كنيسة ان يقيم معهداً للعلم في ظلها او تحت ظل سندياتها او صنوبرتها جارة كل كنيسة في لبنان . وواصل جهوده في نشر المدارس الاولية بعد ان اقيم مطراناً على بيروت . فتمكن في مدة حياته ان ينشيء في لبنان المسيحي اثنتين وسبعين مدرسة مجانية قروية على طراز مدرسته في اهدن . فكانت مدرسة السنديانة التي يفاخر بها لبنان كل الاقطار العربية ، لانها جعلت نسبة المتعلمين فيه ٩٠ في المئة . وهي نسبة تحسده عليها ارقى بلدان العالم ثقافة .

والكل يعلم كيف اكتظ لبنان بالمدارس والكليات، حتى اصبح اكبر منحلة علمية في الشرق ، والقسط الكبير الذي كان للموارنة في نهضة الشرق الحاضرة في جميع فروع الانتاج الفكري .

فلولا الموارنة لما وصلت الثقافة في الشرق الى ما وصلت اليه اليوم، ولما كانت الكثلكة في الشرق ، ولما كانت الجمهورية اللبنانية .

بكركي في ٣٠ تشرين الاول ١٩٤٨

١٠ - آل المشروقي

لقد احسنت ادارة جريدة البيرق تدبيراً باقفال باب المناظرة حول كتاب اصدق ما كان لحضرة الفيكنت فيليب دي طرازي . فقد وفيتا الموضوع حقه بحثاً ، ولم نجد في ردود حضرته الا ترديداً وتنديداً وتهديداً . بيد ان ملاحظته المنشورة في بيرق ٢٩ تشرين الثاني المنصرم بصدد مقتل اولاد يوسف خاطر المشروقي سنة ١٦١٣ ، وقد سعى في قتلهم المقدم شلهوب ابو عاشينا لمزاحمتهم اياه على المقدمية ، لعلها تترك

بعض الشك في قولنا عن انقراض ذرية يوسف خاطر بمقتل اولاده . لان حضرة مناظرنا استند هذه المرة الى نص الدويهي المطبوع سنة ١٨٩٠، الذي لم يذكر سوى مقتل ثلاثة من اولاد يوسف خاطر . واستنتج من سكوته عن اخيهم الرابع جرجس انه بقي حياً ، واصبح بالتالي جداً لاسر السمعاني وعواد ومسعد، الحاج ومطر الحصرونية .

على ان حضرة الفيكنت لم يفسر لنا العبارة المبهمة المشوّهة التي اوردها عن الصفحة ١٩٣ وهذا نصها « وقبض ايضاً على المقـدم شلهوب واخيه جرجس وغرّقه عند راس النهر في المدينة (اي طرابلس) ولم يزل شلهوب مقدماً على الجبة الى ان قتل » .

فاللبيب يدرك بلا عناء ان في هذا النص المطبوع تشوهاً اخرج العبارة عن معناها المقصود . اولاً لانه جعل جرجس اخاً لشلهوب، مع انه الاخ الرابع لاولاد يوسف خاطر المغدورين . ثانياً لانه يبقي شلهوب بعـد قتله مقدماً على جبة بشري . ثالثاً لانه يقتله مرتين . رابعاً لانه يجعل شلهوب مقبوضاً عليه ، مع انه الساعي للقبض على مزاحمه . خامساً لانه يقول «غرّقه» بصيغة المفرد مع انه يعني شلهوب واخاه .

كل هذه الاعتبارات توجب على من يشتغل في التاريخ برصانة ونزاهة ان يشك في صحة النص المطبوع ويرجع الى الاصيل . وحضرة الفيكنت قد صرح لنا اكثر من مرة في ردوده انه يعتمد في مراجع الدويهي على نسخة مخطوطة يملكها . فما باله قد انحرف هنا عن هـذه الخطة الامينة . ولعله نبذ النص الاصيل لانه لا يوافق مرامه . ومع ذلك فحضرته لم يتورع عن اتهامنا بتحريف نص الدويهي . بل اخذ يهلّل ويكبر لاكتشافه المزيّف ، كأنه أوتي علينا نصراً مبيناً . فاذا به ينادينا بهزّة الاغتباط والشماتة « الى اين المفر يا حضرة الخوري بولس قرألي » .

فالمفرّ يا حضرة المؤرخ الدقيق هو في الرجوع الى النص الاصيل. وقد اخذناه عن الورقة ١٢٦ من النسخة الاصلية المحفوظة في مكتبة

الفاتيكان تحت الرقم ٢١٥ من مخطوطاتها السريانية . فالدويهي بعد ان يذكر فيها مقتل رعد، ثم مقتل اخويه نعمه وداود يردف بما حرفه «وقبض ايضاً المقدم شلهوب على اخيهما جرجس فغرّقه في الماء عند راس النهر في طرابلس . وما زال (شلهوب) متقدماً على الجبة حتى السنة ١٦٢٠ التي دخل فيها الامير فخر الدين مدينة طرابلوس وعزل منها يوسف سيفا».

فشلهوب لم يُقبض عليه ولم يُقتل كما توهم فقرة النص المطبوع المشوّهة، بل هو الذي قبض على جرجس الاخ الرابع لاولاد يوسف خاطر المشروقي وغرقه في النهر . فكيف تستبقيه حياً لتنسل منه ما شئت من الامر الحدرونية وتعيدها الى اصل يعقوبي، هدفك المحبوب في كل فصول كتابك . وكيف يجوز لك ان تستعين بالنص المشوّه لاتهامنا بالتحريف والشماتة فينا .

وتحرش حضرة الفيكنت بامرتنا بعد ان عفا عنها، تحرشه بجميع الامر المارونية، التي اقام نفسه عليها قاضياً اعلى . فزعم ان «اسمها الحقيقي «قره علي» اي علي الاسود وانها من اصل مغولي او كردي او تركي لا يمتّ بادنى صلة الى الطائفة السريانية المارونية بخلاف الطائفة اليعقوبية التي تعد شقيقة للطائفة المارونية» .

ونحن نلاحظ على هذا الادعاء الجديد اولاً تسمية الطائفة السريانية المنوفيزيتية باليعقوبية، مع انه غضب علينا غضبة مضربة لاستعمالنا هذا الاسم . ثانياً انه ابى ان يولّي امرتنا شرف التحدر من اجداده اليعاقبة مع ان مخرجها من قرية حدشيت التي جعلها «ابرشية يعقوبية زاهرة» . ثالثاً نصارحه بانه سيان عندنا ان يكون جد امرتنا الاعلى مغولي مثل جنجيزخان، الذى دوّخ الشرق، وقال عنه الدويهي انه كان نصرانياً . ام كردياً مثل السلطان صلاح الدين الايوبي، موحّد الدول الاسلامية وقاهر الصليبيين . ام تركياً مثل السلطان سليم الغازي فاتح سوريا وقاهر الملوك المماليك وحليف الامير فخر الدين الاول . فقد يكون ذلك صحيحاً وقد لا يكون . لان ليس لدينا

ولديه ما يؤيده او ينفيه . ولا نريد ركوب الشطط الذي ركبه في تحدير الاسر من المخيلة . وكفانا ان تكون اسرتنا معروفة ، منذ اربعماية سنة ونيف ، بمارونيتها ولبنانيتها ووجاهتها .

وهب ان جد اسرتنا كان مغولياً ام كردياً ام تركياً فنحن نفضل ان يكون خارجاً من هؤلاء على ان يكون يعقوبياً خارجاً على امه الكنيسة ، قايينياً قاتلاً لاخوته ، ملطخاً يديه بدم الابرياء من رهبان وعزّل ونساء واطفال . لاحقاً بمطران سفاك الدما كبطرس الآفامي ، وببطريرك مجرم كساويرا السفاح .

١١ – رد العسف والبهتان عن كتاب اصدق ماكان

هذا عنوان مجلد ثالث الحقه اخيراً حضرة الفيكنت بكتابه الشهير. طالعناه فألفيناه نسخة طبق الاصل لما نشره في جريدة البيرق ردّاً علينا فالنغمة هي هي . والسفاسف هي هي . والشتائم هي هي . انما جاد بها هذه المرة وسخا وجعلها عناوين لفصول مجلده . ولم يأت بجديد

١ – المطران ديوسقورس ضو – لاحظنا في الصفحة ٤٠ انه ثابر على اتهامنا بالتعدي على حرمة المطران ديوسقورس ضو اليعقوبي ورهبانه . بالرغم من شهادة اصحاب البيرق بسقوط لم الجازمة في اثناء التنضيد . وهذا دليل آخر على سلامة ضميره ونيته واستهتاره بالقراء علهم نسوا ردّنا عليه .

٢ – كتاب جامع الحجج الراهنة في ابطال دعاوى الموارنة – وعاد في الصفحة عينها يتنصل من اشتراكه هو والبطريرك رحماني في نشر كتاب المطران يوسف داود استاذه . وختم انكاره بهذا البرهان موجهاً كلامه الينا « فاذا استطعت اثبات ما نسبته الينا من طبع هذا الكتاب فنحن مستعدون لمكافأتك بمبلغ لا يقل عن الالف ليرة لبنانية توزعها على المحتاجين بحسب معرفتك وضميرك » .

وفي الصفحة ١١٢ رأى ان يتوسع في الموضوع عينه فكتب .

« لقد كذب الخوري بولس قره علي كذلك بزعمه اننا نحن والبطريرك

اغناطيوس افرام رحماني نشرنا بالطبع كتاب « جامع الحجج الراهنة ». فهذا كله ليس الا افكاً وبهتاناً . وما نقوله عن انفسنا نقوله ايضا عن بطريركنا رحماني المغبوط . فقد كان يجهل تمام الجهل امر طبع الكتاب المشار اليه . فهذه اذاً كذبة اخرى الصقها الخوري بولس ببطريركنا ... ولكي يطمأن باله من هذا القبيل نفيده ان ناشر الكتاب ليس البطريرك المشار اليه ولا نحن . بل هو السيد يوسف ليان سركيس. ومن المؤكد ان الخوري بولس ويوسف ليان سركيس عاشا كلاهما السنين الطوال جنباً الى جنب في مدينة القاهرة حيث طبع الكتاب في خمسة الاف نسخة » .

فنحن نوافق حضرة الفيكنت على ان يوسف ليان سركيس اشرف على طبع الكتاب، انما بايعاز حضرته وبطريركه وعلى نفقتهما . فحوالي السنة ١٩٠٧ او ١٩٠٨ حين مرورهما بالقطر المصري في طريقهما الى رومية ، استدعياه وسلما اليه مسودة الكتاب وكلفاه طبعه . ونقده الفيكنت ٦٢ ليرة ذهباً يداً بيد ، ثمناً لاكلاف الكتاب .

وكان رحمه الله صديقاً لنا وللمطران يوسف دريان النائب البطريركي الماروني على القطر المصري ، فاطلعنا على المؤامرة التي دبراها على طائفتنا وكان اذا طبع كراساً بعث به الى المطران دريان ليعدّ الرد عليه حتى اذا انتهى من طبعه كان المطران دريان قد انتهى من تحبير الرد عليه في كتابه « لباب البراهين » الذي نشره سنة ١٩١٣ في مطبعة المعارف بالقاهرة . على ان يوسف ليان سركيس قد اهمل ذكر المطبعة نزولاً على رغبة مسدّدي اكلاف الكتاب .

لقد ذكرناك يا حضرة الفيكنت بجميع هذه الاسرار التي حامت حول نشر الكتاب رجماً الوهان . فتكرم بتسليم المبلغ الى جمعية طائفتك الخيرية لتوزعها بمعرفتها على المحتاجين من ابنائها . واذا حاولت ان تنكر فتحرم الفقراء المبلغ ، ظناً منك بان هذه اسرار يسهل عليك انكارها ، فنحن نأتيك بادلة كتابية لا يسعك التملص منها فانك والبطريرك رحماني لم تكتفيا بتسديد نفقات الكتاب بل شاركتما

واضعه في التعليق دعماً لاقواله . فذيلنا كتابه بحواش تنطق بافكار كما المعروفة ، واضفنا اليه ملحقاً لوثائق غابت عنه شغل الصفحات ٤٨٩-٥٣٦ منه .

فقد ادعى المطران يوسف داود بان الموارنة كانوا يعاقبة . ومن دلائل يعقوبيتهم رتبهم وليترجيتهم اليعقوبية . منها ثلاث عشر نافورة يعقوبية ظهرت في كتبهم . واخصها ثلاث نافورات ادرجت في طبعة قداسهم الاولى . فعارض البطريرك رحماني هذا الراي في حاشية ذيل بها الصفحة ١٦٠ فقال « ان النافورات الثلاث الموجودة في كتاب الموارنة لم يكن اصلها من اليعاقبة . وهي المنسوبة الى مار بطرس فهي الاصلية القديمة التي كان يستعملها الموارنة ... وهي التي كانت تستعمل يوماً في الكنيسة الانطاكية قبل شقاق اليعاقبة » . هذه الفكرة قد توسع بها البطريرك رحماني وشرحها شرحاً وافياً في الصفحات ٤٠٧ – ٤٣٣ من كتابه « المباحث الجلية في الليترجيات الشرقية والغربية » ، الذي نشره سنة ١٩٢٤ .

ناهيك ان اغلب موادّ الملحق هي من قلمه ، لاسيما ما خص منها الرتب المارونية القديمة . دوّنها في الصفحات ٣٩٠ ، ٤٠١ ، ٤١١ ، ٤٥٠ و ٤٩٦ من الحجج الراهنة . وجميعها واردة باسهاب في كتابه الليترجيات المذكور ، فهي اذن بنات افكاره ونتيجة مباحثه .

هذا كافٍ يا حضرة الفيكنت ، لاثبات قولنا ، ولربح الرهان لفقراء طائفتك . وبما اننا دعمنا قولنا بادلة لا تقبل تمحكاً فعليك ان تدعم تبرعك ببعض الزيادة .

٣ – رسالة الكردينال تبوني – وقد نشر حضرة الفيكنت في مجلده هذا رسالة تقريظ نفحه بها نيافته . انما وجدناها خالية من التاريخ . وعلمنا من مصدر موثوق به ان تاريخها سابق بعشر سنين لتاريخ نشرها . وقد اكد لنا هذا المصدر ان نيافته كتبها قبل ان يلم بحقيقة ما انطوى عليه الكتاب . وعندما علم بحقيقة امره اشار على الفيكنت بالاقلاع عن نشره . فلم ينتصح . وكان آل ابراهمشاه في القطر المصري قد وعدوا

الفيكنت بتقديم اكلاف النشر ، فمدلوا نزولاً عند ايعاز نيافته وسيادة المطران حيقاري . فغضب الفيكنت غضبته المشهورة وانتقم منهما بالنشرات البذيئة ، التي ما زال يذيعها طعناً في آدابها . وبعد ذلك يتهمنا حضرته بالتشهير والبذاءة .

٤ – عناوين الفصول – وظن انه يقضي علينا القضاء المبرم اذا هو سجل شتائمه في كتاب . فجعل هذه الشتائم عناوين لمجلده الثالث . واليك نماذج منها :

« تحريف الخوري قرألي . رد كيده الى نحره . بذاءته . كذبه شططه . قلة احترامه للعزة الالهية . تجاوزه حدود اللياقة . قلة امانته . خروجه عن خطة اللياقة والتهذيب . يهدف بما لا يعرف . التزويد والتمويه والكذب في اقوال قرألي . اقـــدامه على نشر عبارات لا تتناسب وثوبه الكهنوتي . قرألي يستهزىء بالمعابد . اعتداؤه على الكرامات وتحرشاته العديمة الذوق والمنافية الحقيقة . تحرشه بالاسر المارونية وبالملة السريانية اليعقوبية . توبيخ قرألي وتقريعه . قلمه مسموم ملطوخ بالعداء والضغينة وروح الانتقام . هذيانه وضياع صوابه . اسرة قره علي وتحدرها من محتد تتري مغولي » . الى ما شاكل ذلك .

والمضحك من امر حضرة الفيكنت انه بعد ان انهال علينا بهذه الشتائم قد وضع لاحد فصول كتابه الجديد العنوان التالي :

« مقابلتنا شتائم قره علي باللطف والمجاملة »

فما رأي قرائنا في رجل يعتبر شتائمه « لطفاً ومجاملة »

اما نحن فيعزّ علينا – وايم الحق – ان ينتهي هذا الشيخ ، بعد جهاد طويل في سبيل العلم والتاريخ ، الى هذه الدرجة من الانحطـــاط في الاخلاق .

القسم الخامس

اراء القراء

على اثر ظهور المقالات الاولى من نقدنا لكتاب حضرة الفيكنت وردت علينا عدة رسائل تأييد وثناء وتشجيع ، لا يسعنا نشرها لكثرتها ، وخشية ان يرتاب احد في صحة نصوصها ، لانها مخطوطة ومحفوظة لدينا . فنكتفي هنا بشكر اصحابها على حسن ظنهم بنا ، ونقتصر على اربع شهادات نشرت في جريدة البيرق عينها ، وعلى خامسة نشرت في مجلة المنارة :

١ـ الاب توماجان

لما نشرنا في جريدة البيرق كلمتنا الاولى في الابرشيات اليعقوبية بلبنان ، وتلقينا من حضرة الفيكنت ذلك الجواب القاسي ، ظهرت في الجريدة عينها في عدد ٣٠ آب ١٩٤٨ كلمة لحضرة الاب توماجان ، السرياني الكاثوليكي ، الدكتور في العلوم الشرقية تحت عنوان « الحقيقة شيء والاشخاص والطوائف شيء آخر » ، حاول فيها حضرته الدفاع عن الفيكنت ابن جلدته ، وانحى باللائمة على الذين حملوا عليه . وخص باللوم حضرة الاب اغناطيوس طنوس . ثم اردف يقول ما حرفه :

« وبعد ذلك نهض حضرة الخورفسقفوس بولس قرألي واظهر مقدرة انتقادية نادرة تستوجب الثناء . فانه استرعى الانتباه الى بعض مغالط وخلط في المستندات التاريخية . فشكرنا حضرة العلامة الجليل وتمنينا لو اخذ سعادة الفيكنت هذه الملاحظات بعين الاعتبار في الكتاب الجديد الذي وعدنا بنشره . كما ان لدينا معلومات اخرى سندلي بها الى سعادته وليس هنا مجال لذكرها » .

وقراء البيرق يعرفون كيف عمل حضرة الفيكنت بنصيحة كاهنه. فانه زاد لنا الكيل في الشتائم والتهم الباطلة.

٢ - الاب اغناطيوس طنوس

فرد عليه الاب اغناطيوس طنوس الخوري في عدد ٧ ايلول رداً طويلاً تحت عنوان:

الكتاب الطرازي الجديد ايضاً وايضاً. دفاع الاب توماجان «الدكتور في العلوم الشرقية» عنه وعن مؤلفه غير موفق. ليته لم يخض هذا الغمار فزاد الطين بلة!

ونحن نكتفي من هذا الرد بما يلي:

لقد طلع علينا «مؤخراً!» حضرة الخوري حنا توماجان السرياني، «الدكتور في العلوم الشرقية» بالدفاع عن الكتاب «الطرازي الشهير» متطوعاً لهذه «المهمة العزيزة» عن منتهى الغيرة والحمية، وقد اعياه السبيل الى مقصده هذا فجاء مقاله ويا للاسف، على غير النتيجة التي ارادها.

وقد اطلع القراء الكرام، في «بيرق» الاثنين ٣٠ آب الاخير، على مقال «دكتورنا» هذا فقرأوا فيه: ان الكتاب الطرازي «لا تنكر قيمته التاريخية والعلمية، وان كان لا يخلو من بعض النواقص... وتناولته الاقلام المارونية بالثناء حيناً وبالنقد والذم احياناً...»

فلو كان حضرته تروى في مضامين الكتاب وتبصر في تفنيدات العلامة قرألي لدعائمه واسسه الجوهرية، اذاً لكان رأى بعده الشاسع عن تلك «القيمة التاريخية والعلمية» التي اراد الصاقها به، ولكان تثبت مع الرأي العام المنور ما ينوء به ذلك الكتاب في التحريف والتزوير والخلط والتضليل، بنقل كراسي الابرشيات اليعقوبية مثلاً، وسلاسل اساقفتها من بلاد السريان الى جبل لبنان!، وباستقاء معلوماته من ادعياء البحث والتاريخ المتطفلين.

وقد لفتنا اكثر من مرة - نحن وحضرة صديقنا البحاثة الجليل

الخوري اسطفان البشعلاني – نظر الاستاذ طرازي الى هـــذا الخلط والتضليل .

ولكن ما ظهر الكتاب مطبوعاً ، واطلعنا فيه على ما كنا قد ابديناه للمؤلف من رأي وملاحظة ، فاذا به قد ضرب بذلك وبكثير من امثاله عرض الحائط ، وابى الا التشبث والاستقلال بما اراد من استنتاجات الوهم والخيال !!

على اننا لسنا اول من حاول – على غير جدوى – ردع الفيكنت طرازي عن امثال ذلك ، بل ان حضرة صديقنا العلامة الخوراسقف اسحق ارملة السرياني قد مني نظيرنا بالفشل لدى الفيكنت . فاني قصدت حضرته خصيصاً للومه على ممالأة الفيكنت ومشايعته في تلك التزويرات والاختلافات : كنقل الكراسي اليعقوبية واساقفتها الى لبنان ، وانتحال الاصل اليعقوبي للاسر المارونية ، الكاثوليكية صرفاً واصلاً ، ولاسيما ان حضرته هو مؤلف المعظم الساحق من الكتاب الطرازي بمجلديه ، كما كنا نشاهده بفعل ، ومحرره كله بخط يده «اليسرى» ، وذلك لجهل الاستاذ طرازي اللغة السريانية اولاً ، ولان معظم كتابه هذا مستقى من ينابيع سريانية استقاء محرفاً مزوراً ، كما اثبت العلامة قرألي ولعجزه ثانياً عن الكتابة بيده المرتجفة من كثرة الشيخوخة والعمل ...

واكد لنا حضرة العلامة ارملة ، بكل اخلاص ، انه براء من كل تلك التزويرات ، وانه طالما نصح صديقه الطرازي بالارعواء عنهـــا ، وانبأه بسوء مغبتها ، فما صادف عنده الا العناد والمكابرة ، مما اضطره الى الانسحاب من مساعدته في « مشروعه التضليلي » ومقاطعته نهائياً الى ما شاء الله . وعلى هذا النمط رفض المؤلف الطرازي الانصياع ايضاً لاوامر رؤسائه بفحص كتابه هذا وتمحيص مضامينه على ضوء الحق والبرهان ، على ما اكدت « الشراع » الغراء بايعاز خاص من رؤساء السريان الاجلاء ، واثبتنا تأكيدها هذا في مقال سابق ... اذاً على نور هذه الحقائق تظهر جلياً « القيمة التاريخية العلمية » التي ادعاها حضرة « الدكتور » الاب توماجان الكتاب الطرازي !

بيد اننا نشكر هذا الدكتور الفاضل على اعترافه بان هذا الكتاب «لا يخلو من بعض النواقص» . ولو كان لبقاً لاستدرك براهين العلامة قرألي القاطعة التي لا تقبل رداً ، وحتى الان لم يستطع اي احد ان يرد اي واحد منها ، ولكان رأى على نور هذه البراهين ، مع اهل النور والنزاهة ، ان الكتاب الطرازي ليس انه حاوٍ «بعض النواقص» فحسب ، بل هو مجموعة كلها نواقص ومعايب وكتلة من الاضاليل والاخلاط .. !! قبح الله الغرض والتحيز ، كم يمنيان الابصار بالعمى ، والالباب بالتواء النيات !

اما « الاقلام المارونية التي تناولت الكتاب الطرازي « بالثناء احياناً» فهي غير التي درسته ومحصته ، وما اضطرها الى ذلك «الثناء المفتعل» الا النزول عند « الترجيات الملحة والاجور المغرية .. »

اما التي تناولته « بالنقد والذم احياناً » فهي العاملة بشرع العلم والبرهان ، والمنطق والشرف ، والصدق والامان . وعلى اشعاع تلك الدروس المبرهنة، سطعت «المنزلة السامية التي يحتلها الفيكنت دي طرازي في عالم التاريخ والعلم واهمية النظريات التي عالجها ، والحقائق الجديدة التي اكتشفها في كتابه .. » كما ادعى محاميه الدكتور توماجان !! لعمري ، هل اعظم من تلك « الاكتشافات الطرازية » وقد اجترحها مبتدعها « عجائب عجاب » تفوق بها على قوة السلطان البابوي ، فنقل ، بضربة قلم ، الاسقفيات اليعقوبية من دنيا السريان الارثقية ، الى دنيا لبنان المارونية الكاثوليكية !! ...

٣ - الياس سمعان خاطر

ونشر حضرة الاديب خليل ملحم ابي صعب منصور ، المنتمي الى اسرة غانم ، كلمة تبرأ فيها مما عزاه اليه الفيكنت بصدد غسانية موسى غانم جدّ الاسرة . والحقها بمقالة عن المطران جبرائيل ابن القلاعي اللحفدي عارض فيها رأيه في يعقبة الموارنة . وفي عدد البيرق الصادر في ١٣ كانون الاول نشر مقالاً آخر بعنوان « الدسائس على الطائفة

المارونية اسماء الذين تبعوا الضلال اليعقوبي » . وبما اخذه على الفيكنت ادعاؤه بان جد آل الرزي كان يعقوبياً .

وفي عدد ١٥ تشرين الاول من البيرق ظهر مقال رصين لحضرة الاديب الياس سمعان خاطر . اليك عنوانه ونصه الكامل :

رد على السيد نصري لحود

حقائق يجب الانتباه لها

حين البحث في تواريخ الاسر

لم يسبق لي شرف التعرف شخصياً بحضرة العالم الاب بولس قرألي، على اني اعرف السيد نصري لحود والفيكنت طرازي ، الاول عندما كان مديراً للتموين والثاني اميناً لدار الكتب الوطنية واكنّ لهما كل تقدير لسنهما ولاطلاعهما ، ولست اريد في مقالتي هذه التعرض لاحد وانما ايراد بعض الآراء التي تهم الجميع في المجادلة الحامية الوطيس في موضع مرتبط بتاريخ المارونية خاصة « ولبنان عامة »

لقد قرأت في « البيرق » الاغر عدد ٢٥ تشرين المنصرم مقالة السيد نصري لحود تعليقاً على آراء الفيكنت طرازي ورداً على الاب قرألي. فاذا بها تزيد وطيس المجادلة حدة وتزكي نارها اشتعالاً . وان كنت آخذ شيئاً على السيد نصري لحود فهو قوله « ان المناظرة خرجت عن الآداب وحدود المنطق الى الحدة والشتم والسباب والتهكم ... » واذا به يقع في الخطأ الذي يلوم غيره عليه بتهكمه على الاب قرألي وبتحريفه اسم عائلته (قره علي) وبتهجمه عليه شخصياً بتعريفه الجهل ودرجاته من « بسيط الى مربع الى مكعب الى ... » ولا ادري من اين استقاها . وكنا نود في محاورة ادبية تاريخية علمية الا تتطور الى هذا الحد والا يصح ايضاً في السيد لحود قول الشاعر : « لا تنهَ عن خلق وتأتِ بمثله ... »

ثم يقول السيد لحود انه «لا يدعي التحدر من نسل الملوك واتباعهم» وانه لم يجرب في كراسته عن تاريخ آل ضو الانتساب «لعظماء الارض» وانه ديموقراطي وان اسرته اول من مد يده الى « ارائك الزعامة

الاقطاعية في المتن فدكها » ... وانا اجيب حضرته انه يحاول ان ينشيء بدلاً من تلك الزعامة البائدة زعامة اقطاعية ثانية تقوم على انقاض الاولى وهي اشد منها ضرراً اذ اساسها الحزبية العائلية المنتمية كل منها الى جد مزعوم تجزيء البلاد ، بلادي لبنان الذي لم تكفه انقساماته الداخلية ، الى اسر وعشائر وقبائل كل منها يتغنى بتسلسل اجداده والمباهاة بامجادهم ، والمعروف عن الشرقي انه ميال بطبعه الى الخيلاء والمباهاة ، فنرجع الى الاجيال الوسطى ، الى عهد القحطاني والعدناني، الى عهد القيسي واليمني ، الى المفاخرة بالانساب وعصبياتها التي كانت ولم تزل سبباً من الاسباب الاولى في انقسام العروبة في مختلف امصارها.

لا تقل اصلي وفصلي ابداً   انما اصل الفتى ما قد حصل

ويقول حضرة السيد لحود « اعرف حضرة الفيكنت طرازي الكاتب العالم واحترمه وهو صديق علي عزيز » وانا اخشى ان تكون الصداقة بينهما كبعض الصداقة القائمة بين الفيكنت « وبعض اصدقائه » اذ تحامل السيد نصري لحود على الفيكنت في مقاله ... ومع ذلك فاني اقول انه طبيعي بل غريزي وخاصة في الشرقي ان يحاول الانتساب الى اسرة متشعبة كثيرة العدد ، ذات نفوذ ووجاهة . ولذا نرى محاولي البحث في تاريخ الاسر ينسبون الى اجدادهم كل عظيم ويحاولون تبيان صلة نسب بينهم وبين عائلات كثيرة . ومن جهة ثانية فانه من المعروف ان اسماء الاسر التي تدل على مهنة او حرفة لا تدل على عائلة ذات فرع واحد كخوري ونجار ولحام وضو وخلافها . وكذلك الاسماء التي على نسبة جغرافية كبيروتي وشامي وحلبي ، كما ان اسماء الكنية ايضاً لا تدل على عائلات تنحدر دائماً من جد واحد كاسم نعمه وسعد وسعاده ويوسف اذ تطلق الآن على عائلات وكانت قديماً اسماء كنية شائعة كثيراً تطلق على فرد من الناس كقولك الآن (جورج ومحمد وعزالدين) وقد تطورت فيما بعد الى اطلاقها على عائلات . فيحصل مثلاً ان يكون شخص اسمه نعمه عائشاً في القرن السادس عشر وأطلق اسمه كعنوان اسرة على ابنائه واحفاده ، الساكنين في شمالي البلاد ، ثم شخص آخر

ثان اسمه نعمه ويعيش في القرن الخامس عشر ، في جنوبي البلاد ، ويطلق اسمه ايضاً على احفاده ... وانك لتجد ان اسماء الكنية والمهنة هذه تطلق على عائلات من السنة والشيعة والدروز والموارنة والارثوذكس وبقية الطوائف في لبنان وسوريا ومصر والعراق ايضاً . فهل هذا يدل على صلة نسب بين كل هؤلاء ، وهل كل الذي يحملون اسم « نعمه وسعد وسعاده وشامي وخوري ولحام وضو الخ ... » اقرباء في البلدان وبين الطوائف المذكورة اعلاه ؟ !

لنرجع الى المنطق ولنحكمه بدلاً من تحكيم العاطفة وبدلا من حب المباهاة والغرور فنجد ان كثيراً من اسماء الاسر الشائعة الآن كانت قديماً اسماء كنية لاشخاص معينين او اسماء تدل على الانتساب الى اسم الاب والجد . كأن يقال يوسف ضو بدلا من ان يقال سابقاً يوسف بن حنا بن مخايل بن نعمه بن ضو ... وبهذه المناسبة ارجو من السيد نصري لحود ان يبرهن لي كون جده المدعو « ضو » لم يكن يتعاطى مهنة مرتبطة او متعلقة بالضو كاصلاح القناديل او بيعها او المتاجرة بها في لبنان او انه لم يأتِ من شمال سوريا حيث توجد اسماء « ضو » كثيرة كما يقول حضرة الاب قرألي وكما اعرف شخصياً . وهل هؤلاء السوريون لا يمتون اليه بنسب ؟ ؟ ..

نعم نحن ندري السبب في هذه العنعنات العائلية الاقطاعية التي تبرز اخيراً في محاولة خلق روابط قربى ونسب لا تقوم الا على مصالح شخصية وندري السبب الذي دفع بالسيد نصري لحود وغيره الى وضع شجرة عائلية عمرها ٧٠٠ سنة واكثر محاولا ان يضم اليها ما استطاع من الاسماء ليخلق كتلة عائلية تسير لغاية حزبية انتخابية نحو هدف معين يضم اكبر عدد ممكن من الاشخاص الى مرشح واحد. واتمنى في الختام ان يقوم بيننا في الشرق علماء يتناقشون في مسائل الكهرباء والكيميا والذرة بدلا من التناقش في اصول الاسر القائمة على التكهنات والبراهين السطحية والضائعة حقائقها في بطون التاريخ. والسلام على من اتبع الهدى.

بيروت ٣ - ١١ - ١٩٤٨ — الياس سمعان خاطر

٤ ـ اصحاب البيرق

اما اصحاب البيرق فقد جاهدوا في التزام الحياد ، لئلا يُنسب اليهم التحيز في الباب الحر الذي فتحوه لهذا البحث . على انهم لم يتمالكوا من اظهار تأييدهم بطريقة لا يسع الفيكنت لومهم عليها .

فاول مقال بعثنا به اليهم اثار حماستهم فتوّجوه في عدد الاثنين ٢٦ تموز سنة ١٩٤٨ برسم امرأة تمثل الحقيقة التاريخية وتحفرها بازميل على رخامة . وبعد ان اثبتوا العنوان الذي وضعناه له « اصدق ما كتب في تاريخ لبنان » ، الحقوه بعناوين ضخمة لفتاً لانظار القراء « علماؤنا يردون على الفيكنت طرازي . الفيكنت يحرف التاريخ وينقل حدث بابل الى لبنان . ويغالط حول جونيه والكنيسي » .

فكتبنا اليهم نرجوهم ان يقتصروا في نشر مقالاتنا على العنوان الذي اخترناه لها ، لئلا تنسب الينا رغبة الاستفزاز والتطبيل . فنزلوا عند سؤالنا وصدّروا في عدد ٨ آب سنة ١٩٤٨ مقالنا بهذا التنبيه « نلفت انظار القراء الى ان العناوين التي تُوّج بها المقال الاول لحضرة الاب بولس قرألي في هذا « البيرق » هي من وضع قلم التحرير وليست لحضرته . واننا نشير الى هذا الامر بطيبة خاطر نزولاً عند طلبه . وحضرته لم يضع لمقاله الا عنواناً واحداً هو نفس الموضوع فوق هذا المقال الحاضر » .

وكنا في اول تشرين الاول ١٩٤٨ بعثنا اليهم بمقال لم ينشروا في عدد الاثنين الممتاز سوى نصفه . فتريثنا في ارسال المقال التالي . بيد انهم نشروا بقيته في عدد الاربعا . فتأخر وصول مقالنا اللاحق وظهر عدد ١٨ تشرين الاول خالياً منه . فكتبوا في المكان المخصص لمقالاتنا ما يلي :

تأخر مقالات الخوراسقف قرالي يحرم منها قراءنا في هذا العدد

يصدر هذا العدد من « البيرق » خالياً ، للمرة الاولى ، في هذا الحقل ، من النفائس الرصينة البليغة التي تدبجها يراعة حضرة العلامة

الجليل الخوراسقف بولس قرألي اظهاراً للحقائق التاريخية . وانا نأسف اشد الاسف لذلك ، خصوصاً ونحن نعرف لهفة جمهرة قراء « البيرق » لمتابعة هذه المباحث .

« ولكننا ، خلافاً لما تعودناه ، لم نتلقّ اي بحث في الموعد المعين ، اي حتى بعد ظهر السبت . ونحب ان نعتقد ان المانع له علاقة بالمواصلات وصعوباتها في بعض الاحيان . وعليه ، فنحن نعد قراءنا باننا سنوالي نشر مقالات الخوراسقف قرألي حالما نتلقاها ، مطالبين صديقنا العلامة بالتكرم بمواصلة امداد « البيرق » بها فلا يحرم جمهور قرائنا وقرائه متابعة البحث . ونعود فنكرر اعتذارنا للقراء الكرام عن نقص لا يد لنا فيه » .

وقبل عودتنا الى القطر المصري رأينا ان نتعرف اليهم ونشكرهم على افساح صدر جريدتهم لمقالاتنا . فرحبوا بنا الترحيب كله وشكروا لنا تخصيص جريدتهم بهذه المقالات . واكدوا لنا انها لقيت استحساناً عاماً ورواجاً كبيراً حتى ان الطلبات كانت تنهال عليهم من كل جهة للحصول على اعداد الاثنين وكان الجمهور يتخاطفها من ايدي الباعة . فاضطروا ان يطبعوا من هذا العدد ثلاثة او اربعة اضعاف المعتاد . وكانت تنفد كلها ولم يعد عندهم منها سوى عدد واحد احتفظوا به لمجموعة الجريدة . ولما ودعناهم اجابونا بانهم سيقصدون حتى المطار لتوديعنا مع وفد من المعجبين . فرجوناهم العدول عن هذه المظاهرة وهذه المشقة . فطلبوا منا رسمنا . فاعتذرنا . على انهم تحصلوا على رسم صغير استخدمناه لتذكرة السفر كنا سلمناه لاحد اصدقائنا ليلصقه على شهادة . ولما نزلنا من بكركي يوم الاثنين اول تشرين الثاني لنستقل الطائرة الى مصر وجدنا رسمنا منشوراً في صدر عدد البيرق وتحته هذه الكلمة :

« ننشر فوق هذا الكلام رسم العالم العلامة والمؤرخ المدقق سيادة المونسنيور بولس قرألي صاحب الابحاث القيمة التي يتتبعها القراء على صفحات البيرق منذ زهاء ثلاثة اشهر . وقد سافر سيادته صباح اليوم

الاثنين الى القاهرة لقضاء فصل الشتاء فيها . رافقته السلامة في الحل والترحال » .

ولما عدنا الى لبنان في اواسط ايار ١٩٤٩ لم يتسع لنا الوقت لزيارتهم . فلم يعلموا بقدومنا إلا بعد اسبوع . فاذا بهم ينشرون رسمنا في عدد ٢٥ من الشهر المذكور وعنواناً باحرف ضخمة « وصول الخوراسقف بولس قرألي » . ثم هذه الكلمة الترحيبية « وصل الى لبنان عائداً من القطر المصري حيث قضى اشهر الشتاء سيادة الاب الجليل العالم الخوراسقف بولس قرألي كاتم اسرار البطريركية المارونية وصاحب التآليف التاريخية العديدة . وقد رحب به عارفوه ومقدرو فضله . وقصد تواً الى بكركي » . « البيرق » يرحب بالعالم الجليل اجمل ترحيب ويتمنى له دوام الصحة والتوفيق » .

فنحن وان كنا نعدّ انفسنا غير مستحقين هذا المديح فقد اثبتناه هنا املاًبان يوافق القراء على التأييد الذي يعنيه ، بعد مطالعتهم ردودنا واقتناعهم بالحقائق التاريخية التي اوردناها هنا . فكلنا طلاب حقيقة .

بكركي في ١٠ حزيران ١٩٤٩ — الخوراسقف بولس قرألي

٥ - الخوراسقف مخايل الرجي

شاء حضرة الفيكنت ان يتخلص من اتهامنا اياه بصدد لائحة المطارين اليعاقبة ، التي الصقها بحدث الجبة ، فاعتذر بأنه توهم ذلك من حاشية قديمة وردت في مخطوط يرتقي الى السنة ٥٠٧ مسيحية ، محفوظ في المتحف البريطاني بلندره . زاعماً انها تدل دلالة واضحة على ان حدث لبنان كانت اهلة باليعاقبة وكان فيها لهم دير ورهبانية وابرشية زاهرة وان وادي قديشا المنبسط تحتها كان عامراً بنساكهم .

ولما لم يتسن لنا آنئذ الاطلاع على نص هـــذه الحاشية الاصيل اجبناه في بيرق ١٥ تشرين الثاني ١٩٤٨ بما خلاصته :

اولاً – ولا مؤاخذة – قد فقدنا الثقة بالنصوص التي يوردها حضرته لانه عودنا على ان يتناولها بالتحريف والتصحيف قبل ان يقدمها لنا

ثانياً : ان ما يضاعف شكنا ايراده هذه الحاشية اربع مرات بنصوص مختلفة . ثالثاً : اننا لم نجد في نصها ذكراً لدير يعقوبي ولا لرهبان يعاقبة يسكنونه ولا لرهبانية وابرشية يعقوبيتين ولا لنساك يعاقبة بلأون وادي قاديشا ... الى اخر ما طالعه القراء في ردنا المذكور .

وفي الصيف الماضي اطلعنا حضرة الخوراسقف الرجي على رسم هذه الحاشية في فهرس المخطوطات اللندنية الذي جلبه معه من لندره، فوجدنا الكاتب يصرح بانه نسخ المخطوط في دير فعنور (في بلاد المشرق) في عهد رئاسة الاب توما ... وكان حضرة الفيكنت قد ادعى بان الكتاب نسخ في دير حدث الجبه في عهد رئاسة لاونطي مؤسسه ومنشىء الرهبانية اليعقوبية في لبنان .

ويذكر القراء ايضاً الثناء العاطر ، الذي نفح به الفيكنت حضرة الخوراسقف ميخايل الرجي صديقه واذا بهذا الصديق ينقلب الآن عليه، لا لسبب سوى اشمئزازه من تحريفه النصوص الاصلية .

والى القراء بعض ما كتبه حضرة الخوراسقف الرجي في مقال نشرته له مجلة المنارة في عدد تموز ١٩٥٠ صفحة ٢٩٤ وما يليها « لم يكتف حضرة الفيكنت بان اطلق في كتابه العنان لمخيّلته بل امتطى الهوى ايضاً ، والهوى لا يؤدي الى « اصدق ما كان » بل يجر الى معكوسه . ولهذا اثار كتابه ضجة وضوضى ، واستدعى نقداً ورداً .. غير اننا وقد هدأت العاصفة الان ، وجواباً على سؤال عن دير ورهبانية سريانية في حدث الجبة ، منذ القرن الخامس ، على زعم حضرة الفيكنت ، وضعنا هذه النبذة ، وبها مثال لما شطّ به قلمه ، وطوّحت به اليه مخيلته واوقعه فيه غرضه .

« يظهر ان قرية الحدث اللبنانية قد استهوته . فقد جعل لها سلسلة اساقفة تبدأ حلقتها الاولى في آخر القرن الثامن ، وتنتهي الاخيرة في اواسط القرن السادس عشر (ص ٥٤ وما بعدها) . وقد ابان حضرة المؤرخ الخوراسقف بولس قرألي كيف ان الغرور دفع، في هذا الامر، الفيكنت الى الخلط بين حدث الجبة في لبنان وحدث اخرى في قيليقية .

ثم انه جعل في حدث الجبة ديراً ورهبانية سريانية منذ القرن الخامس. وهذا لم يوفق فيه، شأنه في سلسلة اساقفة الحدث اللبنانية، كما سنرى.

« في المتحف البريطاني مخطوط سرياني قديم جداً رقمه ١٤٥٤٢ (كتالوج ورِيت رقم ٥٤٧ ص ٤١٦ وما بعدها) جاء في آخره حاشية سريانية قرأناها بعيننا الحسية. وهذه ترجمة ما يهمنا منها :

« سنة ثمانماية وعشرين، في شهر نيسان، في الخامس عشر منه، على الحساب اليوناني (٥٠٩ م) يوم الثلثاء الساعة التاسعة، قد تم هذا الكتاب (كتاب) مار باسيليس في دير فعنور المقدس، في ايام الفاضل ومحب الله مار توما رئيس الدير، وبعناية الشماس مار شمعون قيّم الدير نفسه. المسيح ربنا ...» وهنا ادعية لرهبان الدير بالعموم. ثم بجدلة للثالوث الاقدس بالتفصيل. وبعد ذلك، بحرف ارفع مما قبله لكنه واحد واياه، ما يلي « انا يعقوب الآمدي كتبت هذا الكتاب ... وليُذكر جميع اخوتنا الذين هم في الحواضر والبوادي ... ليُذكر مار ملكا فليُحبه المسيح بحبينا يوم الدين امين وليُعطه المسيح نصيباً مع القديسين الذين احسنوا لمشيئته. ليُذكر لاونطي الذي هو من حدث لبنان. فبين يديه حصل هذا العمل ودعت العلة فكتبت هذا الكتاب. ليُذكر مار حلفى الزاهد الذي هو في لبنان ...»

« هذا النص واضح جلي. يلخص مؤداه بكل بساطة كما يلي : سنة ٥٠٩ للمسيح قد تم هـذا الكتاب في دير فعنور، نسخه يعقوب الامدي وهو يذكر اخوته رهبان الدير بالعموم ويخص بالذكر « مار ملكا ولاونطي ومار حلفى». ثم بحث حضرة الخوراسقف الرجي عن موقع الدير واردف بقوله : ... فيستفاد من هذا كله ان دير فعنور كان من اديرة المشرق في القسم الشمالي الشرقي من سوريا وكان عامراً في القرنين السادس والسابع. ولا نعرف من هوية كاتب المخطوط الا اسمه : يعقوب، ووطنه مدينة آمد وهي ديار بكر على دجلة، وانه كان على الارجح، بل على التأكيد من رهبان دير فعنور حيث كتب كتابه.

«... ذكر (الفيكنت) هذه الحاشية اربع مرات على الاقل ولم يورد مرة واحدة اولها . فقد ذهب برأسها وذهب معه بدير فعنور . أتراه جهل او تجاهل هذا الجزء من الحاشية . ان حضرته لا يشأ بدون ريب ان يكون جاهله ونحن لا نود ان نعدّه متجاهلاً لما في التجاهل من مسّ لصدق الرواية التاريخية ومن سرد الواقع على غير ما هو . على انه يقلقنا منه جداً عدم اتيانه ولو مرة واحدة على ذكر دير فعنور . ولا عذر لحضرته على تناسيه بالكلية هذا الدير . فقد عرف وذكر ان ادارة المتحف البريطاني ... نشرت منه صفحة في المجلد الثامن من فهرس مخطوطاته السريانية » (١ : ١٨) والحال هذه الصفحة ان هي الا تلك التي تحتوي على هذه الحاشية التي نحن بصددها . وقد صوّرت بالفوتوغرافية في المجلد الثالث من كتالوج العلامة وريت في اوله ، اللوحة الرابعة .

« ولأمر ما ، كان من حضرته ما كان . ذلك ليتسنى له ان يبني ديراً في حدث الجبة ، ويعيّن له رئيساً ، ويسمي فيه رهباناً ، ويؤسس فيه رهبانية . وبهذه الوسيلة يمهّد الى ما زعم عن اقدمية السريان في الحدث والى تبرير وجود سلسلة اساقفة قديمة لهم .

« قال حضرته « كتب هذه المخطوطة الراهب يعقوب الامدي في دير الحدث بلبنان » والمخطوطة تقول « تم هذا الكتاب في دير فعنور المقدس » . ثم يزيد من عنده « في عهد رئيسه لاونطي الحدثي السرياني الموصوف بمناقبه الرهبانية » وليس ما يشير ولو عن بعد في المخطوطة الى دخول لاونطي الرهبانية وبالاحرى الى رئاسته على دير ما[1] . واخيراً يضع هذا العنوان للفقرة الوارد فيها كلامه « الرهبنة السريانية في الحدث منذ القرن الخامس » (ص ٥٤) . ثم يزيد « ذكر التاريخ ثلاثة رهبان لبنانيين » والمخطوطة تقول عن لاونطي وحده انه لبناني .

« وقال حضرته في موضع ثالث « دير لاونطي في الحدث : يرتقي عهده الى اواخر القرن الخامس للميلاد . وجرى انشاؤه في قرية الحدث

(١) بل تقول المخطوطة ان رئيس الدير يدعى توما

اي حدث الجبة ... » ولا شيء في المخطوطة من ذلك . ثم يعقب « فكان دعامة متينة في تقويض اركان الوثنية وتوطيد البشارة الانجيلية... » فتأمل . ثم يزيد « اما مؤسسه فهو الراهب لاونطي الحدثي » على ما جاء في مخطوطة المتحف البريطاني السريانية ... » وهذا من باب تكليف المخطوطة اداء شهادة زورية . ثم فلنسمع الى ما يلي . « يتحصل من قوله « بين يديه » ان يعقوب الراهب الامدي كتب هذا المخطوط في دير الراهب لاونطي الحدثي » . والمخطوط يصرح بان الكتاب تم نسخه في دير فعنور . واغرب توكيد هو هذا التالي : « ولا ريب في ان يكون يعقوب المذكور انضم الى رهبان دير الحدث الذي نحن بصدده (ص ٢٨١) .

« وقد اتى حضرة الفيكنت على ذكر المخطوطة مرة اخرى ، بعد ان ضعضعته الضجة القائمة عليه . فخفت صوته وخفض من غلوائه ولم يجرؤ على استخراج ما كان تذوّقه منها (المجلد ٣ ص ٣٦ وما بعدها) .

« ... هذه انموذجة من كتاب « اصدق ما كان » . وبها كفاية الدلالة على كيفية جعل الحبة قبة . بل اقامة القبة بدون حبة .

«جميلة هي هذه القبة ، بل هذه القبب والقصور ، التي بناها فاعلاها في الهواء حضرة الفيكنت دي طرازي . لكنها بعد ان ضربناها بالحبة الصغيرة التي خفيت على نظر حضرته او تحاشى النظر اليها ، وهي « ذكر دير فعنور المقدس » قد انهارت كلها انهياراً . وكان انهيارها عظيماً . فعفا الله عما كان » .

هذا بعض ما قاله حضرة زميلنا الخوراسقف مخايل الرجي وغيره من العلماء المدققين في كتاب « اصدق ما كان في تاريخ لبنان » .

٦ – الاستاذ منصور صالح

تأخر صدور كتابنا هذا ، الذي باشرنا طبعه منذ ربيع السنة ١٩٤٩ ، لضياع قسم من اصوله . وقد فهمنا ان يداً غريبة امتدت اليها . فاضطررنا الى جمعها من نسخ البيرق وبعض ما كتبناه خارجاً عنه .

على ان هذا التأخر اتاح لنا الاطلاع على مقال حضرة الخوراسقف مخايل الرجي الذي لخصناه هنا ، وعلى مقال اخر للاستاذ منصور صالح نشرته له مجلة « بريد الطلاب » ثم جريدة « الاتحاد اللبناني » في عددي ١٨ و ٢٥ حزيران ١٩٥١ . فرأينا ان نختم بخلاصته هذا القسم الخامس من كتابنا .

فحضرة الاستاذ منصور صالح صدّر مقاله بالكلام عن موضوع كتاب « اصدق ما كان » وعناوين فصوله الاولى ثم اردف يقول :

« تحول الموضوع – ولكن سرعان ما ينتقل القارىء الى الفصل العاشر ، وعنوانه – تخصيص اسم السريان بملة مسيحية – فيرى المؤلف ، بعد ان يبين ان هذه الملة مؤلفة من طائفتين السريان الكاثوليك والسريان الارثوذكس ، يصرح قائلاً : فعلى هاتين الطائفتين السريانيتين اللتين استقرتا في لبنان قديماً وحديثاً يدور محور بحثنا في هذا الكتاب » . فالكتاب اذاً وعنوانه « تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان » اصبح محصوراً بالطائفتين المذكورتين ...

ويستأنف حضرة الاستاذ بعدئذ كلامه عن غاية الكتاب ، فيقول : « ويحرص المؤلف على افهام القارىء الغاية من الكتاب فيقول (ص ١١٤) « وما توخيناه » من تأليف هذا الكتاب – وخلاصته – ان السريان ليسوا غرباء وليسوا دخلاء في الاصقاع اللبنانية على الاطلاق بل يستوون هم وغيرهم في الحقوق والواجبات .

وبعد ان يمدح جهود الفيكنت في وضع كتابه يستطرد بقوله : « ويكفي القارىء ان يلقي نظرة على الفهرس ويقرأ عناوين الاقسام والفصول حتى يصيبه الدوار من وفرة المواد ... واذا انتقلت الى الجزء الثاني رأيت اكثره تاريخ الاسر السريانية وانتقالها الى لبنان حتى ترى اكثر الموارنة متحدرين من اسر سريانية ... وهو يرى ان اسم السريان واصلهم العريق في البلاد وتاريخهم المجيد ومحافظتهم على الاسم كل ذلك يخولهم ما لسواهم (ولنقل بصراحة ، ما للموارنة) من الحقوق والواجبات على نحو ما طالب ويطالب يهود اليوم بالوطن

الاسرائيلي تشييداً لملك اسرائيل . ثم يختم حضرة الاستاذ كلمته بقوله:

« وعليه حبّذا لو ان المؤلف ابقى كتابه على عمومه الاول وتناول تاريخ البلاد بامرها لكان اصاب مرماه مع خدمة العلم . ولكنه شاء حصره بالطائفتين السريانيتين وهو اعلم الناس اننا كلنا اراميون سريان ... من شطوط المتوسط ومن اعالي العراق . فعلام اغفال الجميع والانصراف الى طائفتين مهما بلغ عددهما لا يتجاوز الفي نفس.

***

هذه بعض اراء القراء في كتاب حضرة الفيكنت فيليب دي طرازي ، وطرقه ونواياه . يتهمونه بتخصيص أمته بما كان للسريان عامة في لبنان قبل الانشقاق ، من ابرشيات واديار ومعاهد ومعابد واوقاف وارزاق ، وما صار بعد الانشقاق الى الطائفتين الاصليتين في لبنان ، المارونية والملكية . ويتهمونه ايضاً بتحدير اغلب اسر هاتين الطائفتين من جدود يعاقبة وهميين ، فرضهم فرضاً ، ليجعل لبنان ، وطناً واهلاً ، ملكاً لملته ، ويطالب بحقوقها فيه ، كما يطالب بنو اسرائيل بفلسطين وطناً قومياً . بيد ان هؤلاء قد ملكوها واستعمروها قروناً عدة ، ثم أخرجوا منها قسراً ، او خرجوا منها طوعاً . اما اليعاقبة بنو جلدته فلا ملكوها ولا استعمروها الا في مخيلته .

ويتهمونه ايضاً بالتلاعب في الوثائق الاصلية وتحريفها ، واختلاق ما ليس فيها ، وتشييد القصور والعلالي عليها ، توصلاً الى مراميه التاريخية والسياسية . فاصبح كتابه « المعجم » في اجزائه الثلاثة فقاقيع صابون طارت في الهواء ، واضغاث احلام تلاشت عند القيام .

ويتهمونه ايضاً باللجوء الى الشتائم والبذاءات ، يقذفها بلا حساب ولا حياء في وجه كل مَن نقد كتابه وعارض مزاعمه ، مستعيضاً بها عن الادلة التاريخية ، والبراهين الصوابية . فبعد ان حطّ بالتلاعب والتحريف والتزوير من قيمة كتابه ، وحوّله من « اصدق ما كان » الى « اكذب

ما كان »، حط بالشتائم من قيمة شخصه والقابه . لان المرء بآدابه لا بالقابه .

اما نحن فلم تزعجنا هذه المسبات والتوهات . اولاً لانها جاءت في مصلحتنا ، فابخست كتابه ، وعززت ردّنا . ثانياً لانها افرجت عن صدرنا وصدر القراء ، فساعدتنا على مواصلة الدفاع ، وساعدتهم على اللحاق بنا في سراديب الاسانيد التاريخية ، والبراهين العقلية .

ومهما كان من امرها ، فنحن سامحناه من صميم قلبنا ، عملاً بالوصية المسيحية . على ان القراء لم يسامحوه . ونخشى الا يسامحه الديّان العادل في الموقف الرهيب .

الخوراسقف بولس قرالي

عن الديان في ١٠ تموز ١٩٥١

اصلاح خطأ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	٢٧	ثلاثة	اربعة
٢٣	٢٧	١٦١	١٦٤
٢٥	٢٦	ص ٨٤	ص ٤٧
٢٦	٢٥	ص ٨٥	ص ٥٦
٢٦	٢٥	ص ٨٥	ص ٥٩
٢٧	٢٥	ص ٨٩	ص ٦٦
٢٧	٢٥	ص ٨٩	ص ٧٠
٢٩	٧	سنة ٥٥٣	سنة ٥٣٦
٥٠	١٢	ونازماً	ونازحاً
٦٦	١	٤ ـ آل ضاهر	٣ ـ آل ضاهر
٦٧	٣	٥ ـ آل طربيه	٤ ـ آل طربيه
٦٩	١	٦ ـ الحبيس مالك	٥ ـ الحبيس مالك
٧١	٧	١٠ ـ اسرة الدويهي	٩ ـ اسرة الدويهي
٧٥	٢١	١١ ـ اعلام الاشخاص	١٠ ـ اعلام الاشخاص
٨٢	٦	بان	بابن
١٢٤	١٢	لحفد اتا بحصان	لحفد بحصان
١٤٣	١٢	مظاهرها	مظاهرهما
١٤٤	٢٣	ومدريد وغيرها	ومدريد ولسبوناوغيرها
١٤٧	٥	ومسعد ، الحاج	ومسعد والحاج
١٥٢	١٠	يهدف ، التزويد	يهدف . التزوير
١٥٥	٢٧	الكتاب	للكتاب

فهرس المواد

lequel s'appuie M[r]. Tarrazi, ne parlent que de deux personnages : Chahine el-Machrouqui, dont les petits-fils furent massacrés en 1613, et Jom'a de Ain-Halia, que le même historien déclare avoir été d'origine melkite. Il parle, aussi, de quelques religieux, venus au Liban en 1470, en compagnie de Dioscore Daou, évêque jacobite de Jérusalem. Ils réussirent, il est vrai, à se faire quelques adeptes au Liban-Nord ; mais ils en furent chassés en 1488. Leurs adeptes Maronites revinrent à la foi catholique.

PAUL CARALI
Chorévêque Maronite

Békerké, le 31 Mai 1949

Aux 5e 6e et 7e siècle, la majorité des habitants du Liban était chalcédonienne :

Quand le concile de Chalcédoine condamna, en 451, l'hérésie monophysite, adoptée par les Jacobites, la majorité des chrétiens du Liban adhéra à ses décisions. At-Talmhri, jacobite lui-même, atteste que tous les évêques libanais assistèrent à ce Concile, et condamnèrent le monophysisme, professé par les Jacobites. En 727, les Chalcédoniens se divisèrent difinitivement en Maronites et Melkites. Ceci explique l'existence au Liban, depuis lors jusqu'aujourd'hui, des districts et des villages melkites à côté de districts et de villages maronites. Quand, au 8e siècle, les Maronites de Syrie émigrèrent au Liban, pour fuir la persécution des Jacobites, ils s'établirent, donc, parmi leurs coréligionnaires, habitants originaires du pays. Il n'est pas admissible qu'ils se soient établis parmi leurs ennemis, comme le prétend Mr Tarrazi. Les listes d'évêques Jacobites qui auraient,d'après lui,géré au moyen-âge, des diocèses libanais, appartiennent, du témoignage de l'historien Michel-le-Grand (1166-1199), auquel il les a empruntées, à des diocèses jacobites de Mésopotamie et de Cilicie, portant les mêmes noms : Hadeth, Arqa, Kenaisseh etc.. Mr Tarrazi n'aurait pas dû se permettre l'exploitation de ces homonimes. Les détails rapportés par cet historien ne donnent lieu à aucune équivoque. Les Maronites de ces localités n'étaient pas, donc, jacobites.

Il est vrai que des colonies jacobites se sont établies à Tripoli et à Jounieh ; mais elles n'apparurent qu'au temps des Croisés (12e et 13e. s.) et disparurent après leur départ et la destruction de ces deux villes par les Arabes, la première en 1289, la seconde en 1307.

Quant à la prétendue émigration au Liban de milliers de familles jacobites au 14e. et 15e. s., elle ne repose sur aucune base historique. Les annales du Patriarche Ad-Douaihi, le seul document sérieux sur

L'ouvrage, que M[r] le vicomte Philippe de Tarrazi, Syrien-Catholique, vient de publier (Imprimerie Joseph Sélim Saïkali. Beyrouth 1948), est composé de deux volumes, contenant près de 900 pages, in 8°.

L'objet du premier volume est de prouver que les Jacobites (ses ancêtres) ont occupé seuls le Liban, Jusqu'au commencement du VIII siècle, date de l'émigration des Maronites. Ceux-ci se sont mêlés aux Jacobites et ont fini par les absorber. Les diocèses, les églises, les monastères et les propriétés des Jacobites au Liban, ont passé ainsi aux mains des Maronites.

Dans le second volume, il s'efforce de prouver qu'à la suite des persécutions, surgies au 14[e]. et 15[e]. siècles contre les chrétiens de Syrie et de la Mésopotamie, des milliers de familles jacobites vinrent s'établir au liban. Leur capacité, leur richesse et leur culture leur ont valu de devenir bientôt les gouverneurs temporels et spirituels des Maronites ; ainsi que leurs maîtres en sciences et en liturgie. Les ancêtres de la majorité des familles maronites actuelles, et leurs personnages célèbres sont par suite d'origine jacobite.

A l'apparition de cet ouvrage, nous avons publié, dans le journal « Al-Bayrak » de Beyrouth, quatre articles, où nous avons refuté, documents à l'appui, les prétentions mal fondées de M[r]. Tarrazi. Celui-ci a répondu avec véhémence, cherchant à se disculper. Nous avons dû lui repliquer pour corroborer et préciser nos premières observations. Ces articles font l'objet de cette publication et se résument en ce qui suit :

Revue Patriarcale 12e Année Vol. 2

PAUL CARALI
CHORÉVÊQUE MARONITE

Les Maronites au Liban
Leur origine et leurs familles

Observations sur l'ouvrage de Mr. le Vicomte Philippe de Tarrazi : « Ce qu'il y a de plus vrai dans l'histoire du Liban. Une page des nouvelles des Syriens »

•

Avec un supplément de deux documents inédits du Patriarche Etienne Ad-Douaihi

1 — Les Chefs du Liban-Nord (1382-1690)
2 — Les Jacobites au Liban (1470-1495)

Imp. des Miss. Lib. Jounieh — Liban
1949

DATE DUE


AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت

